وزارة التعليم العالي
جامعة وهران
معهد اللغة و الادب العربي

المكان و الزمان عند الشعراء العذريين

(مجنون ليلى - جميل بثينة - كثير عزة - نمونجا)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب :
ودناني بوداود

إشراف الأستاذ الدكتور:
ابن حلي عبد الله

السنة الجامعية : 1992 - 1993

الإهداء

إلى والديّ الكريمين

إلى من تربطني بهم عاطفة الود

أهدي هذا العمل المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»

- * الفهـــــــــــرس * -

مقدمـــــــة : .....

مـدخـــــــل : قـراءات نقديـة معـاصـرة للظاهرة العذرية:..... 2

- قـراءة سـيـاسيـــة اجـتمـاعيـة

- قـراءة ديـنـيـــــــــــة

- قـراءة حضـاريـة اجتماعية نفسيـة

الفصـل الاول : الظـاهـرة العـذريـــة: 13

- عـلاقـة الرجـل بالمـرأة في المـوروث الانساني القديم .

- // // // في الفكـر الغـــربي الحديـث.

- // // // في القـــرآن الكـريـــــــم .

- // // // في الخطاب الشعري العـــذري.

الفصـل الثـاني : بنـاء المكـــان في النـص الشعري العذري:.....44

- الانســـان و الارض .

- مـكـان الـــــــذات.

- المكـــان الاخـــــــر .

- مـكـــان الارتبـــاط.

الفصـــل الثالث : وحـــدة المكـان في النـص الشعري العذري:.....89

- مـكـان مـيـــلاد العـلاقـــــة .

- مـكـان استحـضـار العـلاقـــة .

- المكـــان المـــقـــــــدس.

- مكـــان بعـــث العـلاقـــــة .

الفصـــل الرابـــع : الاحساس المتـزامـن في النـص الشعري العذري:..... 129
==========

أـ الانسـان و الزمـان

ب ـ الرمـوز الزمانيـة مـن خـلال الكـائنات.

1ـالوعل (وزمن الشعور بالخلود) 4 ـ الغراب(وانتهاءزمان التجمع)

2ـ الناقـة (والزمـن الحـركـي) 5ـ الحمام (وزمان البكـاء)

3ـ الغزال(و الزمن الارتدادي)

ج ـ الزمـان من خلال رموز البقاء و الفنـاء.

أ ـ رمـوز البقـاء ب ـ رمـوز الفنـاء

1ـ الشبـاب 1ـ الشيـب

2ـ الخصـب 2ـ الجـدب

3ـ دلالات اخرى للتجديد 3ـ دلالات اخرى للفناء

الفصـل الخـامس :التدرج الزمني داخل القصيدة العذريـة :.....168
==========

أـ زمـن اللقـاء ب ـ زمـن الفـراق

1ـ الزمـن الحـاضر 1ـ زمـن الرحيـل

2ـ الزمـن الحنيني 2 ـ زمـن المكابـدة

3ـ الزمـن الاستشـراقي 3ـ زمـن التطهيـر

الخـاتمـة :.....210

المصادر والمـراجـع:.....213

* دلالات الرمـــوز الواردة في البحـــث *

****

مـــج = مجلـــــــد .

ج = جـــــــزء .

تـــر = ترجمـــــــة .

تـــح = تحقيـــــــق .

ط = طبعـــــــة .

ص = صفحـــــة .

مقدمة

* مـــقـــدمـــــة *

لقد عالج الكثير من الباحثين في العصر الحديث ((الظاهرة العذرية في العصر الاموى)) بعناوين مختلفة ومن نواح كثيرة قصد الكشف عن حقيقتها وعن أسبابها نشأتها .

ولكن على الرغم من جهود هؤلاء الباحثين - والذين اعلبهم من ذوى المكانة العلمية المرموقة - لانجد بحثا من بين بحوثهم تناول بالدراسة النسق المكاني أو النسق الزماني في الخطاب الشعرى العذرى .

وهذا النقص هو الذى شجعني على تناول هذا الموضوع . فبعد قراءتي للشعر العذرى قراءة واعية وقفت خلالها على مايحمله النص العذرى من جوانب معرفية وجمالية .

فالشاعر العذرى المسكون بالوجع العشقي الى حد الجنون ، لم يكن مجرد انسان عاشق يعيش في بيئة صحراوية مترامية الاطراف بل كان انسانا شاعرا له موقفه الخاص من كل مايحيط به .

لذلك فالخطاب الشعرى العذرى في رأينا ليس هو مجرد حمولة عاطفية تكشف عن معاناة شاعر عاشق حرم من محبوبته فعاش حياته يتغنى باسمها ويركض وراء سراب خيالها . ولكن هو حمولة معرفية جمالية جاءت في ثوب عاطفي ، تتعدى الواقع المعيش إلى المحيط الكوني الواسع . ومن ثم كان وجود الشاعر العذرى وجودا مرتبطا بعنصر المكان وعنصر الزمان ، فجاء شعره معبرا عن ذلك .

ومن هذا المنظور كان اختيارى للموضوع ، وزادت قناعتي بأهميته ، على الرغم

من أنني كنت متهيبا من الصعوبات التي ستواجهني لأن إشكالية المكان والزمان ليس من السهل الخوض فيهما .

فكم من مرة راودني السؤال التالي : أيمكن أن يضيف هذا البحث جديدا الى الدراسات التي تناولت النص العذري ؟ .

غير أن الذي يجعني اكثر على السير قدما في البحث هو انني كنت كلما تعمقت في القراءة زاد يقيني بامكانية الاضافة العلمية ،ذلك ان النص الادبي يبقى دائما متجددا .

لأن القراءة الجادة للخطاب الادبي هي القراءة التي تتعمق في الكيان البنائي للنص الادبي قصد البحث عن مدلولاته القابلة للتوليد ، والقادرة على الاستمرار في العطاء كلما تعددت القراءات .

ومن ثم فالقراءة الادبية في العصر الحديث لم تعد كما كانت في السابق قراءة الحكم والتقويم ، وانما اصبحت قراءة تخضع لمنطق السؤال والجواب قصد الوصول الى لب النص لانها تدرك أن النص الأدبي لايقول الحقيقة بلغة الوضوح و السهولة ، ولاينلق أبوابه أمام من يريد اكتشاف خفياه ومعرفة اسراره .

فالقراءة الحقيقة هي القراءة التي تحاول دائما النفاذ الى صلب النص الأدبي قصد الكشف عن مخزونه المعرفي والجمالي .

التصور المنهجي للبحث :

من خلال الرؤيا السابقة للنص الأدبي كان ولابد من خطة ومنهج توجه البحث فكانت أولى الخطوات ، القراءة المتكررة للنصوص الشعرية العذرية ، قصد الوصول إلى فهم أعمق لها مما جعل الفكرة تتضح أكثر في ذهني . وسمح لي ذلك بأن أحدد

رؤية الدراسة ، بعد أن حددت العنوان الذي كان اطارا عاما للبحث " المكان والزمان عند الشعراء العذريين " . ومن خلال هذا العنوان قسمت البحث الى مدخل وخمسة فصول . أما المدخل : فتناولت فيه القراءات المعاصرة التي تعرضت بالدراسة للظاهرة العذرية ، محاولة ايجاد تفسير يكشف عن حقيقة ظهورها ودوافع ازدهارها ، وحصر أسباب نشأتها .

وقد قسمت تلك القراءات إلى ثلاثة أقسام : قسم يشمل القراءة السياسية الإجتماعية وآخر يشمل القراءة الدينية والقسم الثالث للقراءة الحضارية الإجتماعية . وحاولت أن أقف على دعائم كل قراءة والنتائج التي توصل إليها صاحبها .

وأما الفصل الأول: الظاهرة العذرية : فحاولت فيه أن أتتبع من خلال الموروث الفكري الإنساني علاقة الرجل بالمرأة ، وأن أقف على سر تعلق إحداهما بالآخر . وقد تتبعت ذلك من خلال ماجاء في الأساطير القديمة وماجاء في الفكر الغربي الحديث ومقارنة ذلك بما جاء في القرآن الكريم . وربط ذلك بالشعر العذري .

وفي الفصل الثاني : بناء المكان في هذا الفصل عالجت بالدراسة المكان في النص الشعري العذري وحاولت أن أقف على علاقة الشاعر العذري بالمكان وأعرف سر تعلقه بمكان خاص ونفوره من آخر وعلاقة كل ذلك بالمحبوبة .

أما في الفصل الثالث : وحدة المكان في القصيدة العذرية : فقد درست في هذا الفصل النوع المكاني في النص الشعري العذري ووجدت أن الشاعر العذري يتعامل مع أربعة أنواع من المكان ، إلا أنها رغم تفرعها فهي ترتبط بمكان واحد هو المكان الأصل (مكان ميلاد العلاقة).

أما الفصل الرابع : الإحساس المتزامن: لقد عالجنا في هذا الفصل الزمان بالأسلوب نفسه الذي عالجنا به من قبل المكان ، لأن المكان والزمان معطيان أوليان لكل

طبيعة
معرفة مهما كانت معالجتها . ومن ثم وجدنا ان الزمان يمثل هاجسا اساسيا عند الشاعر العذري . ولذلك فبحثنا عن الزمان في النص الشعري العذري لم يكن مجرد بحث عن زمان في شعر مجموعة من الشعراء المتيمين ،وانما كان بحثا عن مواقف هؤلاء الشعراء من الزمان وتصورهم له وأثر ذلك في حياتهم وعلاقتهم العاطفية . ومن هنا لم ينحصر الزمان في إطار ضيق ومحدود ، بل نظرنا إليه في مجاله المعرفي، وعليه وقفنا على احساس الشاعر العذري بالزمان وادراكه له من خلال مايتركه من أثر في الاشياء والكائنات. ومن خلال رموز البقاء والفناء في الوجود .

أما في الفصل الخامس : التدرج الزمني داخل القصيدة : فقد حاولنا في هذا الفصل أن نغوص في نفسية الشاعر ، لنتحسس الزمان الداخلي للذات العذرية وفرقنا بين زمان اللقاء وزمان الفقد ، وحددنا موقف الذات العذرية من كل نوع وأثره في علاقتها العشقية بالذات المحبوبة .

وقد يلاحظ قارئ هذا البحث وهو يتابع مناحيه وفصوله ومباحثه ، نوعا من التداخل فيما بين أجزاء البحث . ولعل هذا يعود إلى سعة الموضوع وصعوبة حصر إشكالية المكان والزمان لأنهما ليسا غرضا شعريا يمكن السيطرة عليه .

أما الصعوبات التي اعترضت سبيل البحث فهي كثيرة ومتنوعة. ولعل ذلك نصيب كل من يتقفى أثر معرفة الحقيقة والوقوف على مكامنها . فإلى جانب تلك الصعوبة التي تتعلق بطبيعة الموضوع ، حيث ان اشكالية المكان والزمان - كما قلت سابقا - ليس من السهل تناولهما بالدراسة خصوصا من خلال الشعر الغنائي لأن طبيعة هذا النوع من الشعر لاتتسع لعنصر المكان وعنصر الزمان كما تتسع لهما الرواية والقصة . وهناك صعوبات أخرى تتعلق بمصادر ومراجع البحث . فأصعب ما واجهني في هذا الجانب ندرة الدراسات والبحوث التي تتناول المكان والزمان في الشعر

العربي القديم . فاذا استثنينا بعض البحوث القليلة ككتاب ((الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره)) للدكتور صلاح عبد الحافظ وكتاب ((الشعر والزمن)) للدكتور جلال الخياط . وكتاب ((الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام)) للاستاذ عبد الاله الصائغ . وكتاب ((قضية الزمن في الشعر العربي)) للدكتورة فاطمة محجوب . الى جانب بعض الكتب المترجمة ككتاب ((الزمن في الادب)) لميرهوف وكتاب ((جماليات المكان)) لغلستون باشلار . والتي استفاد منها البحث وعرف منها مايعطيه الدفع والفاعلية في توضيح مايستغلق ويلتبس ، ومن ثم لم تكن هذه الكتب مجرد مراجع بقدر ماكانت نواة للبحث في التحرك . فاذا استثنينا هذه الكتب القليلة لانجد شيئا آخر يذكر في هذا الميدان حسب علمنا وما توصلنا الى الاطلاع عليه .

وعلى الرغم من تلك الصعوبات فقد استطعنا بعون الله أن نجمع مااستطعنا جمعه من مصادر ومراجع ، وأن نعود الى كل ماله صلة بموضوع البحث من قريب أو بعيد . وحرصنا في ذلك كل الحرص على ان ننسب كلّ نصّ اوفكرة الى المصدر الذى أخذت منه خدمة للامانة العلمية .

وإنني لأزعم بأنني أتيت في بحثي هذا بمالم يأت به احد ممن قبل ، وانما هو خطوة في طريق البحث . فان وفقت في ذلك فنعم المبتغى ، وان لم اصل الى ماطمحت اليه فعذرى ان الموضوع أكبر مني .

وفي الاخير ومن باب الفضل الى اصحابه أن أنوّه بأستاذى الفاضل الدكتور : ابن حلي عبد الله الذى تفضل بالاشراف على هذا البحث ورعايته ورعّاه بذله من جهد جهيد وهو يتابع مراحله قارئا وموجها ، واذ أشكره فاني أشكره على ماأمدني به من توجيه وارشاد ساعدني على تذليل ماواجهني من صعاب وأعانني على انجاز البحث .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الإخوة الدكتور فيدوح عبد القادر والأستاذ أسطنبول ناصر، والأستاذ بوبطانة المرسلي، والأستاذ: احمد يوسف، والأستاذ: هواري بلقاسم على ما بذلوه من مساعدة لي ووقوفهم إلى جانبي مشجعين وموجهين إلى أن انهيت البحث. كما أشكر كل من مَدَّ لي يد العون وراعى من بعيد أو قريب هذا الجهد المتواضع.

والله ولي التوفيق.

ودناني بوداود
يوم الجمعة 20 نوفمبر 1992 الاغواط

مَدخل

قراءات نقدية معاصرة للظاهرة العذرية

إن الظاهرة العذرية وما ارتبط بها من قصص غرامي، وما عرف عن شعرائها من وجع عشقي وتعلق قوى بذات المحبوبة الواحدة ، ومكابدة المشاق والأحزان من أجل الظفر بها، والعيش بالقرب منها كانت موضوعا لدراسات أكاديمية ونقدية عديدة قصد الكشف عن الدوافع التي أدت إلى ظهورها وإزدهارها في عصر عرف بالكثير من التغيرات السياسية والإجتماعية التي كان لها التأثير الكبير في نفوس الناس أنذاك ويمكننا أن نقسم هذه القراءات* إلى:

1- قراءة سياسية إجتماعية.
2- قراءة دينية عقائدية.
3- قراءة حضارية إجتماعية نفسية.

فأما القراءة السياسية الإجتماعية فهي للدكتور ((طه حسين)) في كتابه (حديث الأربعاء) وهو ينطلق في تناوله للظاهرة العذرية من تلك الأحداث التي عرفها العصر الأموى من تغير في نظام الحكم واستحواذ بني أمية على السلطة دون غيرهم، وانعكاس ذلك على المجتمع خصوصا في الحجاز ونجد وأن تلك الأحداث كانت هي السبب الرئيسى في ظهور تلك الموجة الكبيرة من الغزل بسقية الإباحي والعفيف في الحجاز ونجد. فالمجتمع الحجازى الذى كانت له مكانته المعروفة في العصر الجاهلي والتي قويت بمجيء الإسلام وجد نفسه أثناء هذه الأحداث مهمشا ومعزولا، والأكثر من ذلك محاصرا ومضطهدا في بعض الأوقات فأدى به ذلك إلى البحث عن متنفس له فوجده في الغزل واللهو، أو في الزهد والعبادة ومن ثم فظهور الغزل في هذه الأماكن هو تعبير عن الخيبة التي مني بها المجتمع الحجازى بعد مساهمته في توطيد أركان الدولة الإسلامية حيث وجد نفسه أثناء ذلك التغير السياسي لامكانة له في تسيير الحكم، بل تعرض إلى الإضطهاد حتي لايفكر في الحكم أو المساهمة فيه وقد نتج عن ذلك أن أقبل شبان مكة والمدينة - بعد إحساسهم باليأس إلى جانب ماتوفر لهم من ثراء وجاه - على اللهو والغزل للتخفيف من محنتهم .

---

* نقصد هنا القراءات التي تمكنا من الاطلاع عليها .

((ومن هنا نشأ عمر بن ابي ربيعة وامثاله في مكة، ونشأ الأحوص بن محمد وأمثاله في المدينة ، ونشأ حولهم هذه الطوائف من المغنيين وأهل المزاح(1) لذلك أصبح من المنطقي أن ينشأ الغزل الإباحي في هذا المجتمع نتيجة ماحصل من إلتقاء بين الثراء والجاه من جهة ، والإحساس باليأس والخيبة من جهة أخرى وإلى جانب هذا المجتمع الحضري اللاهي كان هناك مجتمع آخر بدوي فقير يائس يعيش على الهامش فقد ((كان أهل البادية الحجازية يائسين ، ولكنهم كانوا فقراء فلم يتح لهم اللهو ، وقد حيل بينهم وبين حياتهم الجاهلية ، وقد تأثروا بالإسلام وبالقرآن خاصة، فنشأ في نفوسهم شيء من التقوى ليس بالحضري الخالص ، وليس بالبدوي الخالص ، ولكن فيه سذاجة بدوية، ورقة إسلامية، وانصرف هؤلاء الناس عن حروبهم وأسباب لهوهم الجاهلي . كما انصرفوا عن الحياة العملية في الإسلام إلى أنفسهم ، فانكبوا عليها واستخلصوا منها نغمة لاتخلو من حزن ولكنها نغمة زهد وتصوف)) (2) فظهر ذلك في غزلهم العفيف ((الذي هو في حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح هذه البادية إلى المثل الأعلى في الحب من جهة ، ولبراءتها من الوان الفساد التي كانت تغمر أهل مكة والمدينة من جهة أخرى)) (3).

وبهذا المفهوم يصل ((طه حسين)) إلى أن سبب نشوء الغزل العفيف (العذري) في البادية هو التزاوج بين اليأس والفقر من جهة ، والتأثر بالاخلاق الاسلامية من جهة اخرى ، فنتج عن ذلك اندفاع شبان البادية الى نشدان المثل الاعلى في الحب ، والرفع من مكانة المحبوبة الى درجة التقديس وبهذا الطرح فتح ((طه حسين)) الباب للكثير من النقاد الذين تناولوا الظاهرة العذرية فيما بعد ، فمنهم من أخذ برأي طه حسين ومنهم من حاول إكمال ما ينقصه، ومنهم من حاول إيجاد تفسير آخر لها .

ومن النقاد الذين سايروا "طه حسين " في تحليله للظاهرة العُذرية في العصر الأموي نجد الدكتور " محمد غنيمي هلال " في كتابه (ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي) حيث يضيف إلى ماذكره " طه حسين " عامل آخر يتمثل في أن الغزل

1- د. طه حسين حديث الاربعاء ج ١ دار المعارف ط مصر ص: 189

2- المرجع نفسة ص: 190

3- المرجع نفسة ص: 190

العذرى الذى نشأ في البداية هو في بعض مظاهرة ردٌّ فعل طبيعي للغزل اللاهي في المدن ، وتغير المجتمع من النظام القبلي القائم على التنافس الى مجتمع تجمعه عقيدة التوحيد ، إلى جانب العامل الديني الذى كان له تأثيره الكبير في دفع البعض إلى التقوى والتزهد في الحياة والإبتعاد عن الشهوات(1)

وهناك الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد في كتابه" النظرية والتطبيق في الأدب المقارن " وهو يرى بأن الغزل العذرى هو رمز لتلك الفتنة الكبرى التي أصابت المجتمع أنذاك .وما فشل أولئك الشعراء في حبهم إلاصورة عن فشل المسلمين في توحيد كلمتهم والقضاء على تلك المنازعات التي وقعت بينهم(2)

كما نجد الدكتور " علي البطل " في كتابه (الصورة في الشعر العربي) ، يساير هذا الرأى حيث يرى أن تلك الحالة العاطفية التي عرفت عند الشعراء العذريين كانت نتيجة منطقية للحالة السياسية التي فرضت علي البادية في تلك الفترة (3) ونفس النظرة نجدها عند " احسان سركيس" في كتابه (الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية) حيث يذهب إلى أن الظاهرة العذرية قد نشأت في ذلك العصر نتيجة ما أصاب المجتمع من تغير وظهور للترف في أماكن والفقر في أماكن أخرى (4) .

أما الدكتور " محمد الصادق عفيفي " فيضيف في كتابه (الحب ومذاهبه النفسية والجمالية) عامل البيئة بأبعادها الطبيعية ، وما فيها من جمال وهدوء وأبعادها المجتمعية وما فيها من عادات الشهامة وتقاليد الفروسية وحمى الذمار، وأبعادها الواقعية وما فيها من صدق ووفاء (5) كل ذلك كان له دوره في ظهور الغزل العذرى وازدهاره .

2- أما القراءة الدينية فهي للدكتور " شكرى فيصل " في كتابه (تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام) فهو في كتابه هذا يرى بأن الغزل العذرى هو انعكاس

---

1 ـ ينظر محمد غنيمي هلال. ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي دار العودة بيروت ص22 وما بعده

2 ـ ينظر د. ابراهيم عبدالرحمن. النظرية والتطبيق في الأدب المقارن دار العودة / 1982 بيروت ص 156 وما بعده

3 ـ ينظر د علي البطل . الصورة في الشعر العربي . دار الاندلس ط 3/ 1982 بيروت ص109

4 ـ ينظر احسان سركيس . الظاهرة الادبية في صدر الاسلام والدولة الاموية دار الطبيعة ط 1/81 بيروت ص388

5 ـ ينظر د. محمد الصادق عفيفى الحب ومذاهبه النفسية والجمالية مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء ط 1 / 72 ص 185

لأثر الاسلام في نفوس جماعة من المسلمين تشبعت بتعليم الاسلام واهتدت بهديه وامتثلت لأوامره ونواهيه.

فالاسلام عندما جاء لم ينكر على الناس حياتهم العاطفية ، ولم يعمل على قمعها وكبتها ، وإنّما عمل على تنظيمها وتطهيرها من الدنس والفجور الذى لحقها في العصر الجاهلي . لذلك فالحركة الإسلامية لم تكن ((متنكرة للحياة العاطفية ولا متجهمة لها .. ولم يكن من شأنها ان تهمل هذا الجانب من حياة الانسان باعتقرة أومزدرية لشأنه .. وإنّما كان من همها دائما أن تستثير هذه الحياة العاطفية وأن تجعل منها قوة دافعة نحو الخير العام والصلاح المشترك)) (1) .

ومن ثمّ فالحركة الإسلامية لم تكبت الحب في نفوس الناس بل سمت به ((وحولت إتجاهه من خارج النفس إلى داخلها ، ودفعته إلى أن يتعمق ذاته بأكثر مما دفعه إلى أن يحقق ذاته .. وبتعبير أخر أخذ الحب في الحياة الإسلامية يتمدد في داخل الحياة النفسية بأكثر مما كان يتسلط خارجها .. وأن هذه الحياة الجديدة جعلت منه تعرفا إلى أسرار النفوس أكثر مما جعلت منه اشباعا لغرائز النفوس)) (2) . ومن خلال ذلك ربط الإسلام بين الحب والعفة ودفع الفرد المحب إلى الالتزام بتلك الحدود التي رسمت له من طرف الإسلام والمتمثلة في بقاء الحب في إطاره الفردى وا حترام مقدسات الجماعة وعدم المساس بها ، وكلما التزم المحب بذلك سمت مكانته في المجتمع الاسلامي حتي يبلغ درجة الشهيد إن مات من حبه .

ومن هذا المفهوم يصبح الغزل العذرى في نظر الدكتور شكرى فيصل ((هو تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج وتذهب مذهب التقى ، وتُؤثِرُ السلامة والعافية على المغامرة والمخاطرة ، وترى أن النفس أمّارَةٌ بالسوءِ (...) ولذلك أثرت هذه الطائفة أن تعدل عن شهواتها ، فكانت مثلا واضحا للتربية الإسلامية في سموها وتعاليمها)) (3) وبهذا تكون الظاهرة العذرية في نظره تعبيرا عن طائفة من المسلمين التزمت بتعليم الإسلام مما جعلها تبتعد عن شهواتها وتتمسك بالعفة والطهارة.

ويصل الدكتور شكري فيصل في الأخير إلى أن الظاهرة العذرية هي إنعكاس للقيم الإسلامية في ذلك العصر. وأن الغزل العذرى هو ترجمة صادقة للتربية الإسلامية المتمثلة في عفة المؤ من واحترامه لمقدسات المجتمع الإسلامي.

---

1 - شكرى فيصل تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام دار العلم للملايين ط 5 بيروت ص: 209

2 - المرجع نفسة ص: 213

3 - المرجع نفسة ص: 280

3- وأما القسم الثالث من هذه القراءات (القراءة الحضارية الاجتماعية النفسية) فهو يشمل كلا من الدكتور عبدالقادر القط وطاهر لبيب ويوسف اليوسف. فالدكتور " عبدالقادر القط " في كتابه ((في الشعر الاسلامي والاموى)). يحاول أن يعطي مفهوما كاملا لنشأة الظاهرة العذرية ، ويبين الأسباب التي أدت إلى ظهورها . ولذلك يرى أن ماجاء به " طه حسين وشكرى فيصل " من تفسير لهذه الظاهرة هو غير كاف ، لأن الظاهرة العذرية في نظره تحتاج لدراسة أعمق وتفسير أشمل يجعلنا نطمئن أكثر للأسباب الحقيقية التي عانى منها الإنسان العربي في تلك الفترة وجعلته ينفعل بها إنفعالا كليّا . لذلك فهو يضيف إلى التفسيرين السابقين تفسيرا ثالثا وهو التفسير الحضارى الإجتماعي ويرى بأن التغيير المفاجئ الذى أحدثه الإسلام في حياة العرب ، والذى نقلهم من واقع إجتماعي بدوي له خصائصه وعاداته وتقاليده إلى واقع إجتماعي متحضر يتعارض مع الكثير من الخصائص التي يعرفها المجتمع البدوي ، قد أحدث أزمة نفسية عنيفة لدى الإنسان العربي ، وأصبح متذبذبا بين القديم والجديد ، بين الحضارة الجديدة والتراث النفسي القديم المترسب في أعماق وجدانه . وفي مثل هذه الوضعية كان من الطبيعي ((أن يكون الشعور بالغربة أو الحنين أو الفقد من الرموز الصالحة للتعبير عن ذلك الصراع من خلال تجربة الحب العذرى)) (1) وهكذا تكون التجربة العذرية في نظره تعبيرا صادقا عن تلك الغربة التي كان يحس بها الفرد العربي في ذلك العصر لأنه وجد نفسه مرغما على مسايرة ذلك الوضع الجديد دون سابق تهيئ يجعله قادرا على التكيف معه بصورة تضمن له التعايش مع الواقع دون خسرانه لذاته .

لذلك فالإحساسات التي كانت تنازع الشعراء العذريين لاتتوقف عند حدود التعبير العاطفي فقط ، وإنما تتجاوزه إلى التعبير عن إهتمامات وقضايا أعم وأشمل .

وينتهي الدكتور " عبدالقادر القط " إلى أن الظاهرة العذرية قد نشأت نتيجة أسباب متعددة متظافرة ، دينية متولدة عن تأثر المجتمع بالعقيدة الإسلامية ، وسياسية متمثلة في ذلك الإنقلاب السياسي الذى إنتقل فيه المجتمع العربي الإسلامي من مجتمع يقوم على الشورى إلى مجتمع ملكي استأثر فيه بنو أمية بالحكم ، وإجتماعية متمثلة في تلك التقاليد الموروثة عن العصر الجاهلي والتي كانت تحول دون لقاء الشاعر بمن يحب وحرمانه منها بسبب تشهيره

---

1 - عبدالقادر القط في الشعر الاسلامي والأموي دار النهضة العربية 79 بيروت ص: 107

بها في شعره وحضارية متمثلة في تلك ((النقلة الحضارية الكبيرة من البداوة الى الحضارة وماكان لابد أن يتبعها من تمزق في النفس العربية بين القديم والجديد)) (1) وبذلك تكتمل في نظره الأسباب التي كانت تقف وراء ظهور الظاهرة العذرية في ذلك العصر.

أما طاهر لبيب في كتابه ((سو سيولوجية الغزل العربي)) فهو يرى من البداية بأن المجموعة العذرية لم تدرس الدراسة الكافية ، وأنه لفهم دلالات شعر شعراء هذه المجموعة لابد من الإلتزام بقراءة جديدة. لذلك تبقى في قراءته للظاهرة العذرية القراءة الإجتماعية للأدب ، لأنه يرى بأن قراءة النصوص الأدبية يجب أن تكون قراءة سياسية إجتماعية ، وأن هذا المنهج يدفع القارئ إلى فهم النص من الداخل بعد عزله عن المعلومات المسلطة عليه من الخارج سواء أكانت فكرية أم عقائدية أم إجتماعية . ومن ايجابيات هذا المنهج في نظره أنه بدل أن يدرس الباحث طائفة كبيرة ، أوجيلا بأكمله يدرس فئة محددة في الزمان والمكان ينطوي شعرها على إشارات إلى وضع خاص في مجتمع ذلك العصر وحياله. ومن خلال هذه الرؤية ينطلق في الحديث عن نشوء الظاهرة العذرية ، حيث يرجع نشوءها إلى ذلك التحول الذي عرفه المجتمع العربي بمجيء الاسلام ، وإنتقاله من النظام القبلي البدوي القائم على التنقل والحروب إلى النظام الإسلامي القائم على الأخوة ونظام الأمة والجهاد في سبيل العقيدة. وهذا التحول نقل الشاعر من الجو البطولي الملحمي الذي يتلاءم مع النظام القبلي إلى جو البطل المؤمن المدافع عن العقيدة والتوحيد ، وقد أدى ذلك إلى ظهور مجموعة غير متلائمة مع الواقع الجديد بل رافضة له ، نتيجة التحول الذي لحق طبيعة الأشخاص.

فالشاعر بعد أن كان في المجتمع القبلي الجاهلي سادي الشخصية لأن المجموعة القبلية قائمة على التنافس الملحمي الذي يبرز العلاقة السادية في المعركة ، تحول في المجتمع الإسلامي إلى شاعر مازوشي الشخصية ، لأن المجتمع الإسلامي حول التنافس القبلي إلى أخوة في الله فأصبحت السادية بدون موضوع وهذا الوضع أدى إلى ظهور عالمين متعارضين.

---

1 - المرجع نفسة ص : 131

((عالم قائم على التنافس في المنجزات الفردية ، ومغمور بصورة موت ، يجب أن يبحث عنه بذاته ولذاته ، لتحقيق مأساته ، من جهة أولى ، وبين عالم مغلق تصورا (أمة) وماديا (دار الاسلام) (1) .

وقد أدى هذا الوضع إلى بروز مجموعة لاتتلاءم مع هذا الوضع الجديد لأنها مرتبطة بموروثها القديم ولا تحاول أن تخرج عنه نظرا للظروف التي تعيشها وبذلك كانت المفارقة واضحة بين الشاعر الجاهلي الذى يملك الإختيار نظرا لنزعته الملحمية ، والشاعر الإسلامي المؤمن الذى فقد ذلك الإختيار بسبب إيمانه وارتباطه بالجماعة . فكان أن ظهرت مجموعة من الشعراء عبرت في شعرها وبشكل رمزي عن فقدها لذلك العالم الذى كان الشاعر يتمتع فيه بالإختيار لأنه عالم قائم على التنافس، والذى فقده بمجيء الإسلام ومن ثمّ ((كان على العذرى العاجز عن استعادة النمط القديم من التنافس الجاهلي ، أن يخضع لقوة الحب المطلقة ، وذلك على الرغم من بعض نزوات البطولة)) (2). لأنه أصبح يعيش في عالم لايتلاءم معه.

وهكذا كان ظهور المجموعة العذرية مرتبطا بالعصر الأموى الذى عرف احداثا سياسية واجتماعية ودينية كان لها أثرها الكبير في نفوس الناس ، وأدت تلك التحولات إلى تهميش المجموعة العذرية المتمثلة في قبيلة عذرة ، في الوقت الذى كانت تعيش فيه مجموعات أخرى ، وخاصة المجموعة الحاكمة أنواعا من البذخ بسبب تراكم الثروات لديها ، فكان على المجموعة العذرية الرافضة لذلك الوضع أن تعبر عن رفضها بذلك العشق المأساوى الذى رافقه إحساس قوي بالحرمان والظلم فالظاهرة العذرية في نظر " طاهر لبيب " ظهرت نتيجة وضع عرفة العصر الأموى ، أدى إلى تهميش المجموعة البدوية ، مما دفعها إلى التعبير عن رفضها لذلك الواقع المفروض عليها ، وحنينها إلى القيم الجاهلية القائمة على التنافس بين القبائل.

---

1 - طاهر لبيب سوسيولوجية الغزل (الشعر العذرى تمونجا) تر/ حافظ الجمالي وزارة الثقافة سوريا 81 ص : 77/ 78

2 - المرجع نفسة ص : 89

أما يوسف اليوسف في كتابه ((الغزل العذري دراسة في الحب المقموع)) فهو ، كذلك يرى من البداية بأن البحث عن نشوء الظاهرة العذرية لابد وأن يرتبط بتلك التحولات الإجتماعية التي عرفها ذلك العصر ، وماتركته من أثار بليغة في نفوس الناس آنذاك.فالتغيير الذي حدث في المجتمع رافقه تغير في الغزل العربي أنذاك ، فقد كان وقع الأحداث التي عرفها العصر قويا على نفوس الناس مما دفعهم إلى تغيير نظرتهم للواقع، فجاء إنتاجهم الشعري يعبر عن ذلك الإحساس لذا يجب ربط الظاهرة العذرية بالتاريخ و بالتحديد تاريخ القرن الأول - الهجري لأن ((الظاهرة العذرية التي سادت الشعر عهد ذلك لبضعة عقود من السنين ، لم تكن إلا انعكاسا لميل حركة التاريخ الموضوعية نحو شكم العشق ابتغاء استنفار الطاقات الفردية وتوظيفها في معركة التوسع الأمبراطوري العربي الساعي نحو الحفاظ على روح العالم متفجرة)) (1).

فظهور الظاهرة العذرية قد ارتبط ببداية بناء الامبراطورية العربية الإسلامية ، ومارافق ذلك البناء من استنفار لكل الطاقات من اجل هدف واحد يسمو على كل شيء الا وهو بناء الامبراطورية وصيانتها من الانهيار . وقد أدى ذلك إلى انشطار الفرد إلى اثنين ، بين متطلبات ذاتية نفسية داعية إلى العشق والسكينة ، ومتطلبات المجتمع الداعية إلى الحركة من أجل البناء فأصبح يعيش صراعا بين ماتريده طبيعته النفسية ، وبين مايريده المجتمع ، وأدى به ذلك الى الوقوع بين الرفض والقبول لأن الفرد لايتوافق مع حركة التاريخ إلا إذا كانت هذه الحركة تتوافق مع هدفه في الوجود ، وذلك مالم يتحقق له في ذلك العصر، فلم يجد بُدّاً من العودة إلى طبيعته الأصلية التي تنزع دائما نحو العشق والإتحاد بالأنثى طلبا للسكينة ، فكان سلاحه في ذلك الغزل للتعبير عن ذلك الوجع العشقي ، ورفضه للواقع الجديد الذي أصبح لايتلاءم معه ولايشارك فيه .

ولم يكن لهذه النزعة أن تظهر في العصر الراشدي ((وذلك لأن الافراد كانوا يقبلون كبت غرائزهم طواعية إبتغاء خدمة الضرورة التاريخية التي يتوافقون معها كل التوافق ، أما وقد قامت الدولة بفصل الفرد عن جسدها ، وأصبحت آلة في يد الارستقراطية الجديدة ، فلا بد إذن من افراز العذرية المتناقضة مع شرطها التاريخي

---

1 - يوسف اليوسف الغزل العذري(دراسة في الحب المقموع) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1981 ص: 11

وماذلك إلا لأن الأفراد لايتنازلون عن غرائزهم العشقية إلا من أجل مايسمو عليها))[1] (1). وعليه فالظاهرة العذرية في نظر يوسف اليوسف قد جاءت كإحتجاج لما آلت إليه الأمور في العصر الأموي ، ومالحق الفرد من تصدع نفسي جعله يعيش بؤرة التوتر الكثيفة أو الإنشطار إلى ذاتين ذات تريد أن تتشبث بأصالتها الطبيعية ، والتي تنزع دائما نحو العشق ، وذات من صنع المجتمع تنزع نحو الحركة وتعمل على تهميش العشق من أجل دفع المجتمع نحو التطور والتقدم الحضاري ((ومن هنا كان الشعر العذري يعكس التمزق بين المثال والحاجة ، وبين الكلي والجزئي ، أوبين رغبات المجتمع ومشاريعه وبين رغبات الفرد وحاجاته))(2) وتلك هي حقيقة النزل العذري لأن كل ((تعليل للعذرية لايربطها بحركة الامبراطورية وبخط القتال ـ خط التوسع على الحدود ، وخط التناحر السياسي في الداخل ـ سيظل عاجزا عن الإحاطة بعوامل نشوئها بل حتى بمحتواها العميق))(3) فالربط بين الظاهرة العذرية وحركة التاريخ آنذاك هو الذي يسهل فهم الظاهرة العذرية ويؤدي بالباحث إلى الإهتداء إلى أسباب نشأتها . ا

-أما النقطة التي يلتقي فيها كل من عبدالقادر القط ، وطاهر لبيب ، ويوسف اليوسف فهو تأكيدهم على غربة الشاعر العذري ولكن كل واحد منهم يحاول أن يربطها بسبب من الأسباب له علاقة بما يجري في المجتمع أنذاك .

فعبدالقادر القط يرجع غربة الشاعر العذري إلى ذلك الوضع الجديد الذي عرفه المجتمع العربي بمجيء الإسلام ، والذي لم يكن المجتمع مهيأ له .

وطاهر لبيب يرجع غربة العذري إلى ضياع النمط القبلي الجاهلي القائم على التنافس مع مجيء الإسلام وعجز الشاعر العذري عند استرجاع ذلك النمط ، وعدم قبوله للنمط الجديد .

أما يوسف اليوسف فيرجع غربة العذري إلى تلك الوضعية التي كان يعيشها بسبب التصادم الواقع بين مايريده هو ومايريده المجتمع منه فهو يعيش الانشطار بين ذاتين أي بين رغبة الذات ورغبة المجتمع .

إن هذه القراءات تجمع على نقطة أساسية تتمثل في أن غربة الشاعر العذري متولدة عن تلك الأحداث والتغيرات التي كان يعيشها مجتمعه أنذاك ، والتي لم يستطع أن يتلاءم معها .

---

1 ـ المصدر السابق: ص: 14

2 ـ المصدر السابق: ص: 30

ـ

كما أن كل تلك القراءات السابقة للظاهرة العذرية تتفق كلها على نقطة جوهرية وهي عدم تكيف الشاعر العذري مع واقعه الإجتماعي.

وأن التغيرات التي عرفها المجتمع في ذلك العصر سواء كانت سياسية أودينية أوحضارية أواجتماعية كانت هي السبب في نشوء الظاهرة العذرية وازدهارها

ولكن ومع تقديرنا الكبير لجهود هؤلاء النقاد والباحثين يمكننا أن نشير إلى مايلي:

اولا : ان الفقر لايمكن أن يكون طريق الانسان إلى العشق، لأن حياة الانسان مرتبطة بالطعام قبل غيره ، وأن الدولة الأموية أنذاك لم تطبق سياسة التفقير على المجتمع البدوي ، بل كانت وسائل العيش متوفرة أمامه بسبب إتساع رقعة الدولة الإسلامية عن الفتوحات .

كما أن التزهد كان مركزه المدن وليست البوادي لكثرة العلماء ورجال الدين بالمدن خصوصا مكة والمدينة .

ثانيا : ان العفة وكما تفهم من تعاليم الإسلام هي شكم النفس عن الشهوات وردعها عن المقبوحات وصدها عن المحرمات ، لذلك فطلب العفة ((يكون بضبط النفس وحفظ الحواس عن الإستجابة للشهوات ، وعدم الخوض فيما يثير هذه الشهوات من أحاديث اوعوامل أخرى ، وأن يعالج الإنسان نفسه بمثل الصوم أوالعبادة أوالعمل)) (1) فالإنسان المسلم سواء كان رجلا أوامرأة مطالب بغض البصر وحفظ الفرج وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن)) (2).

وقد أصاب سيد قطب في إيضاح حقيقة العفة في الإسلام عندما تعرض لتفسير الآيات السابقة حيث يقول ((وغض البصر من جانب الرجال أدب نفسي)). ومحاولة للإستعلاء على الرغبة في الإطلاع على المحاسن والمفاتن في الوجوه والاجسام

---

1 - د.احمد الشرباصي موسوعة أخلاق القرآن الكريم ج 1 دار الرائد العربي ط 1 / 1971 بيروت ص : 02

2 - سورة النور الآية 30 - 31

كما أن فيه اغـلاقـا للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية ، ومحاولـة عملية للحيلولة دون وصول السهم المسموم ! وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعيـة لغض البصر والخطوة التالية لتحكيم الإرادة ، ويقظة الرقابة والإستعـلاء على الرغبة في مراحلها الأولـى)) (1). وهكذا تكون العفة في الإسلام مقرونـة بغض البصر وحفظ الفرج .

ولكن مايلاحظ على الشعراء العذريين هو عكس ذلك تماما ، وماالإكثار من وصـف محاسن المحبوبة الجسدية ،وذكر اللقاءات معها إلا دليل على ذلك.

ثالثا : ان الانقـلاب الذى أحدثه الاسـلام في المجتمع العربي لم يضع الإنسـان العربي في أزمة نفسية ، بل خلصه من تلك الأوهام التي كان يعيش فيها وأثـار أمامه درب التفيفة لمعرفة من هو؟، ولماذا خلق؟، وماهو دوره في هذا الوجود،؟ ودفعه ذلك إلى القيام بدوره في هذا الوجود .

رابعا : ان تصور العذرى على أنّه إنسان متشبث بعادات وتقاليد المجتمع الجاهلـي بعد ذلك التغير الذى أحدثه الاسـلام في المجتمع العربي يعد إجحافا في حقـه كإنسان يتأثر بما يتأثر به محيطه ويطمح دائما إلى التغيُّر والتبدُّل وتلك طبيعـة البشر في الوجود .

خامسا : ان شكم العشق بدعوة استنفار أفراد المجتمع لبناء الحضارة أمر لايتفـق وطموحات الإنسان والمجتمعات في بلوغ السيادة وبناء الحضارة

ولكن وعلى الرغم من هذا فإن القراءات السابقة وعلى إختلاف مناهجها وجدية معلوماتها، فهي لم تغلق باب الإجتهاد والبحث في هذه الظاهرة ، بل شجعت عليها وأثارت الحاجة إلى المزيد من البحث والتنقيب . وذلك مادفعنا إلى قراءة الشعر العذرى قراءة متأنية محاولة منا ايجاد تفسير يساهم إلى جانب القراءات السابقة فـي توضيح الرؤية وفهم أوسع للظاهرة وإننا في محاولتنا هذه لاندعى لأنفسنا الوصول إلى مالم يصل اليه الآخرون، وإنّماهـي محاولة يمكن أن تصيب ويمكن أن تخـطء

---

1 - سيـد قطـب في ظلال القرآن مج 4 دار الشروق بيروت ط10/ 1982 ص: 2512

الفصل الأول

الظاهرة العذرية

إن البحث في نشأة الظاهـرة العذرية يقتضي معرفة العلاقة التي تربـط بين الرجل والمرأة، والأسس التي تقوم عليها تلك العلاقة ، وأثر ذلك كلـه في عـلاقة الإنسـان بالكون وبمحيطه الإجتماعـي . ومن خلال هذا التصور تناولنا الظاهرة من النواحي التاليـة :

1 - العـلاقـة في الموروث الإنساني القديم (تصور أسطوري) .
2 - // في الفكر الغربي الحديث (تصور نفسي وجودي).
3 - // في القـرآن الكريـم (تصور دينـي).
4 - // في الخطاب الشعري العذري (تصور عشقـي).

1 - العـلاقـة في الموروث الإنساني القديم:

إن المطلع على الموروث الأسـطوري القديم يلفت إنتباهه تلك المكانـة التي كانت تحتلها المرأة في حياة الشعوب قديما .ولذلك نجد أن البشرية فـي عهدها القديم وعلى إختلاف أجناسها قد أعطت للمرأة مكانة كبيرة وصلت إلـى درجة التقديس فكانت إلهة معبودة لكثير من الشعوب . وحتى لانتيه في الأساطيـر القديمة ، فإننا سنتعرض لأسطورتين فقط الأولى بابلية والثانية يونانيـة ففي التراث البابلي القديم نجد في ملحمة ((أَتْرَاحاسِيس)) (1) أن الإله (أَنْلِيلْ) ملك الآلهة يكلف إحدى الإلهات بخلق الإنسان ((فخلطت دم أحد الآلهة الصغار - الذى ضحى لهذا الغرض - بالطين وصنعت من الخليط سبع صور ذكور وسبع صور إناث وسرعان ما دبت الحياة فيها ، فكانت أوائل البشر))(2).

إن هذه الأسطورة تضعنا أمام قضية هامة تتعلق بنشأة البشر ، وهي أن كلا مـن الرجل والمرأة قد خلقا منفصلين عن بعضهما البعض من جهة ، وممتزجين بروح إلـه من جهة أخرى . ولذلك فالإنسان يتوفر على جانب إلهي وجانب مادى ، وأن الفضـل في وجوده يرجع إلى سخاء الأنثى فهي التى تطوعت وعملها ذلك هو الذى دفع البشريـة

---

1 - ينظر طه باقـر مفهوم الزمن في حضارة وادى الرافدين مجلة افـاق عربية عدد 10/ 1977 العـراق ص: 45

2 - المرجع نفسة ص: 45

فيما بعد إلى إجلال وتقديس الأنثى قرونا من الزمن. والشيء الثاني الذي يمكننا استخلاصه من الأسطورة السابقة هو أن كلا من الذكر والأنثى قد خلقا من أجل التناسل والانجاب ، لأن الهدف من خلقهما هو من أجل التكاثر لخدمة الآلهة .

وهكذا نجد أن الفكر البابلي القديم كان يرى أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة تناسل ، وأن دافع الإرتباط بينهما هو دافع غريزي جنسي . والملاحظ على هذه الأسطورة أنها لاتطرح قضية الترابط الروحي بين الرجل والمرأة . وإذا كانت هذه هي نظرة الفكر البابلي القديم لعلاقة الرجل بالمرأة فإن الموروث اليوناني القديم والذي ورث الحضارة البابلية وحضارات أخرى ، قد ترك لنا أسطورة تختلف نوعا ما عن الأسطورة السابقة الذكر. والأسطورة التي نتحدث عنها هنا هي أسطورة الإنشطار التي وردت في كتاب (المأدبة) لأفلاطون (1) والتي تذهب إلى أنه في بداية الأمر كانت هناك ثلاثة نماذج من البشر الرجل والمرأة والخنثى. وأن النوع الأخير أي الخنثى سبب مشاكل للآلهة بتمرده عنها ، فقام الإله ((زيوس)) بشطره إلى شطرين ((كما تشطر البيضة بشعرة حصان))(2) وبذلك وضع حدا لتمرده. ولكن ذلك لم يحل المسألة نهائيا بل خلق قضية أخرى وهي ان بَقِيَّ كل نصف ((يتوق إلى نصفه ويلحق به ، ويلف كلٌ منهما ذراعيه حول جسد الآخر ، راغبيْنِ ألاّ يكونا سوى كائن واحد ، وكان ينتهيان بالموت جوعا وبصفة عامة إلى العجز عن العمل ، لأنهما كانا لايريدان أن يعمل احدهما شيئا بدون الآخر))(3) فأدركت الآلهة أن ذلك ليس في صالحها وشعر ((زيوس)) بضرورة تدخله ((ففكر في حيلة جديدة ، فنقل عوراتهم إلى الأمام ، إذ كانت في الواقع حتى ذلك الحين في الناحية الأخرى، وأصبح أحدهما ينجب من الآخر بعد أن كان التكاثر والإخصاب من عمل الأرض)) (4) .

إن هذه الأسطورة تبين لنا بأن العلاقة بين النصفين (الذكر والأنثى) كانت في البداية علاقة روحية ، ولكن بعد تدخل ((زيوس)) أصبحت روحية جنسية وبهذه

---

1 - ينظر أفلاطون المأدبة تر/ علي سامي النشار وآخرون دار الكتبة الجامعية 70 بيروت ص : 43

2 - المصدر نفسة ص : 43

3 - المصدر نفسة ص : 44

4 - المصدر نفسة ص : 44

العلاقـــة استمر الوجود البشرى في التكاثر ، كما ((أن حب البشر بعضهـــم لبعض تأصل في قلوبهم منذ ذلك الوقت السحيق ، ذلك الحب الذى يجمع شمل طبيعتنا الاولى، وهو الحب الذى يسعى إلى أن يجعل من مخلوقين مخلوقا واحدا ، ويصيـــر على هذا الوجه شفاء للطبيعة البشرية))(1). بهذا المفهوم تطرح أسطورة الإنشطار العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها علاقة روحية جسدية، لأنه لايتم كمال أحدهما إلا بالآخـــر ، وعليه فسعادة كل منهما في هذه الحياة متوقفة على سعادة الطرف الآخر والتقائه به ، وإذا لم يتحقق له ذلك فسيكون شقاؤه وعدم إستقراره النفسى في هذا الوجود.

وقد كان لأسطورة الإنشـطار تأثير كبير في الفكر الإنساني فيما بعد، فقد تأثر بها بعض المفكرين المسلمين نذكر منهم ((إبن حزم الأندلسى)) في كتابه ((طـــوق الحمامة)) حيث يقول فيه عندما يتعرض للحب بين الرجل والمرأة ((والذى أذهـب اليه أنه إتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرهـــا الرفيع)) (2) . وهو بكلا مهما يجسد فكرة الإنشطار.

---

1 ـ المصـــدر السابـــق ص : 45

2 ـ ابن حزم الاندلســـي طوق الحمامة. تح / فاروق سعد دار مكتبة الحياة 1972 بيروت ص : 61

العـــلاقـــة فـي الفكـــر الغربـــي الحديـث:

من المعلوم على الفكـــر المغربي الحديث بأنه وليد الفكر اليوناني القديم حيث أننا نجد ((للأساطير اليونانية مكانة خاصة في الأدب الأوربي لأن الشعـــراء الاقدميـــن تداولوها واعادوا صياغتها بأساليب فنية اغرت من أتي بعدهم من شعـــراء أروبا بالإستفادة منها في شعرهم حتى أصبحت المثيولوجيا اليونانية جزء لايتجـــزء من الأدب الأوربي الحديث لاسيمـــا الشعر اذ يصعب فهم جزء كبير منه دون الالمـــام بالاسطورة اليونانية)) (1). ومن ذلك فالروابط وثيقة بين الفكر الأوربي الحديـــث والميثيولوجيا اليوناية ((فالأسطورة من أقدم المؤثرات وأعظمها أثرا علـــى الحضارة الإنسانية . وهي وثيقة الصلة بكل الأفعال الإنسانية الأخرى فهي لاتنفصل عن اللغة والشعر والفن والفكر التاريخـــي في صورته القديمة)) (2) .

وهكذا فالأسطيـــر هي الزاد الثقافي الإنساني الذى لايمكن للبشرية الإستغنـــــاء عنه مهما بلغت من تطور علمي وثقافي. لذلك نجد في الفكر الحديث علوما كثيـــرة استمدت افكارها من الأساطير اليونانية القديمة .

فالعالم ((سيجمون فرويد)) صاحب التحليل النفسي (إتجه ((إلى العناية بالأساطير ورعايتها في عناية فائقة وكأنه يُعنَي بمريض ويحرص على مـــلازمة فراشـــه))(3) . فقد اعتمد على أسطوره ((أوديب)) كثيرا في تحليله للأعمال الأدبية لعـــــدد من الأدباء . كما إعتمد على أساطير يونانية اخرى في اعماله وبحوثه النفسيـــة، وحتي بعض المصطلحـــات التي كان يستعملها أخذها من تلك الأساطير ، والمتتبـــع لأفكاره يجد أنه يرجع كل تصرفات الإنسان إلى الغريزة الجنسية ، وكأن الـــذى يحرك الإنسان في هذا الوجود هو غريزته الجنسية لاغير . وهو يذهب إلى ((أن الانسان يولد مزودا بطاقة نفسية تدعى ((الليبيدو)) وهذه الطاقة هي التي تكمن وراء ، السلوك الإنساني)) (4).ويرى بأنه بإكتشافه هذا قد وصل الى مالم يصل إليه غيره

---

1 ـ د. حسام الخطيب محاضرات في تطور الادب الاوربي مطبعة طبرين سوريا 1975 ص : 32/31

2 ـ ارنست كاسيرر الدولة والاسطورة تر/ احمد حمدى محمود الهيئة المصرية للكتاب 1975 ص : 41

3 ـ المرجع نفسة : ص : 49

4 ـ د. فيصل عباس الشخصية في ضوء التحليل النفسي دار المسيرة ط 1 / 1982 بيروت ص: 59

من الباحثين وانه بذلك قد سبق غيره . حيث يقول ((وما من مؤلف فيما أعلم تنبه إلى أن الغريزة الجنسية تظهر ظهورا منتظما لدى الطفل)) (1) .

والذى يمكننا استخلاصه من فكرة ((فرويد)) هو أن حياة الإنسان في هذا الوجود تقوم على الغريزة الجنسية ، وأن كل تصرفاته متوقفة على تلك الغريزة ، ومن ثم فعلاقة الرجل بالمرأة هي علاقة جسدية يحركها الدافع إلى الاشباع الجنسي ، وفي حالة كبت هذه الغريزة يصاب الإنسان بعقد كثيرة تؤثر في سلوكه وحياته وعلاقته بالاخرين .

أما ((ألفرد ادلر)) تلميذ ((فرويد)) فهو يرى بأن الدافع الذى يقف وراء علاقة الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل هو ((النزوع الى الكمال الذى يفترض اكتمال الشخصية وكليتها وشمولها))(2) فشخصية الانسان تكون ناقصة ولذلك تقوم بالبحث عن الذى ينقصها ويعطيها كمالها ، وعليه ((يحب الرجل إمرأة فيها قدر من الانوثة يكمل ماينقصه ، وتحب إمرأة رجلا فيه قدر من الرجولة هو الذى ينقصها))(3) .

وبهذا المفهوم يكمل ((أدلر)) الجانب الثاني من أسطورة الانشطار بعد أن تناول ((فرويد)) الجانب الجنسي منها .ف ((أدلر)) عندما يذهب إلى أن الذات تنزع الى الإتحاد بالذات الأخرى لإكمال شخصيتها فإنّما يريد أن يقول - وكما جاء في الأسطورة من قبل - إن الشخصية تكتمل بالتقاء النصفين المنفصلين عن بعضهما البعض ، وبذلك فالعلاقة عنده هي علاقة تكامل ذكورية أنثوية .

أما الوجودية فهي ترى بأن العلاقة بين الرجل والمرأة ترجع إلى تملك الغير للإكتمال . ولذلك فالحب ((بالمعني الوجودي هو إمتصاص الذات للغير وافناؤها له في داخلها ، والدافع إليه تملك الغير كأداة لتحقيق الممكن ومن هنا ارتبطت به فكرة التملك الخاص ، مما يسمونه الإخلاص في الحب أو الأمانة في الزواج))(4). وهكذا فالمحب يمتلك المحبوب لتحقيق الإمكان الذى يزيد في سرور الذات ، ومن ثمّ فالحب ((يتصف أولا بأنه لايشترط فيه التبادل، وثانيا بأنه على إرتباط وثيق بالخَلْق والإنتاج أي بغريزة التناسل)) (5) وهذا هو مفهوم الفكر الوجودي

1- سيغمون فرويد ثلاثة مباحث في نظرية الجنس تر/ جورج طرابيشي دار الطلعة ط1 / 81 بيروت ص : 48

2- فاليرى ليبين التحليل النفسي والفرويدية الجديدة تر/ نزار عيون سود دار الوثبة دمشق ص : 127

3- د. احمد الحوفي الغزل في العصر الجاهلي دار نهضةمصر للطبع والنشر القاهرة ط 3 ص : 130

4- عبد الرحمن بدوى دراسات في الفكر الوجودى دار الثقافة ط3 / 1973 بيروت ص:130

5- المرجع نفسة ص : 130

للعلاقة، فهو قائم على احتواء الغير والارتباط الجنسي ، وهذا المفهوم لايخرج عمّاجاء به التحليل النفسي لأن الأصل واحد.

وقد يتضح لنا هذا المفهوم أكثر مع ((اريك فروم)) الذي يرى بأن انفصال الإنسان عن الطبيعة عند ماتطور وعيه أدى به إلى الإحساس بقلق الإنفصال ، فكان عليه أن يجد حلا لأزمته تلك ، فلم يجد طريقا لذلك إلا طريق الحب فـ((الحب يجعله يتغلب على الشعور بالعزلة والإنفصال)) (1) وبذلك يحقق اتحاده بالغير. وبهذا المفهوم يكشف " اريك فروم " بأن كلا من الرجل والمرأة هو في حاجة الى الآخر لان ((الحاجة الوجودية الشاملة للوحدة تنشأ حاجة بيولوجية أكثر خصوصية ، الرغبة في الوجود بين قطبي الذكر والانثي))(2). وهذا الارتباط هو ضرورى للحياة ((ان الرجل والمرأة لايجدان وحديتهما داخل نفس كل منهما الا في وحدتهما الذكرية الانثوية)) (3) .

ف((اريك فروم)) يرى بأن العلاقة بين الرجل والمرأة قائمة على الاتصال الروحي الجسدى المتولد عن إلتقاء قطبي الذكورة والانوثة. وخلاصة القول من هذا كله أن الفكر الغربي الحديث لم ينفصل عن أصوله الأولى المتمثلة في الميثولوجية اليونانية القديمة في بعض اتجاهاته ، لذلك جاءت نظرته لعلاقة الرجل بالمرأة مطابقة لماتذهب إليه تلك الأصول الأولى. ولكن الجانب الغالب على تلك العلاقة هو الجانب الجسدى الغريزى ، فهو الرابط بين الذاتين.

---

1 - اريك فروم فن الحب تر / مجاهد عبد المنعم مجاهد دار العودة ط 1/1972 بيروت ص : 46

2 - المرجع نفسة : ص : 63

3 - المرجع نفسة : ص : 64

العـــلا قـــة في القـــرآن الكريـــم.

إن الدافـــع الذي أدى بنا إلى البحث عن علا قة الرجل بالمرأة في القـرآن الكريم هو أننا نؤ من بأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى يُمْكِنُنـــــا أن نجد فيه مفاتيـــح تلك العلا قـــة وذلك لسببيـــــن:

أولا : ان القـــرآن الكريم يتنا ول قضية الإنسان وعلاقته بالكون و بغيره بطريقـــة دقيقـــة لايمكننـــا أن نجـدها في أي كتاب آخر مهما كانت دقته العلميـــــة

ثانيا : ان الظاهرة العذرية التي نريد أن نعرف حقيقتها ازدهرت في عصر سيطـــر فيه القرآن الكريم على فكرة العـــرب المسلمين ، ووجه حياتهم وسلوكهم ولهـــذا فقد وقع اختيارنا على ثلا ثة نصوص من القرآن الكريم ، سنحا ول من خـــلا لها فهم العلاقة بين الرجل والمرأة وســر تعلق كل ذات بالأخـــــرى .

النص الاول: قوله تعالى:((هُوَ الَّـــذِى خَلَقَكُـــم مـن نَفْـسٍ وَاحِـدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهـــا زَوْجَها لِيَسْكُـــنَ إِلَيْهَـــا))(1).

النص الثاني: قوله تعالى:((وَمِـن آياتِـه أَنْ خَلَـقَ لَكُـمْ مِنْ أَنفُسِكُم أَزْواجًـــا لِتَسْكُنُـــوا إِلَيْهـــا وَجَعَـلَ بَيْنَكُـــم مَـــوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِي ذلك لَأيَاتٍ لِقَـــــوْمٍ يَتَفَكَّـــرُونَ)) (2).

النص الثالث: قوله تعالي:((هُـنَّ لِبَـاسٌ لَكُـم وأَنْتُـم لِبَـاسٌ لَهُـــنَّ))(3).

إن هـذه النصـوص القـرآنيـة تضعنـا أمـام الحقائـق التاليـة:

- أن أصـل الإنســان واحد وأن كل البشرية قـد جـاءت من نفس واحـــدة ،

1- ســـورة الاعـــراف الايـــة: 189

2- ســـورة الـــروم الايـــة: 21

3- ســـورة البقـــرة الايـــة 187

فذات " آدم " هي الأصل ومنها جاءت" حواء " ومنهما جاءت البشرية

- أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة سكن ولباس ومودة ورحمة قبل أن تكون علاقة جنس وجسد (1).

فالنصوص القرآنية السابقة تبين لنا بأن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة سكن ولباس،وحتي يتضح لنا هذان المصطلحان أكثر نحاول أن نعرف معناهما اللغوي .

فقد ورد في لسان العرب لابن منظورة مايلي :

السَّكَنُ كل ماسكنت إليه واطمأنت به من أهل وغيره ، وربما قالت العرب السكن لما يُسْكَنُ إليه (.....) والسكن: المرأة لأنها يسكن إليها (2) .

ولباس كل شيء غشاؤة . ولباس الرجل امرأته ، وزوجها لباسها (.....) ، والعرب تسمي المرأة لباسا وإزارًا .(3).

أما المفسرون للقرآن الكريم فهم عندما يتعرضون لتفسير النصوص السابقة الذكر يوضحونها كمايلي :

فقد ورد في تفسير ((الكشاف)) للزمخشري مايلي :

((لِيَسْكُنَ اليها : ليطمئن إليها ويميل ولاينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبيه آنس وإذا كانت بعضاضه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسة لكونه بضعة منه)) (4).

وجاء في ((التفسير الكبير)) للرازى التوضيح التالي :

((يقال سكن إليه للسكون القلبي ، ويقال سكن عنده للسكون الجسماني))(5).

ومن التوضيح السابق يمكننا أن نقول أن علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة اطمئنان ناتج عن أصل المنشأ ، لأن الشيء يسكن إلى أصله ، والنفس الإنسانية بما أنها من أصل واحد فهي تطمئن لجنسها وترتبط به ، وتعمل على الإتحاد معه عن طريق الحب والعشق وبذلك يطمئن القلب وتسكن النفس،فحنين الرجل إلى المرأة هو

---

1 - ينظر سيد قطب في ظلال القرآن مج: 3 دار الشروق ط10/1982بيروت ص : 1411

2 - ابن منظور لسان العرب ج 13 دار صادر للطباعة والنشر1968 بيروت ص: 212

3 - المصدر نفسة ج: 6 ص: 203

4 - الزمخشري الكشاف ج: 2 دار المعرفة بيروت . ص: 108

5 - الرازى التفسير الكبير ج: 25 دار احياء التراث العربي ط:3 بيروت ص: 110

حنينه إلى نفسه لأنها جزء منه،وحنين المرأة إلى الرجل هو لكونه موطنها الذى نشأت فيه (1).

أما فيما يخص أنّ المرأة لباس للرجل والرجل لباس للمرأة ، فقد ذهب" الرازى" في تفسيره السابق إلى ((أنه تعالى جعلها (أي المرأة) لباسا للرجل من حيث أنه يخصها بنفسه كما يخص لباسه بنفسه ، ويراها أهلالأن يلا قي كل بدنه كل بدنها كما يعمله في اللباس))(2). ونستنتج من قوله هذا أن درجة التقارب بين الجنسين تؤ دى إلى الإرتباط الوثيق بينهما مثل مايكون في حالة اللباس أثناء إلتساقه بجسد صاحبه .

أمّا الزمخشري فيقول في ذلك ((ولما كان الرجل والمرأة يعشقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه))(3) .

وهكذا نجد أن القرآن الكريم عندما يجعل من المرأة سكنا للرجل فلأنها توفر له السكينة والطمأنينة النفسية التي لايمكنه أن يحصل عليها إلا إذا وجد من يسكن روعه ويذهب قلقه ، والمرأة هي المخلوق الوحيد القادر على ذلك ، فالسكون الى المرأة هو سكون قلبي وليس سكونا جسديا ، والسكون القلبي أفيد للإنسان من السكون الجسدى ، لأن السكون القلبي يسكن قلق الذات بينما السكون الجسدى يسكن شهوة الذات وشتان ما بين الأولى والثانية .

أما عندما يتكلم (القرآن الكريم) عن اللباس فهو يبين مدى عمق الترابط بين الرجل والمرأة ، فالرجل لباس للمرأة والمرأة لباس للرجل ، وهنا نجد أن إتجاه السهم لم يبق مركزا نحو إتجاه واحد - أي من الرجل إلى المرأة - وكأن الرجل وحده هو الذى يحب وهو الذى يبحث عن المرأة ، بل المرأة كذلك تحب وتبحث عن الرجل ، لذلك كان هو لباسها وهي لباسه .

إن ((اللباس ألصق شيء ببدن الإنسان وهو الستر الذى يستتر به ، وهو في الوقت ذاته مفصل على قده لاينقص ولايزيد ، والرجل والمرأة ألصق شي بعضهما ببعض يلتقيان فإذا هما جسد واحد وروح واحدة . وفي لحظة يذوب كل منهما في الاخر

1- ينظر ابن عربي الفتوحات الملكية ج 1 دار صادر بيروت ص : 124

2- الرازى التفسير الكبير ج 5 ص : 106

3- ينظر الزمخشرى الكشاف ج ص : 115

فلا تُعْرَف لهما حدود، وهما ابدا يهفوان إلى هذا الاتصال الوثيق الذى يشبه اتحاد اللباس بلا بسه))(1). كل منهما يرى في الآخر ملاذا له من وحدته وملجأ لنفسه، وطمأنينة له من قلقة وبأسيه، وذلك لما يوفره له من سكينه وطمأنينة نفسية. وعلىه فإننا عندما نعود إلى الحياة الأولى للإنسان وهو طفل نجد أن إرتباطه بأمه متين لأنه سكن رحمها مدة تسعة أشهر ولازم صدرها مدة عامين حسب مايبينه القرآن الكريم:

قال تعالى ((والوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)) (2).

فالقرآن الكريم يبين لنا بأن علاقة الطفل بأمه تدوم مدة طويلة تقارب ثلاث سنوات منها تسعة أشهر في رحمها تغذيه وتحميه، فرحمها كان سكنا له ينعم فيه بالسعادة الكاملة ولايحتاج إلى شيء فهو يتغذى من دمها ولحمها، ويأخذ من راحتها وصحتها، ولا سعادة لها إلا بسعادته.

ولكن تلك الحياة لاتدوم طويلا ويأتي يوم الخروج إلى الدنيا، ومغادرة ذلك المكان الذى ألفه. فلحظة الميلاد هي نهاية لتلك الحياة التي كان الطفل يمثل فيها مع أمّه وحدة واحدة، وبداية لحياة جديدة تواجه فيها الذات صراعا مع واقعها الخارجي حتى يمكنها التأقلم معه.

ولما أصبحت العودة إلى عالم الرحم (مكان الألفة الأول) مستحيلة كان عليه أن يتشبث بالحضور المادي لأمه، فصلته بأمه تبقى قائمة ومتينة، فهي ترضعه وتغذيه، وتعطف عليه، وتوفر له السكينة والطمأنينة النفسية، ولكنه عند الفطام يتعرض للإنفصال الحقيقي عن الأم ولكنه يبقي يحمل في لاشعوره ذلك الحنين القوى إليها.

ويجب أن نشير هنا إلى نقطة هامة هي أن حنين الإبن لأمه ليس كما فسره:

---

1 - محمد قطب الإنسان بين المادية والاسلام دار الشروق ط2/1983 بيروت ص: 96

2 - سورة البقرة الآية: 233 .

((سينجموند فرويد)) عندما ربطه بالنزوع الجنسي والعلاقة بالمحارم، وإنّما هو في رأينا يرجع إلى تلك العلاقة الروحية التي تجمع بين الذات وموطنها الأول الذى نشأت فيه . فعلاقة الطفل بأمه هي علاقة روحية تكونت خلال تلك المدة التي عاشها معها.

إن الطفل في حياته يتعرض لصدمتين:

الأولى: صدمة الميلاد وفيها يفقد السكن الحقيقي (رحم الأم) موطن النشأة.

الثانية: صدمة الفطام وفيها يفقد السكن النفسي الذى كان يوفره له الحضور المادي لأمه .

وهذا التحول في حاته يدفعه إلى البحث عن البديل الذى يوفر له السكن النفسي لمواجهة محيطه الخارجي فيجد ذلك في أسرته برعاية الوالدين، ولكنه عندما ينضج ويتطور وعيه يبدأ يبحث عن بديل آخر خارج الأسرة لأنه ((في نفس الوقت الذى تغير فيه المأوى تغيرت أيضا طريقة الحياة)) (1) . فعندما يحس بأن الوحدة خطر أصبح يهدد حياته ، لماينجر عنها من خوف وقلق وإحساس بعدم الطمأنينة والأمان ، لايجد ملاذه وملجأة إلا في الجماعة لأن دافع الإتصال في نفسه أقوى من أي دافع آخر ((فمنذ حدث على ظهر الأرض أن وجد فردان من النوع البشرى، يشتركان في علاقة معينة ، لم يكن هناك فرد له وجود كامل الإنفصال بجسمه ومشاعره وأفكاره وأعماله))(2).

ولكن ارتباط الإنسان بالجماعة لايكون إلا من خلال حبه للذات الأخرى،((فالإحساس الجنسي هو أعنف الأحاسيس التي تخطر في نفس الفرد بعد إحساسه بذاته)) (3) . ولكن ذلك وكما اشرنا من قبل لايوفر لها الطمأنينة النفسية التي تبحث عنها الذات الإنسانية إلا إذا ساد العلاقة بين الذاتين الرابط الروحي لأن الذى يبتغيه الرجل من المرأة ((نور بعيد ، حميم، يهديه في حياته ليس يقف به أبدا عند الذى تكون عليه الحياة ، ولكن لايفتأ يدفعه إلى المزيد من مجهول قواه ومن اكتشاف العالم))(4) .

1- الكسيس كاريل الانسان ذلك المجهول تر/ سعد فريد مكتبة المعارف ط4 /85 بيروت ص26

2- محمد قطب الإنسان بين المادية والاسلام ص: 112

3- المرجع نفسة : ص: 165

4- رينة حبشي بدايات الخليقة تر/ خليل رامز سركيس المنشورات العربية بيروت ص128

وقد جانب الصواب رجال الصوفية عندما ذهبوا إلى أن حب الله لايتأتّى للفرد إلا بعد أن يمر بتجربة حب البشر، ذلك الحب يتمثل في حب الأنثى لأنها هي الطريق إلى حب الله، خصوصا وأنّ المرأة قد وصلت عند الشعوب القديمة إلى درجة التقديس لأنها منبع الرحمة والعطف والمودة والطمأنينة والسكينة النفسية ومن ثمّ ((فحنين الرجل إلى المرأة إنّما هو حنين الكل إلى جزئه ، والشيء إلى نفسه. كما أن حنين المرأة إليه هو حنين الشيء إلى وطنه))(1).

وهذا الترابط الروحي بين الذاتين هو الذي يدفع كل منهما إلى البحث عن الآخر، وتحمل المصائب وكل ما يعترض طريقه من أجل تحقيق ذلك.

إن القرآن الكريم يفتح بصيرتنا علي ذلك السر الذي يقف وراء علاقة الرجل بالمرأة، والمتمثلة في تلك العلاقة الروحية التي تتجاوز العلاقة الميكانيكية الفزيقية التي مصدرها النزعة الجنسية. أما العلاقة الروحية فهي العلاقة التي تسمو بالإنسان إلى إنسانيته لما توفره له من طمأنينة نفسية وسعادة حياته، ف ((حينما يستحيل الحب إلى هوى عميق يطوي نفس صاحبه في جو روحي عامر بالسكينة ، فهنالك تصبح المشاركة القائمة بين القلبين أعمق بكثير من كل ما تنطوي عليه حياة الوعي أو الشعور ، كأنّما هي قد استحالت إلى نور صافي يلمس برقة ناعمة أعماق الحياة الروحية للكائنين المتحابين))(2) وبهذه العلاقة الروحية يبدأ الإنسان خلق الأشياء من جديد ليعيش حياته الأولى - عندما كانت حواء تسكن قلب آدم وآدم يسكن قلب حواء - قبل أن يُمْتحنَ بعذاب الوجود الدنيوي فآدم وحواء جمعهما الله في عالم الجنّة على المحبة الطاهرة قبل أن يجمعهما على شيء آخر (3). ولكن عندما تدنت العلاقة بينهما بسبب العصيان إنكشفت سوأتهما وطردا من الجنة إلى عالم الشقاء والفناء(4).

ومن ذلك فالحب يسمو بالإنسان إلى عالم الروح الأبدي، والجنس يهبط به إلى عالم الأرض والفناء. فكلما ارتبط تفكير الإنسان بعالم الروح كلما رأى العلاقة بين

---

1 - عاطف جودي نصر الرمز الشعري عند الصوفية دار الاندلس ط3 / 83 بيروت ص: 152

2 - د. زكريا ابراهيم المشكلة الخلقية دار مصر للطباعة ط3 / 80 القاهرة ص: 94

3 - ينظر القرآن الكريم سورة طه الاية 118/119 قوله تعالى: (إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى وَإِنَّكَ لاتظمَؤُا فِيهَا ولاتَضْحَى)

4 - ينظر القرآن الكريم سورة الاعراف الاية 20 قوله تعلى(فَوَسْوَسَ لهما الشَّيْطَانُ لِيُبدِيَ لَهُما ماوُورِيَ عَنْهُما منسَوْءَاتِهِما).

الرجل والمرأة أعمق من ان تكون علاقة جسد وشهوة ، وكلما ارتبط تفكيره بعالم المادة والأرض، كلما رأى العلاقة علـى أنها اشباع للغرائز الجنسية.

وهـكـذا نجد أن علاقة الرجل بالمرأة ليست كما نتصور على أنها علاقـة تحكمها اللذاة الجنسية ، أوالرغبة في إكمال النقص الذى تحس به الذات الإنسانية في وجودها ، بل هـي أعمق من ذلك بكثير بحيث أنها تدخل في جوهر الكيـان الإنساني وتلازم نزعته الروحية . ((ففي الحب تسكن امرأة نفس رجل وقلبـه وعينيه. تنبجس من عروق يديه وراحة كفيه ، فيكبر بها وتكبر به. هو إثنـان وهي اثنان ، وليس أي منهما ذاته القديمة الأصلية، وهي الولادة كما هـي البعث))(1). وقد جانب الصواب رجل الصوفية عندما ركزوا على المحبة الخالصـة، حتى أصبح الحب عندهم هو كل شيء ولاحياة لهم بدونه، فحبهم لله أنساهـم كل شـيء حتى أنفسهـم ، لأنهم وجدوا أن المحبة الأرضية هوى مضللا تافها وزائلا.

وإذا كان حـب الرجـل للمـرأة هو ميـلاد وبعث جديدين مبنيان علـى السكـن والسكينة: فماهو حظ الحب العـذرى مـن ذلـك ؟ وكيـف ينظـر الشاعـر العذرى للحـب وللمـرأة المحبوبـة ؟

1ـ محي الدين صبحي الكون الشعرى عند نزار قباني مجلة الموقف الادبي عدد 7/ 8/ 1975 ص38

العـــلاقة في الخطاب الشعري العذري :

قبل أن نلج عالم العذرية لمعرفة أسراره ، يجب أن نمر بالشاعر الجاهلي لمعرفة علاقته بالمرأة. لأن ((الأدب العربي مدين في جوهرة للأدب الجاهلـــي، وليس من الممكن - البتة - أن يفهم حظ الأدب العربي من الحياة إذا تجاهلنا ذلك الأدب))(1). فالأدب الجاهلي هو المنبع الذي تفرع منه الأدب العربي فيمـــا بعـــد.

فأول مايلاحظ على الأدب الجاهلي ، هوذلك الحضور القوي للمرأة ((فقد احتلـت المرأة في الشعر الجاهلي وضعا هما وخطيرا فلا تكاد تخلو قصيدة من الإشارة إليها أوذكرها بصورة من الصـور))(2). فهي تلازم الشاعر في حلة وترحاله ، ولايقر لـه قرار إلا وهي معه فحياته مرتبطة بها . ولكن هذا الإرتباط هل هو جسدي ((أي مـن حاجة الرجل إلى المرأة لارضاء غريزته الجنسية))(3) أم هو روحـي؟

يقـــول امرؤ القيـــس (4):

وَبَيْضَـةِ خِدْرٍ لَايُـرَامُ خِبَاؤُهـا - تمتّعْـتُ من لَهْـوٍ بِها غَيرَ مُعْجَـلِ

تَجاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْها وَمَعْشَـرًا - عَلَـيَّ حِـراصًا لَوْيُسِـرُّونَ مَقْتَـلِي(5)

فأمرؤا القيس يطلب المتعة الجنسية، وهو يبحث عنها في كل مكان ، فأين ماوجـدت المرأة فهو هناك ، ومهما كان المكان الذي تكون فيه حتى ولوكان حولها الحـراس، فهو يصلها ويتمتع بها . ((فالمرأة عنده أداة للغزو))(6). ولذلك فهو يتنقل مـن جســد إلى آخر يلهث وراء إشباع غرائزه الجنسية. وهوليس وحده في هذا المجـال ، بل هناك الكثير من الشعراء الذين على شاكلته.

1- مصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا القديم دار الاندلس بيروت ص: 42

2- د صلاح عبد الحافظ الزمان والمكان وآثارهما فيحياة الشعر الجاهلي ج1دار المعارف بمصر ص: 249

3- المرجع نفسة : ص: 250/249

4- أمرؤ القيس ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1974 ص 38/ 39

5- يسرون: معناه لويقدرون على قتلي ســـرا .

6- د عبدالرحمن بدوي دراسات في الفلسفة الوجودية دار الثقافة ط 3/ 1973بيروت ص: 43

يقـــول المنخل اليشكري:

ولَقَـدْ دَخَلْـتُ على الفَتَـا ... ةِ الخِـدْرَ فـي اليَـوْمِ المَطيـــرِ
الكَاعِبِ الحَسْنَـــاءِ تَـــرْ ... فُلُ في الدِّمَقْـسِ وَفِـي الحَـرِيـــرِ
فَدَفَعْتُهَا فَتَدافَعَـــــتْ ... مَشْـيَ القَـطَاةِ إلى الغَدِيـــرِ
وعطفْتُهَـا فتعطَّفَـــــتْ ... كَتَعطُّـفِ الظَّبْـــي الغَرِيـــرِ
فَتَـرَتْ وقالَـتْ يا مُنَخَّـــلُ ... مَا بِجِسْمِـــكَ من فُتُـــــورِ
ما شَـفَّ جِسْمِـي غَيْرُ حُبِّـــــ ... ـكِ فَأهْـدِ لِي عَنِّـي وَسيـــــرِي(1)

فالمنخل اليشكـــري مثله مثل إمرئ القيس ينطلق من فكرة أنّ المرأة جسد أنثوي جميل معد للمتعة الجنسية . ولذلك فعلاقته بالمرأة هي جسديه قبل أن تكون روحية.

وهذا الطرح هو نتاج تلك الحياة القبلية التي كان يعيشها الشاعر في ذلك العصر والقائمة على الغزووالتنقل وراء الماء والكلاء من مكان إلى آخر . وقد بيـــن طرفـه بن العبد هذه الحياة بقوله:(2).

لولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشةِ الفَتَـى ... وَجَدِّكَ لم أحْفِلْ متى قَامَ عُـــوَّدِي (3)
فمِنهُنَّ سَبْقِي العاذِلاتِ بِشَرْبَـــةٍ ... كُمَيْـتٍ مَتَـى ما تُعْلَ بالماءِ تزبَـــدِ
وكَـرِّي إذَا نَادَى المُضَافُ مُحَنَّبًـا ... كَسِيـــدِ الغَضَـا نَبَّهْتُهُ المُتَـــوَرِّدِ(4)
وتَقْصِيـــرُ يوم الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَـةٍ تحت الطِّـــرَافِ المُعَمَّـــدِ(5)

فطرفة بن العبد في هذه الأبيات لايرى الحياة إلا من خلال الخمر والبطولة والجنس، وهو بذلك يكشف عن طبيعه البطل الملحمي في ذلك العصر، والذى كان يعيش قلقـــا

1ـ ابن قتيبة الشعر والشعـراء دار حياء العلوم ط 2/ 86 بيروت ص: 260
2ـ طرف بن العبد ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر 1982 ص: 33/32
3ـ جـدك: الحـظ ـ احفـل : لأبالـي .
4ـ المضاف: الخائـف
5ـ الدجن: الغيـــم ـ بهكنـة: المـرأة السمينة الناعمـة .

داخليا ناتجا عن مايواجهه من صراع في حياته القبلية .

ولذلك فالإقبال على الخمر هو للتقليل من وطأة القلق الداخلي، والإقبال على الجنس هو إشباع الغريزة الجنسية قبل أن يدركه الموت أو الشيخوخة. ولكن هذا الإقبال على الخمر والجنس يخفي وراءه أمرا هاما في حياة الشاعر الجاهلي ، وهو الإحساس بالوحدة والوحشة والخوف من المجهول ، ومن ثمّ فهو يعيش في دوامة الصراع الداخلي إلى جانب مايواجهه من صراع خارجي ((فصورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تنطوي في نفسه على عناصر خفية أحسها الشاعر إحساسا مبهما وقدر موقفه منها))(1). وولد لديه ذلك عدم الإطمئنان إزاء الحياة .

ولكن هذا الشاعر الجاهلي الغارق في الخمر والجنس ، يجد نفسه في لحظة من لحظات حياته متعلقا بإمرأة يرى فيها أنّها الوحيدة القادرة على إسعاده وإرجاع الطمأنينة النفسية لذاته القلقة ، ومن ثمّ فهو في حاجة إلى هذه المرأة .

يقول امرؤ القيس:

قفا نبكي من ذكر حبيب ومنزلِ بسقط اللِّوَى بين الدخول فحَوْملِ(2)

ويقول طرفه بن العبد:

لِخولةَ أطْلالٌ ببُرقَةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كَبا قِي الوشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

وُقوفًا بها صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ يَقولونُ لاتهْلِكْ أَسًى وتجلَّدِ(3)

ويقول الأعشى :

وَدعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أيُّها الرَّجلُ(4)

فمن الذي جعل امرؤ القيس يبكي ؟ ومن الذي جعل طرفه يتكلف الصبر والتجلد؟. ومن الذي جعل الأعشى يخاف الفراق ؟ إنّها المرأة عندما تسكن ذات الشاعر

---

1 ـ د عز الدين اسماعيل : روح العصر دار الرائد العربي 1978 بيروت ص: 17

2 ـ ابو زيد القرشي جمهرة أشعار العرب تح/ علي محمد البجاوي دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ط 1/ ص: 125

3 ـ طرفة بن العبد ديوانه ص: 19

4 ـ الأعشى ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1980 ص: 144

وتسيطر على قلبه.

فالمرأة هي المخلوق الذى في مقدوره إخراج الرجل من وحدته إذا توفر بينهما الحب الروحي . ولذلك نجد كثرة المقدمات الطللية في الشعر الجاهلي، والتي يصور فيها الشاعر ماأصابه من هم وحزن بعدما فقد محبوبته . وبهذا الإرتباط بدأ الشاعر الجاهلي بتحسس خطواته الأولى نحو الحب الروحي ووجد أنّ علاقته بالمرأة لم تكن علاقة لذة جسدية وشهوة جنسية فقط بل هي أكبر من ذلك بكثير ، فهي علاقة ((نفسية وشعورية تنعكس على تصرفاته وتفكيره أقوى مما كان يتصور ، ولذا شعر بنوع من اللجوء إلى المرأة ، شعر بالحاجة إليها كمكملة له في حياته ووجوده ، وليست فقط كمتعة جنسية))(1).

إن حاجته إلى المرأة هي التي جعلته يرفع من مكانتها حتي يلغ بها مقام الالهة. ويظهر ذلك من تشبيه الشعراء لمحبوباتهم بالمعبودات التي كانت تعبد في العصر الجاهلي ، كالغزال - والشمس - والدمية - والتمثال - وغير ذلك .

يقول الأعشى:

وَقَدْ أَرَاها وَسْطَ أَتْرَابِها ... فِي الحَيِّ ذِي البَهْجَةِ والسَّامِرِ

كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِي مَرْمَرٍ مائِرِ (2)

إن تشخيص الأعشى صورة محبوبته في الدمية ، يدل على ماكان يكنه لها في نفسه من إجلال وإكبار ، لأن الدمية تتوفر على مقاييس الجمال المرغوب فيه ، ومن ثم فهي تشخص جمال المرأة المدرك والمحسوس .

والأعشى لايقف عند هذه الصورة ، بل يتجاوز ذلك إلى إظهار ماتمتلكه محبوبته من قدرة خارقة تذهل النّاس وتتركهم يتعجبون من فعلها

يقول:

عَهْدِي بِها فِي الحَيِّ قَدْ سُرْبِلَتْ ... هَيْفاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ

قَدْ نَهَدَ الثَّدْيُ عَلى صَدْرِهَا ... فِي مُشْرِقٍ ذِي صَبَحٍ نَائِرِ

---

1 - د . صلاح عبدالحافظ الزمان والمكان واثرهما في حياة الشاعر الجاهلي ص : 272

2 - الأعشى ديوانه ص : 892

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

حَتَّى يَقولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ(1)

فالأعشى يصور هنا محبوبته في صورة المرأة المقدسة ((وتتجلى هذه القداسة فيما تتمتع به من قوى خارقة تذهل النّاس . فلديها القدرة على بعث الحياة في الموتى، إذا أسندتهم إلى صدرها))(2). وهذا الوصف يكشف بكل تأكيد عن تلك العلاقة الروحية التي تربط بين الشاعر ومحبوبته ، والتي تجعله دائم التعلق بها .

يقول طرفه بن العبد

وَقَدْ ذَهَبَتْ سَلْمَى بِعَقْلِكَ كُلِّهِ فَهَلْ غيرُ صَيْدٍ أَحْرَزَتْهُ حبائِلُهْ

كَمَا أَحْرَزَتْ أَسْماءُ قلبَ مُرقِّشٍ يُحُبِّ كلمْعِ البَرْقِ لاَحتْ مخايلُهْ(3)

فطرفة بن العبد والذى رأيناه من قبل لايرى الحياة إلامن خلال الخمر والبطولة والجنس هاهو يفيرمن رأيه ويبوح بما في نفسه من حب قوي لمحبوبته سلمى، وأنه لايستطيع أن يستغنى عنها أويفارقها لحظة واحدة .

إن هذه النماذج من الغزل - وغيرها كثير في الشعر الجاهلي - تبين بوضوح تام بأن الشاعر الجاهلي لم تكن علاقته بالمرأة كلها علاقة جسدية بل كانت كذلك علاقة روحية ، وأن العلاقة الروحية هي العلاقة التي يجدمن خلالها الطمأنينة النفسية التي يواجه بها هموم الحياة .

وقد تولد عن هذا النوع من الغزل ظهور جماعة من الشعراء العشاق في العصر الجاهلي، والذين عرفوا باسم الشعراء المتيمين كالمرقش الأكبر والمرقش الأصغروعنترة بن شداد وغيرهم ((وقد أحبوا أصدق الحب وعبروا عن حبهم أروع تعبير))(4). وهؤلاء الشعراء العشاق هم الذين مهدوا الطريق للشعراء العذريين الذين جاءوا فيما بعد. إن علاقة الشاعر الجاهلي بالمرأة كانت وليدة واقع إجتماعي قبلي يقوم على البطولة والغزو وان الشاعر كان يرى بأن الحياة صراع دائم لاثبات الذات، وسواء كان الميدان ساحة الوغى أم جسد المرأة فهو دائم الغزو .

---

1 - الديوان نفسه ص : 93/92

2 - د علي البطل الصورة في الشعر العربي دار الاندلس ط 3/ 82 بيروت ص: 73

3 - طرفة بن العبد ديوانه ص: 77

4 - أحمد الربيعي كثير عزة حياته وشعره دار المعارف بمصر ص: 73

فلما جاء الإسلام بتعاليمه السماوية أحدث ثورة شاملة على الأوضاع التي كانت سائدة في العصر الجاهلي. فقد كان ظهوره ((في الواقع ثورة دينية وسياسية وإجتماعية وإقتصادية. أو بمعنى أصح إنتقالا حاسما في تاريخ العرب إذ جعل لهم دينا واحدا يدعو الى الوحدانية وحقق لهم وحدتهم السياسية، وجعل من العرب أمّة موحدة قوية حققت من الفتوحات مثلما حققته الإمبراطوريات القديمة))(1).

فالإسلام قضى على العصبية القبلية التي كانت تفرقهم وتدفعهم إلى التقاتل فيما بينهم لأن كل قبيلة كانت تحس وكأنها كيان خاص مستقل بذاته لاعلاقة تربطه بغيره كما أبطل تلك المعتقدات الفاسدة التي كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك ودعا إلى وحدانية اللّه ، وجعل ((المسلمين جميعا أمة واحدة مهما تعددت قبائلهم واختلفت أجناسهم))(2). وأصبح الرابط بينهم هو رابط الدين لارابط الدّم، فأحسوا بالاطمئنان والألفة فيما بينهم ، وتحسنت أخلاقهم واسقط منها ((ماكان بعيدا عن الحق غاليا في التطرف سادرا في الغي))(3). وبذلك تغيرت نظرتهم للكون والحياة وبدأوا يدركون حقيقة وجودهم ، ولم يصبحوا في حاجة إلى ذلك اللهو الجاهلي الذى يلجأ إليه الفرد ليغيب نفسه عن واقعه المعيش عندما يحس بالخوف والقلق وعدم الاطمئنان في حياته .

وإذا كان الفرد المسلم في هذه الفترة قد عاش في ظل توجيهات النصوص الشرعية التي تعمل على تحريك مشاعره، والدفع بها إلى الإلتئام بروح الجماعة ، إذ أنّ النصوص الشرعية كانت مجسدة في سلوك الافراد والجماعة بشكل جعل الفرد يطمئن على نفسه ويركن إلى محيطه، فإنه مع بداية عصر بني أمية بدأت الأمور تتغير وصارت الجماعة مفككة ومتصارعة فيما بينها ، ولم تعد النصوص الشرعية تبدو في سلوك الأفراد والجماعات بشكل موحد ، بل كانت في كثير من الأحيان متعارضة بشكل صداهي والسبب يرجع إلى ((إختلاف العلماء في مواضع المتشابهات من القرآن الكريم، يحاول كثيرون من ذوى الإفهام تأويله ، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا في التأويل إختلافا مبينا))(4) وأدى هذا الإختلاف إلى ظهور الأحزاب السياسية التالية:

1- د عبد العزيز سالم تاريخ الدولة العربية مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ص: 09

2 - د محمد الطيب النجار الدولة الاموية في الشرق دار الاعتصام ط 3/ 77 ص: 138

3 - توفيق محمد سبع قيم حضارية في القرآن الكريم الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة ص: 324

4 - محمد ابوزهرة تاريخ المذاهب الاسلامية دار الفكر العربي ص: 16

- حـــزب الامويين ـــ - حـــزب الشيعـــة.

- حـــزب الخـــوارج - حـــزب الزبيريين.

((وكانت هذه المذاهب السياسية التي نشأت تحوم مبادئها حول الدين، فتقتـــرب منه أحيانا ، وتبتعد عنه أحيانا بتخريجات فيها إنحرافات عن مبادئه))(1). فكـان ذلك دافعا إلى عودة العرب إلى العصبية القبلية والخلاقات القديمة، مما وســـع الخلاف بينهم وأدخلهم في صراعات متعددة دامت زمنا طويـــلا .

وقد أصاب ذلك التصـــدع الإجتماعي الشاعر العذري الذي عاصر ذلك العصر فـــي الصميم وجعله يحس بعدم الإطمئنـــان في الحياة ، والتسبت عليه الأمور واختلفـــت عليه المفاهيم بسبب ما أصاب العقيدة من إختلاف في الأراء. ودفعه ذلك إلى الرجـــوع إلى نفسة يتحسسها لعله يجـــد مخرجا لما هو فيه ، فلم يجد إلا نفسا مضطربة تعيش قلقا متزايدا ، وإحساسا بالغربة والتفرد والوحدة فكان الحب سبيله لأن ((الحب هو العالم الآخر الذي من خلاله يتنفس الشاعر ويلفظ أدران العالم الخارجي، وهو الكيان الذي تتعطل فيه حركة التفكير الذهني المتجهة نحو الخارج، لتسكن إلى حديـــث الروح))(2).

وهكذا إنطلق الشاعر العذري يتقفى أثار من سبقه في ميدان الحب ، غير مبال بمـــا يدور من حوله ، وبمن يحاولون رده عن ذلك.

يقول جميـــل بثينـــة :

وعاذليـــنَ ألَحُّـــوا في محبَّتِهـــا ... يالَيْتَهُم وَجَدُوا مِثْلَ الَّذي أَجِـــدُ

لَمَّا أَطَالُـــوا عِتابي فيكِ قُلْتُ لَهُم ... لاتُكْثِـــرُوا بعضَ هذا اللَّوم واقْتَصِدُوا

قَدْ ماتَ قَبْلـــي أَخُو نَهْد وصَاحِبُـــهُ ... مُرَقِّـــشٌ واشتفَـــى من عُروةَ الكَمَـــدُ

وكُلُّهُم كَانَ مِنْ عِشْـــقٍ مَنِيَّتُـــهُ ... وَقَدْ وَجَـــدْتُ بِها فَوْقَ الَّذي وَجَـــدُوا

إِنِّـــي لأَحْسَـــبُ أَوْقَدْ كِـــدْتُ أَعْلَمُـــهُ ... أَنْ سَوْفَ تُورِدُنِـــي الحَوْضَ الَّـــذي وَرَدُوا

1- المـــرجع السابق ص : 31

2- بوبطانة مرسلي المسرحية التاريخة في الشعر العربي المعاصر (مخطوطة رسالة ماجستير جامعة وهران 85 ص: 55

إنْ لَمْ تَنلْنِي بِمَعْرُوفٍ تَجُودُ بِهِ أَوْ يَدْفَعَ اللَّهُ عَنِّي الواحدُ الصَّمَدُ(1)

بهذا التصور ينظر الشاعر العذرى إلى علاقته بمحبوبته لأنه قد وجد في حبها مالم يجده غيره، ولذلك فلا يهمه كلام اللائمين بل يزيده إصرارا على مواصلة الطريق رغم أنه يعلم ماينتظره من مهالك وهموم .

يقول مجنون ليلي:

وقالوا لو تَشَاءُ سَلَوْتَ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهُمْ فَإِنِّي لَا أَشَاءُ
وَكَيْفَ وحبُّها عَلِقٌ بِقَلْبِي كَمَا عَلِقَتْ بِأَرْشِيَةٍ دِلَاءُ
لَهَا حبٌّ تَنَشَّأَ فِي فُؤَادِي فَلَيْسَ لَهُ - وإنْ زُجِرَ - انتِهَاءُ (2)

إن هذا التعلق بالمحبوبة إلى درجة أن أصبح الشاعر يرفض الإبتعاد عنها، يعبر عن تلك الدرجة التي وصلها العذرى في حبه .

فإصرار المجنون في الأبيات السابقة على التعلق بمحبوبته يبين بأن تلك المحبوبة قد سكنت كيانه إلى درجة أن أصبح لايتحكم في كيانه فهي روحه وهي حياته ووجوده وكيانه، يحيا من أجلها ويموت من أجلها .

يقول جميل بثينة :

هِيَ البَدْرُ حُسْنًا والنِّساءُ كَوَاكِبُ وشَتَّانَ مَابَيْنَ الكواكبِ والبَدْرِ!
لَقَدْ فُضِّلَتْ حُسْنًا عَلَى النَّاسِ مَثْلَمَا عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فُضِّلَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ(3)

إنها ليست المرأة الجسد ، المرأة الانسانة ، بل هي إمرأة أخرى امرأة يحفها الإجلال والتقدير ، إمرأة مقدسة تسمو على كل النساء ((إنه يقدس الجسد فيجعل منه كائنا من ضوء ولايفصل بينه وبين الروح))(4).

لأن نظرته إليها نابعة من عالمه الداخلي الذى يرى الأشياء من منظار الروح وليس العقل . فالعالم الداخلي هو الذى يُوَجهه ويرسم له طريقه ، ولذلك فهوخاضع لهذه

1- جميل بثينة ديوانه جمع وشرح ابراهيم جزيني المؤسسة العربية للطباعة والنشربيروت ص: 36

2- مجنون ليلي ديوانه تح/ عبد الستار احمد فراج دار مصر للطباعة القاهرة ص: 35

3- المصدر نفسة ص: 44

4- د. نقولا سعادة قضايا ادبية دار مارون عبود ط 1/ 1984 ص: 186

المحبوبة متذلل راض بالقليل ، بل باللا شئ .

يقول جميل بثينة :

وَإِنِّي لأَرضَى من بُثَيْنَةَ بِالَّذِي ... لو ابْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بَلَا بِلُهْ

بِلَا وَبِأَلَّا أَستطِيعُ وبِالمُنَى ... وبالوَعْدِ حتى يَسأَمَ الوَعْدَ آمِلُهْ

وَبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وبالحَوْلِ تَنْقَضِي ... أَوَاخِرُه لَانْلْتَقِي ، وأَوَائِلُهْ(1)

فحب الشاعر العذري لمحبوبته هو تقيض للحب القائم على الإتصال الجنسي لذلك جاء مشبعا بالقيم الروحية السامية . وهذا الحب الروحي السامي هو الذي جعله يرضى باللا شئ ويتحمل من أجل محبوبته ما يتحمل من المصائب والأحزان .

يقول مجنون ليلى :

يقولون لَيْلَى عذَّبَتْكَ بِحُبِّهَا ... أَلَا كَذَبُوا أَلَا أَذَاكَ الْحَبِيبُ الْمُعَذِّبُ(2)

هكذا يصور الشاعر العذري علاقته بمحبوبته علاقة تتجاوز العقل إلى اللا عقل فالذي يهمه في الحياة هو محبوبته، وبقائه على عهدها ووعدها. لأن من علامات المحبة ((استكانه المحب لمحبوبه ، وخضوعه وذله له والحب مبني على الذل))(3) فالعذري لا يرى عجبا في خضوعه وإذلاله لمحبوبته ، لأن محبوبته ليست امرأة عادية ، بل هي امرأة كونية قد تعالت على كل المخلوقات فكانت الأجمل والأحسن والأقدر ، وبذلك أصبح الكون في متناول يديها ، فهي تكلم الحمام وتحي الميت وتذهب العمى.

يقول مجنون ليلى:

فَلَوْ أَنَّها تَدْعُو الحَمَامَ أَجَابَهَا ... وَلَوْ كَلَّمَتْ مَيْتًا إِذًا لَتَكَلَّمَا

وَلَوْ مَسَحَتْ بِالْكَفِّ أَعْمَى لَأَبْصَرَتْ ... عَمَاهُ وَشِيكًا ثُمَّ عَادَ بِلَا عَمَى

مُنَعَّمَةٌ تَسْبِي الحَلِيمَ بِوَجْهِهَا ... تَزَيَّنُ مِنْها عِفَّةً وَتَكَرُّمَا

فَتِلْكَ الَّتِي مَنْ كَانَ دَاءً دَوَاؤُهُ ... وَهَارُوتُ كُلَّ السِّحْرِ مِنْها تَعَلَّمَا(4)

---

1 - جميل بثينة ديوانه ص : 94

2 - مجنون ليلى ديوانه ص : 40

3 - ابن قيم الجوزية روضة المحبين دار الكتب العلمية 1977 بيروت ص : 282

4 - المصدر نفسة ص : 202

ويقول كثيـــر عزة :

وَلَوْبَذَلَتْ أُمُّ الْوَليـــد حَديثَهـــا لِعُصْمٍ بِرَضْـوَى أَصْبَحَتْ تَتَقَـــرَّبُ

تَهَبَّطْنَ مِن أَكْنافِ ضَأْسٍ وأَيْلَـــةٍ إِلَيْهَا وَلَوْ أَغْرَى بِهِنَّ الْمُكَلِّـــبُ(1)

إن محبوبة الشاعر العذرى هي إمرأة قد إمتلكت من القدرة ما إمتلكت ، فهي تحـــي الموتي ، وتشفي الأعمى ، وتسبى بجمالها العاقل البصير ، وهي دواء لكل داء ، وأن تأثيرها في محيطها يتجاوز الإنسان إلى الحيوان فهاهي الوعول المتحصنة فـــي قمم الجبال خوفا من العدو ، تهبط من أماكنها وتنسى الخطر الذى يترصدها عندمـــا تسمع حديثها .

إن الشاعر العذرى ((لايرى المرأة مخلوقة من لحم ودم وأعصاب ، وإنّما يراهـــا سبيكة نورانية صاغتها المقادير))(2) فهي نور ينخذب نحوه كل من أصبح فـــي مجال دائرته .

يقول مجنون ليلـــي :

فَيَا قَلْـــبُ مُتْ حُزْنًا وَلَا تَـــكُ جَازِعًـــا فإِنَّ جَزُوعَ الْقَوْمِ لَيْـــسَ بِخَالِـــدِ

هَوِيتَ فتـــاةً نيْلُهـــا الْخُلْدُ فالْتَمِس سَبِيلاً إِلَى مَالَسْتَ يَوْما بِوَاجِـــدِ

هَوِيتَ فتـــاةً كَالْغَزَالَـــةِ وَجْهُهـــا وَكالشَّمْسِ يَسْبِي دَلُّهـــا كُلَّ عَابِـــدِ(3)

بهذه الأوصاف يتجاوز الشاعر العذرى بمحبوبته المرأة كجسد جميل ، ويتعالـى بهـــا إلى قمة الروحانيات حتى يجعل منها روحا طاهرة ((الجمال الإنساني يرقرق جمـــال الكون ويصفيه ويظهره خلاصة نقية))(4) . فمحبوبة العذرى هي إمرأة طاهرة بارعـــة الجمال بعيدة عن كل نظرة شهوانية .

وقد روى الرواة بأن عبد الملك بن مروان قال ذات يوم لبثينة ((والله يابثينة ماأرى فيك شيئا مما كان يقول جميل)) فقالت له ((لقد كان يرنوالي بعينين ليستا

---

1 ـ كثير عزة ديوانه جمع وشرح/دع احسان عباس دار الثقافة 71 بيروت ص: 160 / [illegible]

2 ـ د. زكي مبارك العشاق الثلاثة المكتبة العصرية صيدا بيروت ص: 14

3 ـ المصدر نفسة ص: 87

4 ـ سيـــد قطـــب غزل العقاد مجلة الرسالة عـدد265 / 1938ص: 264

في رأسك))(1). فهذه القصة تؤكد ماذهبنا إليه سابقا من أن الشاعر العذري ينظر إلى محبوبته من خلال عالمه الداخلي المملوء بالعواطف العشقية وليس من خلال العالم الخارجي المجسد في الواقع ، ولذلك رسم لمحبوبته صورة لاتنطابق على ماهي عليه في الواقع المعيش حقيقة.

يقول مجنون ليلى:

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا ... بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا

وَمَا بِيَ إِشْرَاكٌ وَلَكِنَّ حُبَّهَا ... وَعُظْمَ الْجَوَى أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا (2)

ويقول جميل بثينة :

أُصَلِّي فَأَبْكِي فِي الصَّلَاةِ لِذِكْرِهَا ... لِيَ الْوَيْلُ مِمَّا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ (3)

فهذا الإخلاص للذات المحبوبة والتوحد بها، يبين مدى تأثر الشاعر العذري بتعاليم الإسلام .

إن النصوص الدينية الإسلامية كان لها الدور الكبير في تثبيت الكثير من المفاهيم والمعارف التي تتعلق بقدرية الإرتباط والإقتران الكياني إبتداء من الأثر الشريف ((الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتنافر منها إختلف))(4) زيادة على الكثير من النصوص الإسلامية التي رسخت مدلول العلاقات الشخصية ، كما رسخت مفهوم الإخلاص للذات والتوحد بها مفاهيم امتاحت من مسألة التوحيد بالله فكرة الإرتباط بالذات الإنسانية .

يقول جميل بثينة :

وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شِئْتِ أَشْقَيْتِ عِيشَتِي ... وَإِنْ شِئْتِ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتِ بَالِيَا (5)

1- ينظر د. خريستونجم جميل بثينة والحب العذري دار الرائد العربي بيروت 82 ص:68

2- مجنون ليلي ديوانه ص: 228

3- جميل بثينة ديوانه ص: 109

4- ينظر ابن حزم الاندلسي طوق الحمامة ص: 65

5- المصدر نفسة ص: 120

هكذا يسمو الشاعر العذرى بمحبوبته إلى درجة تصبح فيها امرأة كونية تشغله عن كل شيء حتى العبادة . فهي قبلته التي يتوجه إليها في صلا ته وحجة. وبذلك يبعد عنها ((أن تكون جسدا يستثير في الشاعر النزوع الشهوي))(1) فالمحبوبة هي ذات طاهرة مقدسة في نظر العذرى . ولكي يبرر الشاعر موقفة هذا - والذى لايتلاءم مع الواقع في مجتمع إسلا مي يوحد الله ويطبق أوامره ويقف عند نواهيه- يهرب إلى الجنون فالجنون يحرر الذات من حكم المجتمع. يقول جميل بثينة :

وَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِي مَاطَلَبْتُهَا ... وَلَكِنْ طِلا بِيهَا لَمَّا فَاتَ مِنْ عَقْلِي (2)

وهذا التحول من الذات العاقلة الواعية إلى الذات الفاقدة للعقل يعد من اسلحة الشاعر العذرى في مواجهة انتقادات المجتمع. فجميل بين بأنه قد وصل إلى درجة فقد العقل وبذلك ((فقد جاز حدود المنطق وتخطى الموازنة العقلية ، وخرج من نطاق الروية والأناة إلى نطاق الهوس والجنون))(3) وأصبح يعيش حياة لاتخضع لأحكام المجتمع وقوانينه وشرائعه الدينية والدنيوية. وهذا الموقف من الشاعر لايثير تعجبنا مادام يرى أن محبوبته تمثل الكون كله ، وتمتلك من القوة ما لايمكن لمخلوق من البشر أن يمتلكه .

يقول جميل

هِيَ السِّحْرُ إِلاَّ أَنَّ لِلسِّحْرِ رُقْيَةً ... وَإِنِّي لَأُلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا (4).

فالمحبوبة هي قدر الشاعر الذى يلا حقه أين ماحل ، والذى لايمكنه مقاومته ولا التخلص منه .

يقول كثير عزة(5)

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَمَا ... تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ (6)

لَكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّمَا ... تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ (7)

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةُ مُمْحِلٍ ... رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ (8)

---

1 - يوسف اليوسف الغزل في الشعر الأموى مجلة الموقف الادبي عدد70/ 1977ص: 34

2 - جميل بثينة ديوانه ص: 77

3 - د. خريستونجم جميل بثينة والحب العذرى ص: 192

4 - المصدر نفسة ص: 119

5 - كثيـر عزة ديوانه ص: 103

6 - التهيام: مصدر للمبالغة من الهيام

7 - تبـوأ: أقام في المكان - وفي رواية ظِلُّ السحابة .

8 - سحابة ممحل : سحابة بلد ممحل أي مجـدب .

هذه هي حال الشاعر العذري مع محبوبته فما يكاد ينعم بلحظة إلى جوارها حتى يداهمه زمان الفقد والضياع ، إنها مأساة لاتنتهي.

يقول مجنون ليلي:

كَأَنَّ فُؤَادِي حِينَ جَدَّ مَسِيرُهَا ... جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى الْوَكْرِ
فَوَدَّعْتُهَا وَالنَّارُ تَقْدَحُ فِي الْحَشَا ... وَتَوْدِيعُهَا عِنْدِي أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ
وَرُحْتُ كَأَنِّي يَوْمَ رَاحَتْ جِمَالُهُمْ ... سُقِيتُ دَمَ الْحَيَّاتِ حِينَ انْقَضَى عُمْرِي
أَبِيتُ صَرِيعَ الْحُبِّ دَامٍ مِنَ الْهَوَى ... وَأُصْبِحُ مَنْزُوعَ الْفُؤَادِ مِنَ الصَّدْرِ(1)

فقد المحبوبة هو أخطر مايواجهه الشاعر العذري في حياته ، لأنه في تلك اللحظة يواجه مأساة حقيقة، تتمثل في إحساسه بالغربة والوحشة، فهو لايرى الحياة الابجوار محبوبته .

يقول مجنون ليلى أيضا :

فَلا تَحْسَبِي أَنَّ الغَرِيبَ الَّذِي نَأَى ... وَلَكِنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ(2)

فالغربة في نظر العذري تكون بفقد المحبوبة وليس بفقد الوطن ، فوطن الشاعر هو محبوبته، هي قدره الذي لايمكنه التخلص منه :

يقول جميل بثينة :

لَقَدْ لَامَنِي فِيهَا أَخٌ ذُو قَرَابَةٍ ... حَبِيبٌ إِلَيْهِ فِي نَصِيحَتِهِ رُشْدِي
فَقَالَ: أَفِقْ حَتَّى مَتَى أَنْتَ هَائِمٌ ... بِبَثْنَةَ فِيهَا لَاتَعُودُ وَلَاتُبْدِي؟
فَقُلْتُ لَهُ: فِيهَا قَضَى اللَّهُ مَا تَرَى ... عَلَيَّ وَهَلْ فِيمَا قَضَى اللَّهُ مِنْ رَدِّ؟
فَإِنْ يَكُ رُشْدًا حُبُّهَا أَوْ غِوَايَةً ... فَقَدْ جِئْتُهُ وَمَا كَانَ مِنِّي عَلَى عَمْدِ(3)

هكذا يبرر الشاعر العذري تعلقه بمحبوبته، بأنه قضاء وقدر لايمكنه الهروب

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه ص: 119
2 ـ المصدر نفسة ص: 51
3 ـ جميل بثينة ديوانه ص: 41 / 42

منه.(وهل فيما قضى الله من رد ؟)· وبهذا يصبح تعلقه بمحبوبته وصيرة على مالحقه من عذاب من حبها مشروعا، ولايجب أن يلام عنه وقد قيل قديما أن رجلا قيل له ((أن ابنك قد عشق فقال عذب قلبه وأبكى عينه وأطال سقمه))(1)· وكذلك العذرى لم يعرف الهناء في حياته منذ أن بدأ الحب يسكن قلبه ، لأن حياته متوقفة على مدى فوزه بمحبوبته فهي حياته وسعادته ·

يقول مجنون ليلي:

طُوبَى لِمَنْ أَنْتِ فِي الدُّنْيا قَرِينَتُهُ ... لَقَدْ نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الهَمَّ وَالْجَزَعَا (2)

ويقول كثير عزة :

هَيَ الْخُلْدُ مَادَامَتْ لِأَهْلِكَ جَارَةً ... وَهَلْ دامَ فِي الدُّنْيَا لِنَفْسٍ خُلُودُهَا

فَتِلْكَ الَّتِي اسْفَيْتُهَا بِمَوَدَّتِي ... وَلِيدًا وَلَمَّا يَسْتَبِنْ لِي نُهُودُهَا (3)

فالشاعر العذرى لايهنأ ولاتطيب له الحياة إلا بجوار محبوبته ، فإن فقدها يفقد معها لذة الحياة ، فتضطرب أحواله وتفارقه الطمأنينة النفسية ·

يقول جميل بثينة :

يَالَيْتَنِي أَلْقَى المَنِيَّةَ بَغْتَةً ... إِنْ كَانَ يومُ لِقَائِكُم لَمْ يُقْدَرِ (4)·

لايرى الشاعر العذرى الحياة ولايحس بطعم لذتها إلا بجوار المحبوبه لأن الحب ((هو ضمان ليحاة الإنسان على الأرض واستمرار هذه الحياة)) (5) ولذلك فقد المحبوبة هو فقد للحياة، وإقبال على الموت فالحياة بدون المحبوبة جحيم لايطاق لأن هدف الشاعر العذرى في الحياة هو المحبوبة ، والمحبوبة فقط، ولايهمه بعد ذلك مايجري في الحياة

---

1 ـ الراغب الإصبهاني محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ج3 منشورات دار مكتبة الحياة 1961 بيروت ص: 41

2 ـ مجنون ليلى ديوانه ص: 157

3 ـ كثير عزة ديوانه ص: 200/ 201

4 ـ جميل بثينة ديوانه ص: 46

5 ـ د· عز الدين اسماعيل روح العصر دار الرائد العربي بيروت ص: 23

يقول جميل بثينة :

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدُ(1)

هكذا تتغير المفاهيم في نظر الشاعر العذرى بتغير الأهداف فإذا كان جهاد الناس في سبيل الله لاعلاء كلمته ونشر دينه ، فإن جهاد العذرى هو في محبوبته ، ولذلك تغير مفهوم الشهادة في نظره ، فالشهيد عنده هو شهيد الحب فقط.

ويمكن أن يكون هذا الموقف من الجهاد في سبيل العقيده ناتج عن ذلك التصدع الذى أصاب المجتمع العربي الإسلامي آنذاك بسبب الخلافات وتعدد الأراء والمذاهب السياسية ، وما إ نجرّ عن ذلك من حروب كثيرة ، مما جعل الشاعر العذرى المحروم من محبوبته يقف ذلك الموقف المغاير لمجتمعه ، لأن الذى يهمه من هذه الحياة كلها هو الظفر بمحبوبته فقط ، ومادام لم يحقق ذلك مادام خيال محبوبته يطارده أين ماحل .

يقول جميل بثينة:

فَمَا غَابَ عَنْ عَيْنِي خَيَالُكِ لَحْظَةً وَلَا زَالَ عَنْهَا وَالْخَيَالُ يَزُولُ(2)

فالمحبوبة تسكن قلب الشاعر ولاتفارقه لحظة،لأن ((المحبة سكر لايصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه))(3). فالشاعر يصر على الحضور الدائم لمحبوبته ، فهي ترافقه في حركاته وسكناته ، إن غابت حقيقة حضرت خيالا.

يقول مجنون ليلى:

وَإِنِّي لَاسْتَحْيِي وَمَا بِيَ نَعْسَةٌ لَعَلَّ لِقَاهَا فِي الْمَنَامِ يَكُونُ

تُخَبِّرُنِي الْأَحْلَامُ إِنِّي أَرَاكُمُ فَيَالَيْتَ أَحْلَامَ الْمَنَامِ يَقِينُ(4)

فظمأ الشاعر لايطفؤه إلا الحضور الحقيقي للمحبوبة (فيالليت أحلام المنام يقين) لأن سعادة الذات المحبة تتحقق بالحضور المادي للمحبوب.وهكذا يبقى الشاعر العذرى يعيش على الأمل ويحلم باللقاء ، وكلما سمع اسم محبوبه إنتفض كيانه الداخلي

1- جميل بثينة ديوانه ص: 33

2- المصدر نفسة ، ص: 83

3- القشيرى الرسالة القشيرية دار الكتاب العربي بيروت ص: 146

4- مجنون ليلي ديوانه ص: 206

يقول مجنون ليلى:

وَداعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بالخَيْفِ مِنْ مِنًى ... فَهَيَّجَ أَحْزانَ الفُؤادِ وَما يَدْرِي ٠

دَعَا باسْمِ لَيْلَى غَيْرَها فَكَأَنَّمَا ... أَطارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

دَعَا باسْمِ لَيْلَى أَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ ... وَلَيْلَى بِأَرْضِ الشَّامِ فِي بَلَدٍ قَفْرِ (1)

وهذا النوع من الحب الذى يتجاوز مدارك العقل لاينتهى بإنتهاء الوجود الإنسانى، بل يستمر في العالم الآخر ، عالم الخلود الأبدى، بحياة جديدة لاظلم ولافقد ولاظمأ فيها، حيث يعيش الشاعر مع محبوبته في سعادة تامة لاينغصها واش ولارقيب.

يقول مجنون ليلى:

أُحِبُّكِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ خَلْقَهُ ... وَلِي مِنْكِ فِي يَوْمِ الحِسَابِ حَسِيبُ (2)

وبهذا التصور للعلاقة يتجاوز الشاعر العذرى الحب الدنيوى الجسدى إلى الحب الروحي الكوني ويجسد في شعره حقيقة الحب بين الرجل والمرأة كما يجب أن يكون ٠ بأنه حب يتجاوز الجسد الفاني إلى عالم الأرواح الأبدى ٠

يقول جميل بثينة:

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا ... وَمن بعد ماكنا نِطافًا وَفِي المَهْدِ

فَزَادَ كَمَا زدنا فَأَصْبَحَ نَامِيًا ... وَلَيْسَ إِذَا مِتْنا بِمُنْقَضِي العَهْدِ

وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... وَزائِرُنا فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ وَاللَّحْدِ (3)

ومن خلال هذا المدارح يكون الشاعر العذرى قد تجاوز مفهوم الحب عند البشر إلى مفهوم آخر سماوى، سماوثق الصلة بينه وبين الحب الصوفي٠((وذلك لما بين العفة في الحب وبين الزهد من سمات مشتركة وملامح متشابهة ، ففي كليهما نزوع إلى الإعلاء والتسامي، وشعور حاد بالتحريم الجنسي، ورغبة في تحقيق ضرب من الإنسجام والتوافق

---

1 ـ مجنون ليلى: ديوانه ص: 124 204

2 ـ المصدر نفسة ص: 46

3 ـ جميل بثينة ديوانه ص: 34

بين ما يرغب فيه وما يخشى منه، من خلال شعور أخلاقي ينظمه الأنا الأعلى، ويعد الحب للدخول في علاقة متوترة بين المادي والروحي بين السماوي والأرضي، ويهيئه للممارسة جهاد عن طريق عقبات تتمثل في الإغراء الملح، والغواية والإستهواء اللذين لايقاومان، وماعلى المحب إلا أن يتجاوزها ويلعو عليها موحدا بين الليبدوا والإيروس))(1). فالعذري قد إختار الجانب الروحي من الحب وزهد في اللذة الجسدية، وبذلك يكون قد جسد في حبه العلاقة الأولى للإنسان عندما كان في عالم الفردوس.

إن مايتميز به الشعر العذري هو أصالة الطرح نظرا لكونه إنفرد بمفاهيم ميزته عن الشعر العربي من حيث المضامين التي يتناولها، حتى وإذا إختلفت في ظاهرها فهي تنزع إلى معاناة واحدة، ذلك أن هذه الوحدة في التناول هو صلب الطرح العذري. وإذا كان موضوعه يدور حول المرأة فإنه لم يأخذها من حيث الطرح الظاهري الحسي في التناول والميكانيكي في التعامل، بقدر ماأسس على ضوئها تصورات تكاد تتماس مع المضامين الفلسفية والإعتقادية يعود مصدرها إلى الروح الإسلامية التي أصلت الكثير من الفضاءات الروحية في الذات العذرية والتي صيرت علاقتها العاطفية بالمرأة إلى علاقة كونية بحيث وصلت إلى أنّها لاتفرق في بعض الأحيان بين العلاقة الكونية (بالله) والعلاقة الإنسانية (بالمرأة). من حيث الإخلاص والتوحد ومن هنا راح الشعر العذري يرمز إلى ميلا دفكرة التصوف الذي عدّل مدلول الحب وكسر سُلم تناوله الحسي في العلاقة إلى مدلول روحي يصل ببعده الكوني إلى تصورات روحية محضة. وإذا كانت فكرة الجنون هي نهاية المطاف، وحصيلة التعلق بالمرأة في الشعر العذري فإنها ترادف فكرة الحلول في الله في الشعر الصوفي إذ أنّ الجنون هو غياب الذات في الذات المحبوبة، أي غياب العقل عن الخارج وحلوله في الداخل.

ومن خلال هذا الطرح المتميز للعلاقة الشاعر العذري بمحبوبته، نحاول في الفصول اللاحقة أن نقف على موقفة من المكان والزمان وعلاقة ذلك بمحبوبته وحبه.

1- د. عاطف جودة نصر الرّمز الشعري عند الصوفية دار الاندلس ط1 /1978 بيروت ص131/ 132

الفصل الثاني

بناء المكان في النص الشعري العذري

علاقة الانسان بالارض:

ليست الارض بالنسبة للانسان موطنا للحياة فقط، بل انها تمثل عنده اصل وجوده. وقد عرف الانسان منذ القديم هذه الحقيقة، وهذا مانجده بالفعل في تراث الانسانية القديم.

فقد تحدثت الاساطير السومرية ان السومريين قد عبدوا الارض لأنهم كانوا يعتقدون أنهم خلقوا منها، وبذلك اكتشفوا وجه الشبه بينها وبين المرأة لان المرأة تتميز عن الرجل بالانجاب، وبتلك الميزة تشبه الارض، التي تنجب للانسان مايحتاج اليه في وجوده من زرع وثمار. ومن هنا اعتبرت الارض عندهم أمًّا فعبدها الانسان السومري وصورها على شكل إمرأة ناضجة عبدها وقدسها .(1).

إن حقيقة الأرض كأم أكدتها الديانات السماوية كذلك فكلها تتفق على أن الله قد خلق الإنسان من طين. فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالي ((وإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلَائكَةِ إنّي خالقٌ بشرًا من طِين))(2). وقوله تعالى ((منها خَلَقْنَاكُم وفيها نُعِيدُكُم ومنها نُخْرِجُكُم تَارَةً أُخْرَى))(3).

هذا الترابط بين الإنسان والأرض هو الذي جعل الانسان يحب الارض ويتعلق بها. وقد عبر أحد الأعراب قديما عن ذلك بوضوح عندما سئل عن حبه لوطنه فقال ((رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها فحضنتني أحشاؤها وأرضعتني أحساؤها))(4).

وقد لانكون مخطئين إذا قلنا أنّ حب الإنسان للأرض قد ترسب في لا وعي البشرية على مر الزمن، فتجلى ذلك في موروثها الفكري والأدبي. ومن ذلك يمكننا القول بأن حب الرجل للمرأة لايفسر على أساس جنسي غريزي بل يمكن أن يفسر كذلك على أنه حب فرضه وجه الشبه الموجود بينها وبين الأرض فالإنسان بطبعه يحب الخصب ويعشق الحياة، وهاتان الصفتان مرتبطتان بالمرأة والأرض.

1- ينظر د. يوسف حبي الإنسان والأرض في أدب وادي الرافدين مجلة أفاق عربية عدد: 9/ 79 ص: 85

2- سورة : ص : الآيـــة: 71

3- سورة طه الايـــة: 55

4- أبوعثمان الباحظ الحنين إلى الأوطان دار الرائد العربي بيروت ط 2 / 82 ص 13/ 14

إن الأرض كوطن طبيعي للإنسان ، لم تكتس هذه الأهمية إلا عندما عمّرها الإنسان وسكنها وأصبحت موطنه المألوف .وقد بين القرآن الكريم بأن الارض لم تكن موطن الانسان الاول . بل كان أبو البشر آدم وزوجه يسكنان الجنة قبل نزولهما الى الارض .قال تعالى ((وقُلْنَا يـآدَمُ أسْكُن انتَ وزَوْجُكَ الجَنَّة وكُـلا مِنْها رَغَـدا حَيْـثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبا هذه الشَّجَرَة فَتَكُونا من الظَّالِمِيـن))(1). فكانت الجنة تمثـل بالنسبة لهما موطن الالفة . ولكن عندما عصى آدم ربه كان عقابه بأن أُنزل الى عالم الارض والفناء ، بعد ان كان يعيش في عالم الخلود والبقاء. قال تعالى: ((فأزلّهُما الشَيْطا نُ عنها فأخرَجَهُما مما كانا فيه وقُلنا اهْبطوا بَعْضُكم لبعْـضٍ عدو وَلكم في الارض مُستقَرٌ وَمتاعٌ الى حِين))(2). انه عالم سيصادف فيه آدم وبنوه ، شقاء عظيما ولاينعمون فيه بالإستقرار إلا قليلا .

ومن هنا يمكننا القول أن فراق آدم للجنة ونزوله إلى الارض يعتبر أول إنفصال للإنسان عن المكان المألوف ، وأول غربة له عن موطنه الأصلي والأرض وإن كانت في البداية تمثل عالم إغتراب للإنسان الأول فإنها مع مر الزمن تحولت إلى موطن أصلي له ، وتوثقت روابط المحبة بينهما إلى درجة أن أصبحت تمثل أمًا له .

ولكن رغم ذلك بقيت صدمة الإنفصال الأولى تلازم الإنسان طوال حياته. وكل إنفصال له عن المكان الذي ألفه هو تذكير له بالإنفصال الأول . وقد عبر عن ذلك الشيخ ابن عربي بقوله ((أول غربة اغتربناها وجوداحسيًا عن وطننا ، غربتنا عن وطن القبضة عند الإستشهاد بربوبية الله علينا . ثم عمّرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة))(3). فالولادة هي بداية إنفصال الإنسان عن ذلك المكان المثال الذي تستحيل العودة اليه مرة ثانية .

وقد أشار (أوتو رانك O.RANK) إلى أن البيئة الرحمية بالنسبة للجنين هي ((بمثابة الجنة التي ينعم فيها الطفل بالسعادة))(4). ولكن هذه الحياة مكتوب

---

1 ـ سورة البقرة : الاية : 35

2 ـ سورة البقرة : الاية :: 36

3 ـ ابن عربي الفتوحات المكية ج 1 دار صادر بيروت ص : 528

4 ـ د. فيصل عباس الشخصية في ضوء التحليل النفسي دار المسيرة بيروت ط 1 / 1982 ص: 151

عليها آن لاتطول حيث أنها تنقضي بمجرد حلول لحظة الولادة التي يتم فيها الإنفصال النهائي عن ذلك المكان الأليف ((إن الميلاد عبارة عن طرد من هذه الجنة))(1) . وخروج الطفل من بطن أمّه يعني خروجه من تلك الجنة التي كان ينعم فيها بالهناء، إلى عالم تحفه المخاطر والمهالك . لذا يبقى دائم التعلق بذلك المكان الذى فقده أثناء الولادة .

وهكذا فكل التفاسير السابقة لارتباط الإنسان بالمكان تؤكد تلك الطبيعة الراسخة في الذات الإنسانية ، والمتمثلة في الحنين الدائم لمكان ألفتها ونشأتها ، وأنّها لاتعرف الراحة إلا إذا عانقت ذلك المكان ((ومن هنا كان للمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى ومميزته التي تشده إلى الأرض ولا غرو فالمكان يلعب دورا رئيسيا في حياة أي إنسان ، فمنذ أن يكون نطفة يتخذ من رحم الأم مكانا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحياتي ، حتى إذا حان المخاض وخرج هذا الجنين يشم أول نسمة للوجود الخارجي كان المهد هو المكان الذى تتفتح فيه مداركه وتنمو فيه حواسه من بصر وشم وذوق ولمس ، بعده - أي بعد المهد - تتبلور الابعاد المكانية للإنسان بصور أوضح))(2).

فالإنسان أكثر التصاقا بالمكان الذى يرتبط بطفولته وصباه، ويزداد هذا الإرتباط كلما تعرض المكان للفقد والضياع . كما أن الإنسان يحس دائما بأن المكان الأليف هو جزء من كيانه ، ولايجد القدرة في نفسه للإنفصال أو الابتعاد عنه، وإن حدث له ذلك رغبة أورهبة فإنه يظل دائم الحنين والشوق إليه ، ولايحس بالراحة والطمأنينة النفسية إلا إذا عاد إليه وامتزج به . فَحِسُّ المكان هو ((حِسٌّ أصيل وعميق في الوجود الإنساني))(3).

ولكن هناك فرق بين المكان العادي والمكان الشعري ، فإذا كان المكان العادى هو مساحة من الأرض تحكمها أبعاد هندسية تميزها عن غيرها . فإن المكان الشعري لايتشكل إلا من خلال اللغة والخيال .

---

1 - د.فيصل عباس الشخصية في ضوء التحليل النفسي ص: 151

2 - أحمد طاهر حسنين وأخرون جماليات المكان دار قرطبة للطباعة الدار البيضاء المغرب ص: 05

3 - اعتدال عثمان إضاءة النص دار الحداثة بيروت ط 1/ 1988 ص: 06

فاللغة هي كيان الذات الشاعرة التي تمنح لفضاءات النص الكينونة الذاتية ، وهي الاداة التي تمكن تلك الذات من استيعاب مايحمل المكان من تناقضات، وإعادة تشكيله من جديد في صورة جميلة ترغب فيها الذات .

إن اللغة ((هي الأداة العظيمة في عملية الوعي))(1) ولكن ليس باللغة وحدها يتشكل المكان الشعري حيث ان ((المكان الشعري لايعتمد على اللغة وحدها ، وإنّما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ماقد يتناقض مع هذا الواقع ، غير أنه يظل على الرغم من ذلك واقعا محتملا ، إذ أن جزائياته تكون حقيقية ، ولكنها تدخل في سياق حلمي يتخذ أشكالا لاحصر لها يصل اليها الخيال اللغوي فيما يمكن ان يسمى جماليات اللغة أوجماليات الخيال))(2)

إن علاقة الشاعر بالخارج لاتتوقف عند الإدراك الحسي بل يربط بينه وبين العواطف الداخلية ، حيث تقوم الفاعلية الذهنية لدى الشاعر بتفكيك أجزاء المكان وإعادة صياغتها وتركيبها في صورة جديدة بفضل تلك القوة التي يمنحها الخيال للمكان وبذلك يتم الترابط بين العالم الداخلي للذات الشاعرة والعالم الخارجي الذي يحيط بها ويؤثر فيها كما تؤثر هي فيه ، فيتحول المكان من ذلك ((الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده))(3) إلى مكان ذهني نفسي مملوء بالحركة وحرارة الإحساس الإنساني .

وهكذا فالمكان في الخطاب الشعري هو المحرك للفاعلية الإبداعية وللكوامن الداخلية للذات الشاعرة لإظهار شعورها نحو مايحيط بها . وعلى ضوء هذا الفهم للمكان الشعري كان تناولنا للمكان في الخطاب الشعري العذري على الرغم من قلة الدراسات الأدبية التي تتناول المكان في الشعر العربي بحجة أن الشعر الغنائي لايتسع للمكان كما تتسع له بعض الأجناس الأدبية الأخرى مثل(الرواية والقصة المسرحية) لأننا نرى بأن الشاعر له القدرة الكافية للتعبير عن متطلبات الحياة كما يعبر عنها غيره فالخبرة الفنية لاتعرف الفصل بين الاجناس الادبية

---

1 ـ كريستوفر كودويل الوهم والواقع تر/ توفيق الأسدى دار الغرابي ط1 /82ص: 176

2 ـ اعتدال عثمان إضاءة النص ص: 06

3 ـ ينظر د جميل صليبا المعجم الفلسفي ج 2 دار للكتاب اللبناني: 1979ص: 412

مكـــان الـــذات :

يقول جميـــل بثينـــة :

وأهوى الأرضِ عنـــدي حيث حلّـــتْ بجـــدبٍ في المنازل أوخصيـــــبِ (1).

من خـــلال هذا البيت نجد أن الصورة المستثارة للمكان فيهن الشاعر العذرى هـــي صورة المكان المرتبط بالمحبوبة . فعلاقة المحبوبة بالمكان هي التي تحـــدد علاقته بالشاعر فإن كان المكان مكان حضور يصبح مما هيّأله، وإذا كان العكـــس بحيث يمثل الغياب يصبح نقيضا له في العلاقة. ومن ثم فبنية تشكل المكان فـــي الخطاب الشعرى العذرى تنتظم من مفهوم (الحضور/ الغياب)ومِنْ سِمَةٍ أساسية هـــي التضاد بين (الخصب الجدب) لذلك فلا يمكننا أن نجرد المكان من روابطه العاطفيـــة ووشائجه العشقية ، وبالتالي يصبح التعامل مع المكان مرهونا بما يؤطره مـــن احاسيس وفضاءات شعورية ، فالذات هي المؤطرة للمكان .

وهكذا فحركة الذات العذرية تكون دائما بإتجاه المكان الذى تمارس فيه سلطتهـــا ، حيث تمارس فيه عملية التوالد للوشائج العشقية والأواصر العاطفية دون قيد . وبذلك ينشأ الترابط بين المكان وهذه الذات العاشقة نظرا لكونه يمثل فضاء التجاوب وحيـز الترابط . وعليه كانت العلاقة بينهما وطيدة ، مما جعل الذات العذرية تمعن فـــي تصويره ، وتعاين دقائقه ومحمولاته الجمالية التي تجلب الذات وتبهجها لأن ذلك يعمق العلاقة العشقية .

وهكذا فالمكان في الخطاب الشعرى العذرى لايأخذ صورته الحياتية الا بحضور الذات المحبوبة فيه،فالمحبوبة هي الأصرة الخلاقة التي تبعث الحياة في المكان .

يقول كثـــير عـــزة (2)

خليلـــيَّ إنّ أمَّ الحكيمِ تحمّلـــتْ وأخلتْ لخيماتِ العُـــذَيْـــبِ ظِلالَهـــــا (3)

---

1 ـ جميـــل بثينـــة ديوانه ص : 15

2 ـ كثيـــر عزة ديوانه ص : 75

ـ العـــذيب : ماء بين ينبع والجـــار

فلاتسقياني من تهامَةَ بعدها بِلا لاً وإنْ صَوْبُ الرَّبيعِ أَسالَها

وكنتمْ تزينون البِلاطَ فغارقت عشيَّةَ بِنتُمْ زَيْنها وجَمالَها (1)

إن المكان يشكل بالنسبة للشاعر العذري بؤرة التوتر والإنفعال والتواجد نظرا لكونه يمثل موطن الارتواء والظمأ . فهو الذي يفرح الذات اويعذبها . يفرحها عندما يكون ميدانا للقاء والإرتواء العشقي، ويعذبها عندما لايحقق لها ذلك ((فالمرأة هي العلامة الوحيدة الحية في المشهد العذري))(2). ومن ثم جاء المكان في الخطاب الشعري العذري مشحونا بأسباب التجاذب العاطفي . ومن خلال هذه العلاقة بين الذات العذرية والمكان نشطت مخيلة الشاعر لإعادة تشكيل المكان وفق ما تريده النفس وترضى عليه . ملبية بذلك مطالب الروح المندفعة نحو التعامل مع العالم الخارجي الذي يحيط بها بغية الوصول إلى السعادة المرغوب فيها .

وقد عبر عن هذا المفهوم أحسن تعبير الفيلسوف غاستون باشلار بقوله: ((إن الشعر هو ظاهرية الروح أكثر من كونه ظاهرية العقل))(3). فالروح الخلاقة والمندفعة دائما نحو نشدان السعادة والطمأنينة النفسية هي التي تدفع العقل إلى التعامل مع الأشياء المحيطة بها، ومنها المكان المتناسق في بنائه ومحتوياته يؤدي في المقابل (بنسقه هذا وتجانسه) إلى تأسيس جملة من الوثبات النفسية المتجاوبة ، والتي تؤسس مكان الذاكرة .

إن المكان في الخطاب الشعري العذري هو نتاج الذاكرة المشحونة بالتوهج العشقي ، الناتج عن الحرمان من امتلاك المحبوبة من جهة ، والتغير الدائم للمكان من جهة أخرى.

فصورة المكان في الخطاب الشعري العذري تعبير عن معاناة الذات العاشقة من رغبة الروح في الإمتلاء بالحياة في ظل الحب وسعادة اللقاء الدائم، في مكان آمن خال من الوشاة والرقباء . ومن هذه الرؤية نجد أنّ الذات العذرية لايتحقق لها وجود ، ولايسكن ألمها واضطرابها الا في المكان الذي يتم فيه اللقاء بالمحبوبة. أي مكان الارتواء من الذات المحبوبة .

---

1 - البلاط: مكان بالمدينة المنورة مابين المسجد والسوق .

2 - طاهر لبيب سوسيولوجية الغزل العذري ص: 131

3 - غاستون باشلار جماليات المكان تر/ غالب هلسا وزارة الثقافة ض: 20 والاعلام بغداد

يقول مجنون ليلـــى:

طوبـــى لِمَـــن أنـــتِ في الدينا قرينتُهُ لقد نفى اللّهُ عنه الهمَّ والجزَعَا (1)

ويقول جميل بثينة

ومن يُعـطَ في الدينا قرينا كَمِثْلِهَـــا فذلك في عيش الحياةِ رشيـــدُ (2).

ويقول كثـــير عزة

هي العيش ما لاقَتْكَ يومـا بِوُدِّهـــا وموتٌ اذا لاقاكَ منها ازورارُهَـا (3).

فالمحبوبة هي الحياة في العالم العذري، ولذلك فمكان تواجدها هو مكان الحياة ومن ثمّ فالمحبوبة والحياة متلازمان، فهي التي تذهب الهمّ وتملأ الحياة سعادة، وإن غابت تغيب معها الحياة .

وإذا كان الطـرح الفلسفي يرى ((أن المكان حي بالنسبة لمن يستعمله))(4). فان صورة المكان في النص العذري تتشكل ملامحها وفق الحضور/الغياب للذات المحبوبـة لان العذري يمنح محبوبته قدرة السيطرة على الكون ومن خلاله على المكان .

فمكان حضورها هو مكان الخصب والحياة ، ومكان غيابها هو مكان الجدب والموت وكأنها عشتار ((ربة الخصب التي لاينمو نبات ولايتناسل حيوان الابعنايتها (.....) (و) إذا غابت عن الارض ، توقف فيها الخصب والتناسل وحل القحط والموت))(5). إذن ، فالمكان الحي في الخطاب الشعري العذري هو المكان المرتبط بالمحبوبة ، وماعـداه فهو مكان ميت.

يقول مجنون ليلـــى:

فَلَوْأَنَّهَـا تدعـو الحَمَـامَ أجابَهَـا ولـــو كلّمـتْ مَيْتًـا إذًا لتكلّمَـا

ولو مسحَتْ بالكف أعْمَى لأذهبَـــتْ عَمَاهُ وميكًا ثمّ عـاد بلا عَمَـــى

منعّمَـة تَسْبِي الحليـمَ بوجْهِهَـا تَزَيّـنُ مِنهـا عِفّـةً وتكرّمَـا

فتلك الّتي مـن كـانَ داءً دَوَاؤُهَا وهاروتُ كُلُّ السِّحْرِ مِنْها تعلّمَـا (6)

1- مجنون ليلـى ديوانـــه ص: 157

2- جميـــل بثينة ديوانـــه ص: 32

3- كثيـــر عـــزة ديوانـــه ص: 430

4- إديت كيزويل عصر البنيوبة من ليفي ستراوس الى فوكو تر/ جابر عصفور ط 2/86 دار قرطبة للطباعة والنشر الدار البيضاء ص: 89

5- ينظر - جبرا ابراهيم جبرا تأملات في الهة قديمة مجلة أفاق عربية العراق عدد 2/ 31 ص: 108

6- المصدر نفسة ص: 202

يقول كثيـــر عـــزة

رُهبـــانُ مَدْيَنَ والذيـن عَهِدتُهُـمْ ... يَبكون من حذر العذابِ قُعُـــودَا

لو سيمعـــون كما سمِعتُ كلامَهـــا ... خَـرُّوا لعـــزَّةَ رُكَّعًـــا وسُجُـــودَا

والمَيْتُ يُنشَـــرُ أنْ تمسَّ عظامَـــهُ ... مَسًّـا ويَخلُـدُ أنْ يَراكِ خُلُـــودَا (1)

هذا التقديس للانثى المحبوبة كان له اثره الكبير في نظرة الشاعر العذرى للمكان المرتبط بها • فعندما تتغلب العواطف العشقية ، وتغيب صرامة العقل في ادراك المحسوسات المحيطة بالذات الشاعرة ، تعمل الذاكرة على تشكيل المكان وفتق الرغبة الداخلية التي أملتها الوشيجة الروحية المتعلقة بالذات المحبوبة •

وهكذا يتحول المكان المرتبط بالمحبوبة من مكان عادي يحكمه ابعاد هندسيـــة يعرف بها، الى مكان مقدس يحفه الاجلال والطهـــر •

يقول مجنون ليلى

إذا الحجّاجُ لم يقِفُـــوا بليلـــى ... فلستُ أرى لحَجّهِـــمُ تَمامَـــا

تَمامُ الحـــجّ أن تقِفَ المَطايَـــا ... على ليلـــى وتُقْرِيَهـــا السلامَـــا (2)

ويقول كثـــر عزة :

خَليلَـــيَّ هَـذا ربـــعُ عزة فاعقِـــلا ... قلوصَيْكُما ثُمَّ ابْكِيَا حيثُ حَلَّـــتِ

وُمُسَّا تُرابا كان قد مَسَّ جِلْدَهـــا ... وبيـتا وظِـلًّا حيثُ باتتْ وظَلَّـــتِ

ولاتيأَسَا أنْ يَمْحُوَ اللّهُ عنكُمـــا ... ذنوبا اذا صَلَّيْتُما حيثُ صَلَّـــتِ (3)

فهذا التمازج الحاصل بين طهارة المرأة المحبوبة والمكان والتمازج المؤدي الى قداسة المكان هو أحد خصوصيات المكان في الخطاب الشعري العذري •

فالمكان المقدس المملوء بالروحانيات يكثر وروده في الخطاب الشعرى العذرى، وذلك راجع لاثر العقيدة الاسلامية في المجتمع العربي آنذاك ومنه الشاعر العذرى، فالعقيدة الاسلامية اعطت للاماكن الدينية مكانة خاصة، خصوصا مكة وماجاورها من أماكن مقدسة*

1- كثيـــر عزة ديوانـــه ص : 442/441

2- مجنون ليلى ديوانـــه ص : 200

3- المصدر نفسة ص : 95

* ينظر الفصل الثالث المكان المقدس •

يقول مجنون ليلى:

ذكرتك والحجيج لهم ضجيجٌ بمكة والقلوبُ لها وجيبُ[1]

فقلت ونحن في بلدٍ حرامٍ به واللهِ أخلصت القلوب

أتوب اليك يا رحمن مما عَمِلْتُ فقد تظاهرت الذنوب[2]

فأما من هوى ليلى وتركي زيارتَها فإنني لا أتوبُ.

وكيف - وعندها قلبي رهينٌ- أتوبُ اليك منها أوأُنيبُ؟

تبين هذه الابيات جدلية الصراع الداخلي بين الامكنة (مكان العلاقة بالله) و (مكان العلاقة بالمحبوبة) . فالشاعر هنا يتوق الى مكان المحبوبة اكثر مما يتوق الى المكان المقدس فهو حاضر جسدا وغائب روحا . لان علاقته بالمكان محكومة بذلك التوهج العشقي المسيطر على مخيلته والذي يربطه دائما بالمحبوبة اين ماكانت ، فمكان تواجد المحبوبة هوالمكان القريب من الذات المرتبط بها .

يقول مجنون ليلي

فلا تعذلوني في الخطار بمهجتي هوى كل نفس أين حل حبيبُها[3]

وهكذا فالمكان في الخطاب الشعري العذري لايشكل الا من خلال ذلك التضاد الحاصل بين حضور الذات المحبوبة أوغيابها ، وان المكان مهما كانت قيمته يفقد علاقته بالشاعر في حال غياب المحبوبة عنه .

إن علاقة الشاعر العذري بالمكان هي علاقة تأخذ ابعادها وظلالها من خلال صلة ذلك المكان بالمحبوبة ، فكلما كانت الصلة بينه وبين المحبوبة وثيقة كانت الروابط قوية ، وكلما كان الانفصال بينهما أحس الشاعر بعداوة ذلك المكان له ، وعدم الرغبة فيه . لأن علاقتنا بالمكان تنطوي ((على جوانب شتى ومعقدة تجعل من معايشتنا له عملية تجاوز قدرتنا الواعية للتوغل في لاشعورنا . فهناك اماكن جاذبة تساعدنا على الاستقرار، واماكن طاردة تلفظنا))[4].

فالمكان الذي ينجذب الشاعر نحوه هو مكان المحبوبة ، لانه المكان الذي تتحقق فيه العلاقة بين الذاتين ، وبذلك تتحقق أمنية النفس المتعطشة الى اللقاء

---

1 - مجنون ليلى ديوانه ص : 53

2 - تظاهرت : تعاونت

3 - المصدر نفسة ص : 59

- الخطار : المخاطرة

4 - احمد طاهر حسنين واخرون جماليات المكان دار قرطبة للطباعة والنشر الدار البيضاء المغرب ط 1988/2 ص : 63

، والباحثة عن لحظة تظفر فيها بالمحبوبة في غفلة الوشاة والرقباء .

يقول جميل بثينة :

يا ليتنا والمُنَى ليستْ مُقَرِّبَةً أنّا لَقَيْنَاكِ والاحراسُ قد رقدُوا

فيستفيقَ محبٌّ قد أضرَّ بهِ شوقٌ اليك ويُشفى قلبُهُ الكَمِدُ(1)

فالذات العذرية المتعلقة بأواصر الذات المحبوبة لاتجد سعادتها إلّافي المكان الذى يُحقق لها اللقاء ، والذى تحس فيه بوجودها الحياتي.ولكن الحضور العيني للمحبوبة يخلّ بتوازن الذات العاشقة ، فتضطرب احوالها الى درجة انها لاتدرى ماتفعل وبذلك تفقد علاقتها بالمكان .

يقول مجنون ليلى:

فما هو الا ان اراها فجأةً فأبْهَتُ لاعُرفٌ لَدَيَّ ولانكْرُ (2)

ويقول كثير عزة :

وحبك ينسينى من الشئ في يدى ويذهلنى عن كلِّ شئ ازاولُهْ(3)

فهذا الاضطراب الداخلي الذى تعيشه الذات العذرية عند الحضور المادى للمحبوبة ، يكون له اثره القوى على الاستحضار ، فلا يصبح لها الوقت الكافي لتأمل المكان اومايحيط بها . لانها اصبحت مملوءة بتجليات صورة المحبوبة ولامكان لغيرها .

إن الذات العذرية في تلك اللحظة تصرف كل طاقاتها في التزود من المحبوبة لمسابقة اللحظة الزمنية الهاربه منها دائما .((لان طبيعة المكان تستدعى حضور الزمان لبناء الحركة ، ولتطوير المشهد الحزين أوالسار))(4). والشاعر العذرى هنا مثله مثل الصوفي الذى يغيب هو كذلك عن المكان عندما تغمره الإشراقات الروحية في تجلياته .

ولكن عند غياب المحبوبة يكون للمكان حضور قوي فتقوم الذات الشاعرة بتحسس مايحيطبها لتشكو له همومها وعذابها

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه ص : 41

2 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 103

3 ـ كثير عزة ديوانه ص : 419

4 ـ أحمد يوسف تجليات القلق في شعر صلاح عبد الصبور (مخطوط رسالة ماجستير) ص : 293

نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي جامعة وهران 1989/86

ولذلك فأخطر ماكان يواجهه الشاعر العذري هو رحيل المحبوبة عن المكـــان لانه مع رحيلها تبدأ مأساته وشقاؤه .

إن الرحيل بترك الذات العذرية تتمزق داخليا فيكثر بكاؤها ونحيبها ، لانهـا في تلك اللحظة تدرك ان علاقتها العاطفية بالمحبوبة قدبدأ الخطر يهددهـــا ، وأن السعادة قد انقلبت الى شقاء ومعاناة وألم وحزن . وبذلك تصبح علاقتها بالمكان علاقة عداوة لانه لم يوفر للمحبوبة اسباب الحياة والاستقرار .

يقول مجنون ليلـــى:

كأنـــي غداة البين رهنُ منيـــةٍ أخُو ظمإٍ سُدّتْ عليـــه المشـــارعُ

تَخَلّسَ من يهواهُ ماءَ حياتـــــه فلا الشـــرْبُ مبْذُولٌ ولا هو ناقِـــعُ(1)

فرحيل المحبوبة ينذر بجدب المكان وخرابه وعدم ملاحيته للحياة ، ومغادرة المحبوبة له يفقده أسباب الارتباط بالحياة . كما أنه في الوقت نفسه يفقد صداقته للشاعـــر . لأن المحبوبة هي المحرك الحقيقي للذات العذرية ، وهي الباعث لها لإحـــداث التآلف مع ماحولها أوالنفور منه .

فالمحبوبة في نظر العـــذري هي التي تعطي للمكان وجهه الحي ، لانها تقابل معنـــى الامتلاء والحركة والخصب ، وتجسد تلك العلاقة التي تجمع بين المرأة والأرض،والتي بقيت راسخة في ذاكرة البشرية عبر قرون من الزمن ، وحيكت حولها الاساطير الكثيرة. ومن خلال تلك العلاقة التي تجمع بين المرأة والارض على أنّهُما مصدر اللولادة والإخصاب ، أدرك الشاعر العذري ذلك الترابط الحاصل بين محبوبته والمكان . إن المكـــان لايعرف الخصب إلا إذا حلت المحبوبة به .

فالخصب هو الذي يفتح الأمل أمام الشاعر العذري في الاستقرار والرغبة في الاستـــزادة من الحياة ، لأن الخطر الذي يهدد حياته هو جدب المكان . لذلك فكلما كانـــت الصلة قوية بين المحبوبة والمكان ، كلما اطمأنت الذات العذرية لديمومة البقـاء. وكلما وقع التنافر بين المحبوبة والمكان كلما ازدادت عداوتها لذلك المكان فيغياب المحبوبة عن المكان تغيب عنه مظاهر الحياة ويحل به الخراب.وهكذا فصلة العـــذري بمحبوبته هـــي صلة متشبعة بالحياة وديمومة الحركة .

---

1 - مجنـــــون ليـــلـــى : ديوانـــــه ص : 142

فالمكان المملوء بدواعي السودة والمحبة هو المكان الذي تنتعش فيه الذات وتتفتح على الكون وما فيه ، فتزداد رغبتها في الحياة والبقاء . لان ((العاطفة هي الاقدر على الادراك ، لأنها تصدر عن الذات اكثر مما تصدر عن العقل))(1).

إن المكان الخصب يحتل مكانة كبيرة في الخطاب الشعري العذري، لارتباطه الوثيق بالحياة والبقاء والاستقرار ، فجمال الحياة لاينبثق الا من خلال المكان الخصب ، ، والروابط العشقية لاتحيا الا في مثل هذا المكان . ومن ذلك فالمكان الخصب هو المكان الذي يثير إحساس الشاعر بجمال الحياة ، وجمال الكون وجمال المحبوبة . فان المكان الخصب هو المحور الاساس لتحريك المشاعر مع الموجودات التي تعيش في المكان والتي يستمد من جمالها صورة لجمال محبوبته ، فيربط بين جمال المكان وجمال المحبوبة ، بل يجعل من المكان مصدرا لجمال المحبوبة فيكون معينا له في اجلاء جمالها الذي سحر الشاعر مثلما سحره جمال المكان .

يقول مجنون ليلى:

أَنيري مكانَ البدْرِ إنْ أفَلَ البدْرُ ... وقومي مقامَ الشمسِ ما استأخرَ الفجْرُ

ففيك من الشمسِ المنيرةِ ضوؤها ... وليس لها منك التبسُّمُ والثغرُ

لك الشرقةُ اللألاءُ والبدرُ طالعٌ ... وليس لها منك الترائبُ والنحرُ

ومن أين للشمس المنيرة بالضحى ... بمكحولةِ العينين في طرفها فترُ

وأنّي لها من دَلِّ ليلى اذا انثنتْ ... بعيني مهاةِ الرَّمْلِ قد مسها الذعرُ

تبسَّمُ ليلى عن ثنايا كأنّها ... أقاحٌ بجرعاءِ المراضيْنِ أوْ دُرُّ

منعمةٌ لو باشر الذرُّ جِلْدَها ... لأثّرَ منها في مدارجها الذرُّ (2)

فالمكان هنا هو المحايث للذات العاشقة ، ولذلك كان معينا لها في اظهار جمال المحبوبة . وعلى الرغم من أنّ الذات العذرية تربط بين جمال الطبيعة وجمال المحبوبة ، إلا انها في احساسها الداخلي ترى أن جمال المحبوبة هو فوق كل جمال فهو جمال كوني ، جمال ساحر لايدانيه جمال مهما كان ، فلا البدر ولا الشمس ولا المهاة ولا أي مخلوق آخر في هذا الكون الفسيح يمكنه أن يسمو بجماله فوق جمال المحبوبة .

---

1 ـ د . عبد الرحمن بدوي الموت والعبقرية دار القلم بيروت ص: 53

2 ـ مجنون ليلى ديوانه ص: 100 / 101

إن نظرة الشاعر هذه جاءت نتيجة ارتباطه بالمكان ، فارتباط الذات الشاعرة بالمكان هو الذي جعلها تعي النسق المكاني والانسجام الكامن في تفاصيله لذلك تعاضد الحس الجمالي بالمكان مع الحس الجمالي بالمرأة . ولكن ما يجب الاشارة اليه هنا هو ان استعانة الشاعر بالمكان لاظهار جمال محبوبته شئ قديم في الشعر العربي فمنذ القديم أدرك الشاعر الجاهلي ((العلاقة بين مظاهر الجمال في الكون ، واختيار ، بعضها للتعبير عن البعض الاخر))(1) فشبه محبوبته بكل مظاهر الجمال في الوجود لان هناك علاقة وطيدة بين جمال الطبيعة وجمال المرأة ((فالمرأة هي الطبيعة التي تآلفت مفاتنها وتعانقت بعضا مع بعض بشكل حي))(2). ولذلك افتتن الشعراء بجمالها فخلقوا منها تمثالا للجمال في هذا الوجود. ولكن الشئ الذي يميز الشاعر العذري عن غيره هو أنه سما بجمال محبوبته الى درجة الفيض والاجلال. فجمالها فوق كل جمال وأروع من أن يشبه بكائن اونبات مهما كان جماله . فمحبوبته اجمل من كل المخلوقات .

يقول جميل بثينة :

لقد فضلت حسنا على النّاسِ مثلما ... على ألف شهرٍ فضلت ليلةُ القدرِ (3) ع

وهذه النظرة الى المحبوبة هي التي جعلت الشاعر العذري يحنّ باستمرار الى مكان تواجد محبوبته . وهو يعتقد أن مكان اقامتها هو مكان الخصب والحياة وأنّ ماسيواه عدمٌ لاحياة فيه .

يقول مجنون ليلى:

أحنُّ الى أرض الحجاز وحاجتي ... خيامٌ بنجد دُونَها الطّرف يقصُرُ

وما نظري من نحوِ نجد بِنافعي ... أجلْ ، لا ، ولكنّي على ذاك أنْظُرُ

أفي كل يوم عبرةٌ ثمّ نظرة ... لعيْنكَ يجري ماؤُها يتحدّرُ

متى يستريحُ القلبُ إمّا مجاورٌ ... حزينٌ وإمّا نازحٌ يتذكّرُ (4)

---

1 ـ نجيب محمد الهيبتي تاريخ الشعر العربي دار الفكر بيروت ط:4 ص : 82

2 ـ ايليا حاوي أمرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ص : 66

3 ـ جميل بثينة ديوانه ص : 44

4 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 104

ويقول كثيبر عـزة

ديـــارٌ عَفَتْ من عزّة الصيف بعدمـا ... تُجِـدُّ عليهنّ الوشيـعَ المثممّـــا

فإن أنجـدتْ كان الهَوَى بكَ مُنْجِـــدًا ... وإنْ اتّهمَتْ بومابِها الدارُ أتّهمـــا (1)

تتضمن الابيات السابقة موقف الشاعر العذرى من مكان تواجد المحبوبة ، فهو يـرى ان مكان المحبوبة هو المكان الوحيد الذى يمكنه ان يتسع لهمومه ومعاناته ومن ثمة أصبح ذلك المكان ، مكانا أساسيا في الخطاب الشعرى العذرى لانه يمثل في نفسيـــه الشاعر مكان الحياة والالفة والمحبة . وإذا كانت المحبوبة في نظر الشاعر العـذرى تمثل الحياة والخصب والإمتلاء ، فإنّ مكانَ تواجدها هو مكانُ الخصب الدائم ، لذلـك ربط بين محبوبته وخصب المكان .

ولكن الخصب لايكون الا بوجود الماء ، علامة الخصب ورمز الحياة . فالماء هو سرالحيـــاة وباعثها لذلك ارتبط الانسان بالماء نظرا لكونه يشكل بؤرة التوجس الحياتي . وقـد جاء في القرآن الكريم ((أَوَ لَمْ يَرَ الذين كفروا أنّ السموات والارض كانتا رَتْقًـــا فَفَتَقْنَاهُمَا وجعلنا من الماءِ كلّ شيءٍ حَيٍّ افلا يُؤمِنُـــونَ))(2) . ومن ذلك فارتباط الانسان بالماء هو إرتباط المخلوق بأصل خلقته ، فالماء هو اصل الانسان ومنـــه خلق . قال الله تعالى ((وهوَ الّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بشرًا فَجَعَلَـهُ نَسَبًا وصِهْـرًا وكـان رَبُّكَ قـديرًا))(3) .

فالانسان كان ثمرة التكوين الذى اسسه العنصر المائي ، لذلك كانت حياته مرتبطـة بالماء . وهذه العلاقة بين الانسان والماء هي التي جعلت البشرية قديما تقدس موطـن الماء فالعرب في القديم ((قدسوا مواطن الماء القديمة واعتقدوا فيها سرا غامضا))(4) . وزاد من ذلك التقديس تلك البيئة الصحراوية الجافة التي كان يعيش فيها الإنســـان العربي ، والتي يُعتبر فيها الماء أثمن شـيء .

ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد إرتبط الماء في ذاكرة البشرية بحدين متضادين . فهـو

---

1 - كثـير عـزة ديوانـــه ص : 133

2 - سورة الانبياء الايـــة : 30

3 - سورة الفرقان الايـــة : 54

4 - د . سيد نوفل شعر الطبيعة في الادب العربـي دار العارف مصر ط 2 ص : 30

ان كان يمثل الحياة والهناء والخير . فإنّه كذلك يمثل الخراب والدمار والشر . فهول الطوفان الذى عرفته الإنسانية أيام نوح عليه السلام ، وما احدثه من تدمير للحياة بقي عالقا بذاكرة البشرية ، فكل خراب يحدثه الماء يذكرها بالطوفان.

وإذا كانت هذه هي علاقة الإنسان بالماء ، فما هو حظ الماء في الخطاب الشعرى العذرى ؟. وماهي الرموز والدلالات التي يحملها ؟ . ان المتتبع للخطاب الشعرى العذرى يلاحظ الحضور القوى لعنصر الماء بمختلف دلالاته في النص العذرى ، وذلك راجع بالتأكيد لأثر المكان في نفسية الشاعر . فالبيئة التي يعيش فيها، هي بيئة صحراوية يقل فيها الماء الى درجة الندرة في بعض الاماكن، ومن ثم كان حرصه الشديد على الماء لانه يدرك بأن علاقته بمحبوبته لايمكنها ان تعرف الاستقرار الا بوجود المكان الخصب الذى يتوفر فيه الماء والكلأ .

يقول مجنون ليلى:

سقى اللهُ أرضًا اهلُّ ليلى تحلُّها ... وجاد عليها الغيث وهو سكوب

ليخضرّ مرعاها ويخصبّ اهلها ... وينمي بها ذاك المحل خصيب(1)

فلغة الدعاء عند المجنون تعرب عن أمنية الشاعر بسرمدية الديمومة المكانية ، وذلك بما أضفاه على المكان من أسباب الاستقرار والبقاء.فالشاعر العذرى ، الذى يواجه جدب المكان وفقد المحبوبة أصبح لايرى للنجاه سبيلا من معاناته الا في الغيث الكثير، لانه هو الذى يخصب المكان ويبعث فيه الحياة من جديد فيكون إستقرار المحبوبة وترتاح من شقاء التنقل ، وبذلك تتحقق أمنية الشاعر العذرى في العيش الى جوار محبوبته في سعادة لاينغصها جدب المكان .فالغيث يلغي ظل الفناء والزوال ويبعث الحياة والبقاء في المكان .

يقول كثير عزة :

وَإِنِّي لأَسْتَهْدِي السحَائِبَ نحوها ... من المنزل الأدْنَى فَتَسْرِي وَتُسْرِعُ(2)

1- مجنون ليلى ديوانه ص : 46

2- كثير عزة ديوانه ص : 406

فهذا الحرص الشديد على استمطار مكان المحبوبة ، يعبر وبقوة عن تلك الرغبة الكامنة في نفسية الشاعر العذري والمتعطشة دائما الى استقرار المحبوبة، لانه يدرك بأن سعادته لاتتحقق ولا تنتعش الا باستقرار محبوبته. وإستقرار المحبوبة لايكون الا بوجود الماء باعث الحياة ومخصب المكان .

فالغيث هو عبارة عن تأسيس لفضاءات إشراقية يبعثها هاجس الحلم والبقاء وأنّ الماء هو هدية الشاعر الى محبوبته، وليس هناك أحب اليه من أن يهب إليها الماء.

يقول مجنون ليلى:

جرى السَّيْلُ فأستبكانيَ السَّيْلُ إذْ جَرَى ... وفاضت له من مُقْلَتَيَّ غُروبُ

وماذاكَ الأحينَ ايقَنْتُ أنَّهُ ... يكونُ بوادٍ أنْتِ مِنْهُ قريبُ

يكون اجاجا دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى طيبكم فَيَطِيبُ

فياساكني أكْنافِ نخلةَ كلّكم ... الى القلب من أجل الحبيبِ حبيبُ (1)

فوقوف المجنون أمام السيل قد فجّر مايختلجه من عواطف عشقية وحنين الى المحبوبة الغائبة عنه . فهو لم يُبْكِهِ السَّيْلُ إلّا لأنّهُ يجري بوادٍ يمر بالقرب من مكان المحبوبة ، لان السيل يَنِمُّ عن فعل الحركة والرغبة في الاقتراب ، فحضور المحبوبة هو حضور التآلف المكاني.

إن الماء الذي يقتل الحياة في المكان الخالي من المحبوبة (يكون اجاجا دونكم) ، يحييها في مكان تواجدها (فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب) لان مكان المحبوبة هو مكان مُماهٍ للشاعر ، ولذلك فهو مكان لبعث الحياة وإزدهارها أما المكان الخالي من المحبوبة فهو مكان نقيض للذات فلا يستحق الحياة ، لذلك تعمل مخيلة الشاعر على تدميره وإخلائه من كل مايرتبطه بالحياة أو يساعد على بعثها.

وهكذا فالشاعر العذري لايرتاح للمكان إلا اذا كان له صلة بالمحبوبة لان حضور المحبوبة بالمكان هو الذي يعطيه بعده الحياتي ، فهي باعثة الحياة في المكان. إن الحضور هو الذي يوثّق الصلة بين الشاعر والمكان ((لان الارض لاتمرع إلا من خطو صاحبته ، والمنازل لاتعمر الا اذا خطرت فيها الحبيبة))(2).

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 44

2 ـ د.خريستونجم جميل بثينة والحب العذري دار الرائد العربي 82 بيروت ص : 205

فالـــشر في نظر الشاعر العذرى يكمن دائما في المكان الخالي من المحبوبة ، لأن ذلك المكان في نظره يفتقر لأسباب الحياة وما يرتبط بها ،وما دا م كذلك فهو نقيـــض للشاعر يحس فيه بالضيق والغربة .

ومن ثم فالسيل الذى أبكى المجنون لايمكنه أن يكون باعثا للحياة في مكان خـــال من المحبوبة لتلا زم الواقع بين المحبوبة والحياة . إن السيل الأجاج ، سيـــل قاتل للحياة ، لأن الماء الأجاج يحمل دلالات الجدب والهلاك ، أي إفناء الحيـــاة في المكان ، أما السيل الطيب فهو باعث للحياة ، لأن الماء الطيب يحمل دلا لات الخصب والنمـــاء والحياة.

ومن هنـــــا يظهر ذلك التضاد الحاصل بين مكان تواجد المحبوبة ومكان غيابهـــا فالأول مما هيئ للشاعر لأنه مكان الحياة والحب والألفة والثاني نقيضٌ لَهُ لأنَّهُ مكـــان الجدب والغربة والهلاك . وهكـــذا فالمكان في الخطاب الشعرى العذرى هو نتـــاج الذاكرة المملوءة بالتوهـــج العُشقـــي نتيجة الحرمان الدائم من الذات المحبوبة الواحـــدة.

المكـــان الاخـــر:

إذا كان قد اتضح لنا مما سبق أن المكان في الخطاب الشعري العذري تؤطـــرة المحبوبة وأن مكان الذات هو مكان تواجدها، فإن مكان غيابها هو المكـــان النقيض لمكان الذات، لأنه المكان الذي ينفر على الذات العاشقة استقـــرارها ومتعتها وتحس فيه بالضيق والألم والوحشة والغربة. كما تعاني فيه من لوعـــة الحرمان والفقد.

يقول مجنون ليلـــى:

الا ايها البيت الـــذي لأزوره ... وهجـــرانه منـــي اليـــه ذنـــوب

هجـــرتـــك مشتاقا وزرتك خائفا ... وفيك علـــيّ الدهـــر منك رقيـــب

سأستعطف الأيام فيك لعلهـــا ... بيوم سرور في هواك تثيـــب(1)

إنّ الرقيب هو الذي يحدّ من رحابة المكان، فينفض بذلك من الشعور بحرية الحركة، فتحس الذات العاشقة بالضيق المكاني، لأن رغبتها لم تتحقق، بل أصبحت تحت رغبة الغيـــر التي تناقض رغبتها.

يقول مجنون ليلى ايضا:

إذا ماجلسنا مجلسا نستلـــذّه ... تواشـــوْا بنا حتى أَمَلَّ مكانيـــا(2)

فالمكان هنا وعلى الرغم من إحتوائه على الذات المحبوبة، إلاّ أنّه مكان نقيـــض للذات الشاعرة لأنه مكان تمارس فيه سلطـــة الغير التي تحد من حرية وحركة الشاعر. فحضور الوشاة بالمكان يؤدي الى منع الشاعر من تحقيق رغبته العشقية، وبذلـــك يصبح مكان الوشاة والرقباء مكانَ نقيض للعلاقة لأنه لايحقق أمنية الشاعر المتمثلة في الظفر بالمحبوبة في غفلة الغير.

يقول جميـــل بثينـــة:

تَـــذكّـــرَ مِنْها القلـــبُ مَالَيْسَ نَاسِيا ... مَلاحَةَ قولٍ يومَ قالَتْ ومعهَـــــدَا

---

1 ـ مجنون ليلـــى: ديوانـــه ص: 43

2 ـ المصدر نفسة ص: 227

فان كنت تهوى أو تريـــدُ لقـــاءنـــا على خُلّـــوةٍ فاضـــرب لَنا مِنْك مُوعـــدَا
فقلتُ ولَمْ أَمْلِك سوابـــقَ عبـــــرةٍ أأ حســن من هـذى العشيّـــةِ مقعَـــدَا ؟
فقالـــــت أَخَـــافُ الكاشِحينَ وأَتّقـــي عيونـــا من الواشين حوليّ شُهَّـــدَا (1)

إن مكان الوشاة والرقباء هو مكان نقيض للعلاقة لان ((من أفات الحب الرقيب))(2) فشخصية الرقيب أو الواشي شخصية غير مرغوب فيها لأنها تحد من حرية وحركة الـــذات العاشقة، وتجعلها تحس بالضيق المكاني وفقد حرية التحرك ومن هنا تظهر جدليـــة العلاقة بين المكان والحرية . ونعني بالحرية هنا حرية الحركة والفعل وتحقيـــق ما ترغب فيه الذات .

فالمكان لاينفصل عن مفهوم الحرية والتي هي ((مجموع الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز أو عقبات أي بقوى ناتجة عن الوسط الخارجـــي لايقدر على قهرها أو تجاوزها))(3). وعليه فالشاعر العذري الذي يرغب في تحقيـــق علاقته العشقية يصطدم بتلك الحواجز التي يضعها المجتمع في طريقه، والتي تحـــوّل المكان من مكان لتحقيق رغبات الذات الى مكان نقيض، ومن مكان للحرية والحركـــة الى مكان لفقدها ، ومن هنا تبدأ غربة الشاعر العذري .

يقول مجنون ليلى:

أَظـــلَّ غريـــبُ الدّارِ في أرض عامـــــر أَلا كل مهجور هنـــاك غريـــــبُ (4)

فإحساس الشاعر هنا بالغربة جاء نتيجة سيطرة سلطة الغير على الذات العاشقة ومنعها من تحقيق رغبتها الروحية (الرغبة في امتلاك الذات المحبوبة) ومن ثمّ فغربـــة المجنون لم تكن نتيجة فقد موطنه وقومه، وإنما هي احساس داخلي تولد عن عـــدم تحقيق الاشباع العشقي للذات. (فأرض بني عامر هي موطن المجنون) ولكنة مـــادام لم يظفر بالمحبوبة فهو غريب (أَلا كلّ مهجور هناك غريب) . لأن الذات العذريـــة مرتبطة بالذات المحبوبة دون غيرها ، وفي حالة انفصالها عنها تحس بالغربـــة

1- جميل بثينة ديـــوانه ص : 37
2- ابن حزم الاندلسي طوق الحمامة تح/ فاروق سعد دار مكتبة بيروت 72 ص : 142
3- احمد طاهر حسنين وأخرون جماليات المكان دار قرطبة للطباعة والنشر المغرب ص : 62
4- مجنون ليلـــى ص : 44

يقول مجنون ليلـــى:

ومُسْتَوْحِـــشٍ لم يُمْـسِ في دارِ غُرْبَـــةٍ ولكِنَّهُ مِمَّـنْ يَوَدُّ غَريـــــبُ(1) .

إنَّ احســاس الشاعر بالوحشة والتفرد والغربة جاء نتيجة سلطة المجتمع الصارمـــة التي منعت الشاعر من محبوبته وجعلته يكابد أحزان الغربة ، وبذلك انقطعـــت صلة التوافق بين هذا الشاعر المحروم من تلبية نزوعه العشقي،ومجتمعه الصارم. ونتيجة لهذا الوضع لم يبق أمام الشاعر العذري إلا الهروب الى حيث الحرية والأمان وتحقيق حلم الذات.

يقول كثـــير عزة :(2)

أَلاَ ليتنا ياعـزَّ كنا لـــذي غِنًـى بعيـريـــن نرعـى الخـلاَّ ونعـــزُبُ (3)
كِـلاَنا به عَـرٌّ فَمَنْ يَرَنا يَقُـــلْ على حُسنها جربـــاء تُعدي وأجْـــرَبُ (4)
وَإذَا ما وَرَدْنا مَنْهَـلاً صاحَ أهلُـــهُ علينا فما تَنْفَـكُّ نُرْمَى ونُضْـــرَبُ
نَكُون بعيرَيْ ذِي غنًـى فَيُنيخُنَـــا فَلا هو يَرْعانا ولانَحْنُ نَذْلُـــبُ
يُطَرِّدُنا الرُّعيـانُ عَنْ كُلِّ تلعَـــةٍ ويمنع منَّا أن نُـرى فيه نَشْـــرَبُ

فهذه الأماني المتكررة تعبر عن احساس الشاعر بالضيق المكاني وفقد حرية الحركـــة، نتيجة مضايقة المجتمع له. فرغبة الشاعر في الهروب من مجتمعه وتمنيه اماني لايقرها العقل، تعبر ((عن حاجة اللاشعور الى الهرب من القيم الجماعية))(5). التي اصبحت تقيد حرية الشاعر وتقف في طريقه وتمنعه من تحقيق امانية لذلك كان هروبه الـــى الخيال والى الحلم ليعيش خارج حدود المكان وصرامة الزمان.

يقول مجنون ليلـــى:

الا ليتنا كنا غزالينـــن نرتعـــي رياضا من الحوْذانِ في بلـــدٍ قَفْـــرِ
الليتنا كنا حمامـي مفـــــازة نطيـــر ونأوي بالعَشِـــيِّ إلى وَكْـــرِ

---

1 ـ مجنون ليلـــى ديوانـــه: ص: 46
2 ـ كثـــير عـزة ديوانـــه: ص: 161
3 ـ نعزب: نبعد في المرعى عن الحي.
4 ـ عـــر : الجـــرب.
5 ـ مصطفى ناصف الصورة الأدبية دار الأندلـــس بيروت ط 3 / 1983 ص : 178

الا ليتنا حوتان في البحر نرتمي إذا نحن أمسينا نلجج في البحر
وياليتنا نحيا جميعا وليتنا نصير إذا متنا ضجيعين في قبر
ضجيعين في قبر عن الناس معزل ونقرن يوم البعث والحشر والنشر (1)

تعبر هذه الابيات عن رغبة الشاعر القوية في التخلص من صرامة مجتمعه والهروب الى حيث الامان والطمأنينة، بعيدا عن أعين الوشاة والرقباء حيث ينعم بالسعادة الى جوار محبوبته. إنّ رغبة الشاعر العذرى في التخلص من مجتمعه تتجاوز الواقع المعيش الى الحلم بالعودة الى مكان الالفة (الرحم) ويظهر ذلك من خلال الالفاظ التالية (الوكر - البحر - القبر) فهذه كلها رموز تدل على الرغبة في العودة الى الرحم . فالعودة الى الطبيعة والاحتماء بها يُعبّر عن الرغبة في الولادة من جديد. وهكذا نجد ان غربة الشاعر العذرى تتجاوز العالم الخارجي المحيط بالذات الى العالم الداخلي للذات .

يقول مجنون ليلى:

فؤادي بين أضلاعي غريبُ ينادي من يحبُّ فلا يُجيبُ
أحاط به البلاءُ فكلَّ يومٍ تقارعهُ الصَّبابَةُ والنَّحيبُ (2)

إنّ احساس الشاعر العذرى بالغربة المكانية يتجاوز المكان المُدْرك الطبيعي الى المكان الجسد- إن صح هذا التعبير- لأن الجسد مكان إستقرار الروح الإنسانية ، ((فالانسان يعيش في جسده وبه، ويموت اذا أُصيب هذا الجسد))(3). ومن ثمة فالشاعر العذرى المظلوم والمحاصر من طرف مجتمعه قد أصبح يعيش غربة مكانية مزدوجة، غربة المكان وغربة الجسد.

ان الاحساس بالغربة الروحية داخل حيز الجسد بسبب الديمومة الزمانية لفعل الأسر المؤلم ، جعل الروح ترغب في خرق الحيز البدني لعلّها تتحرر من غربتها المكانية وتسبح في عالم الروح الواسع الخالي من الحواجز، فكلما إزدادت الذات العذرية إحساسا بغربتها المكانية ، كلما ازدادت احساسا بهمومها واحزانها العميقة.

---

1 - مجنون ليلى : ديوانه ص : 126
2 - المصدر نفسة ص : 52
3 - احميد طاهر حسنين وآخرون جماليات المكان ص : 60

يقول مجنـــون ليلـــي:

فمن اجلها ضاقت عليَّ بِرُحْبِهـــا ... بِلادِيَ إذْ لم أَرضَ عَمَّنْ أُجـــاوِرُهْ

ومن أجلها أحببْتُ من لايحبُّنِـــي ... وباغَضْـــتُ من قد كنت حينًا أُعاشِرُهْ (1)

وهكـذا يبلغ الشاعر العذرى المسكون بالعشق ، قمة مأساته في غربته وكأن كـــل منافذ الأرض على سعتها وامتدادها قد سدت في وجهه، فلم يجد من يجاوره من الناس ، وهذا ليس بالامر الغريب عن ذات ضاقت حتي من جسدها ورأت نفسها غريبة فيه وبذلـك يتميز الشاعر العذرى في غربته المكانية عن غيره. واذا كان مكان الوشاة والرقباء هو مكان نقيض للذات العذرية على الرغم من احتوائه على الذات المحبوبة .فإنّ مكـان غياب هذه الذات هو الأخر مكان نقيض تعاني فيه الذات العذرية من لوعة الحرمـــان والفقد وانقطاع سبل التواصل بين الشاعر ومحبوبته .

إن غياب المحبوبة عن المكان كان نتيجة تلك الحياة البدوية التي كان يعيشهـــا الشاعر ومحبوبته، والتي لاتعرف الاستقرار المكاني بسبب التغير الدائم للمحيـط الطبيعي. وقد أدى ذلك الى تعدد الاماكن في الخطاب الشعرى العذرى ، والى تباين مواقف الشاعر العذرى من مكان الى آخـر، ولذلك ظل الفضاء النفسي للشاعر يتلون بين إمتلاك المكان وانفلاته .

يقول جميـل بثينـــة :

تنادى آلُ بثنـــةَ بالـــرَّواحِ ... وقد تركوا فؤادَكَ غيرَ صَـــاحِ (2)

فيالـك منظـــرًا ومسير رَكـــبٍ ... شجانـــي حين أَبْعَدَ في الفيـــاحِ (3)

إذن مع مغادرة المحبوبة للمكان تبدأ مأساة الشاعر العذرى ، وتتغير علاقته بالمكان لأن المكان الذى كان مماهيا له أيام الاقامة ومجاورة المحبوبة، هاهو يتحول الـى مكان نقيض له في العلاقة بعد خلوّه منها. وهذا التحول في المكان يؤثر في نفسيـة الشاعر ويجعلها تعيش داخليا ذلك التقابل الزمكاني الحاصل بين ماضي المكانيـن وحاضره .

---

1 - مجنون ليلى ديوانه: ص : 110

2 - جميل بثينة ديوانه: ص : 22/21

3 - الفياح : المتسع، الرحب

فالحركة المستجدة في المكان أثناء الرحيل تبين بأن زمان الخصب والإستقرار قد إنتهى ، وأن زمان الجدب والرحيل قد بدأ ، ومعه إنتهى زمان المجاورة للمحبوبة ، وبدأ زمان فقدها لذلك كان أصعب مايخافه الشاعر هو الرحيل ومغادرة المحبوبة للمكان . لان الرحيل قد إرتبط في ذاكرة البشرية منذ القديم بالغياب والموت .

يقول مجنون ليلى:

أموتُ إذا نأتْ وأحْيَا اذا دنت ... وتَبْعَثُ أحْزانِي الصّبا ونسيمُهَا

فمن أجلِ ليلَى تُولَعُ العين بالبكا ... وتأوي الى نفسٍ كثيرٍ همُومُهَا

كأن الحشا من تَحْتِهِ عَلِقَتْ بِهِ ... يَدُ ذاتُ أظْفارٍ فَتَدْمى كلُومُهَا (1)

هكذا يتحول المكان من مكان لصيق بالذات، وقرين ودود إلى خصم مناقض ومفارق لها تحرفيه بالضيق والغربة والموت (أموت اذا نأت).

إن التحوّل والتغير في المكان يزيد من قلق الشاعر ومعاناته، فغياب المحبوبة في نظرة معناه غياب للحياة من المكان . فالمكان ((الذى كان صديقا للعاشق في المجاورة وفي تحقيق الصلة بينه وبين حبيبته أصبح الآن عدوّاله، فهي بعيدة عنه، والبعد الصحراوى ليس مجرد بعد محدود، بل هو مسافات شاسعة طويلة ، يضاف اليها الإقفار والسكون والخلاء والجدب وقسوة المناخ، مما يزيد البعد المسافي بعدا آخر، بل ابعادا متعددة نفسية وتصورية))(2). ولذلك فمع بداية رحيل المحبوبة عن المكان تبدأ مواجهة الشاعر العذرى للمكان الاخر، المكان العدو وسلاحه في مواجهة ذلك البعد المكاني، الخيال وطيف المحبوبة:

يقول جميل بثينة:

فما سرتُ من مِيلٍ ولاسرتُ ليلةً ... من الدّهرِ إلّاعتادنِي منك طائِفُ

ولا مرَّ يومٌ فُذْتَرامَت بكِ النّوَى ... ولا ليلةٌ الّا هَوَى منكِ رَادِفُ

أهُمُّ سُلُوًّاعَنْكِ ثُمَّ تردُّنِي ... إليكِ، وتثنيني عَلَيكِ العَواطِفُ (3)

---

1 - مجنون ليلى ديوانه: ص : 197

2 - د. صلاح عبدالحافظ الزمان والمكان واثرهما في حياة وشعر الشاعر الجاهلي ص 275

3 - جميل بثينة ديوانه: ص : 64

فالشاعر العذري المسكون بالعشق الى درجة الجنون، لايجد مايواجه به البعد المكاني اثناء غياب المحبوبة عنه الأطيفها.

ولذلك كثر في شعر العذريين زيارة طيف المحبوبة لهم ليلا. فجميل بثينة لم يجد مايواجه به ذلك البعد المكاني-الذي أصبح يفصل بينه وبين محبوبته بعد مابلغ منه الشوق اليها مابلغ-إلا الطيف، فالطيف هو الوسيلة الوحيدة التي تربطه بالمحبوبه.

إن زيارة طيف المحبوبة ظاهرة ملفتة للنظر في التراث الشعري العربي، وذلك راجع للتنقل الدائم وشساعة المكان.

يقول عنترة بن شداد.

أَيَاعَبْلَ إِمَّنِّي بِطَيْفِ الخَيَالِ ... على المُسْتَهَامِ وَطِيبِ الرُّقَادِ
عَسَى نَظْرَةٌ مِنْكِ تَحْيا بِهَا ... حُشَاشَةُ مَيْتِ الجَفَا والبِعَادِ
أَيَاعَبْلَ إِمَاكُنْتُ لَوْلاَ هَوَاكِ ... قَلِيلَ الصَّدِيقِ كَثِيرَ الأَعَادِي(1)

فالطيف هو فناء التوقان العشقي لحظة البعد المكاني لاختزال المد الارضي الذي لايستطيع الشاعر أن يطويه، ولذلك فعن طريق الطيف تستطيع الذات الشاعرة أن تحقق توازنها لمواجهة مايعترضها ((وهذا يعني أن الوظيفة الكبرى للمخيلة هي صيانة التماسك الداخلي للذات))(2). ولكن الذي يميز العذرية عن غيرها هو أنّها شددت على الطيف اكثر من غيرها، ولذلك ((فالطيف أحد الأخيلة البارزة في النتاج العذري، هو الهاجس المتسلط الذي يفرزه قلق الحرمان))(3).

يقول مجنون ليلى:

وإنّي لاستغشي ومابِيَ نَعْسَةٌ ... لعلَّ لقاها في المنامِ يكونُ (4)

فهذا الاصرار القوي على زيارة طيف المحبوبة، يبين مدى ماأصبح يعانيه الشاعر العذري من احساس بالحرمان بعد فقد محبوبته، لانه لم يجد مايخفف به من ألمه الا الطيف. فالطيف هو الوسيلة الوحيدة التي سيتطيع بواسطتها استرجاع الفردوس المفقود.

---

1 - عنترة بن شداد ديوانه ص: 119
2 - يوسف اليوسف الغزل العذري (دراسة في الحب المقموع) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1981 ص: 42
3 - المرجع نفسة ص: 40
4 - مجنون ليلى ديوانه ص: 206

يقول كثـــير عزة :

الا طرقت بعـــد العشـــاء جنوب ... وذلك منها إن عجبت عجيـــــــــبُ (1)

تســـدت ومَـــرٌّ دوننـــا وأراكةٌ ... ودونانُ أمسى دونها ونقيـــــــبُ (2)

ونحن ببطحاء الحجون كأننـــا ... مـــراضٌ لهم وسط الرّحالِ نحيـــبُ (3)

فحيّتْ نيامًا لم يَـــردّوا تحيـــةً ... إليها وفي بعض اللّمامِ شُغُـــــوبُ

لقد طرقتْنا في التنائي وإنّهـا ... علـــى القُـــرْبِ عِلمِـــي للسُّرَى لهيـــوبُ

فمخيلة الشاعر العذرى تبقى تحمل صورة المحبوبة الغائبة والبعيدة ، لتقوم بعملية التعويض عندما تحتاج الذات الى ذلك لتخفف من معاناتها وألمها عندما يحاصرهـــا المكان الخصم . وعلى الرغم من انها تدرك بأن الذى زارها هو طيف المحبوبة وليس المحبوبة ذاتها ، الا انها تتعامل معه وكأنه حقيقة واقعة وذلك لعنفوان الشوق وقـــوة التعلق .

فكثير عزة الهائم على وجهه في تلك الفيافي الخالية وراء محبوبته ، يتعجب من زيـارة طيفها له بعد ان اجتاز كل تلك المسافات الفاصلة بينه وبينها ووصل اليه وهـــو ((ببطحاء الحجون)) في حالة تعب بالغ ، بعدما قطع المسافات الطويلة . وهكـــذا يظهر دور الطيف في إظهار البعد المكاني والكشف عن الاماكن العديدة التي لم تكن لتظهر لولا لجوء الشاعر الى الطيـــف .

كما تبين الابيات السابقة تلك الحالة التي وصل اليها الشاعر حيث إختلط عليه الامر بين الخيال الطارق والمحبوبة ، ويظهر ذلك من قوله(فحيت نياما لم يردوا تحيـة) وذلك يعبر عن شدة شوق الشاعر الى مجبوبته ، وتعطشه للقائها .

إن الطيف يحرر الذات الشاعرة من عدوة المكان والزمان وعن طريقه تتجاوز البعـد المكاني والثقل الزماني وتعيش برهة الفرح الداخلي خارج مجال تأثيرهما ، فتتحـرر بذلك من الغبن والمعاناة وكل يعترض طريقها من اجل بلوغ المحبوبة .

1-كثيـــير عزة ديوانـــه ص : 164

2- تسدت:علـــت . - مر: مكان . - اراك: مكـــان. - دونان: اسم مكان .

3- البطحـــاء بطن الوادي - الحجون: موضع بمكة عند المحصـــب .

والشاعر العذري يتميز عن غيره بأن المحبوبة هي العنصر الاساسي في اذكاء مشاعر الحنين لديه نحو المكان ، لأنها هي التي تؤطر المكان .

يقول مجنون ليلى:

وقفتُ لليلى بعد عشرين حِجَّةً ... بمنزلةٍ فانهلَّت العينُ تَدْمَعُ

فأمرر قلبي حُبُّها وعذابُها ... وما للهوى من صبوةٍ كيف أصنَعُ

وأتْبع ليلى حيثُ سارَتْ وودَّعتْ ... وما النَّاسُ الا آلِفٌ ومُوَدِّعُ

كأنَّ زِمامًا في الفؤاد معلَّقًا ... تقودُ به حيثُ استمرَّتِ فأتَّبعُ

أبيتُ بَرَوْحاتِ الطَّريق كأنني ... أخو جِنَّةٍ أوْصالُهُ تَتَقَطَّعُ(1)

فهذا التعلق القوي بذات المحبوبة هو الذي جعل الشاعر يتشبث بطيفها وهو يواجه البعد المكاني.

يقول جميل بثينة:

ألمَّ خيالٌ من بثينةَ طارِقُ ... على النَّأْيِ مشتاقٌ إليَّ وشائِقُ (2)

سرتُ من تلاع الحِجْر حتى تخلَّصتْ ... إليَّ ودوني الأثْعَرونَ وغافِقُ (3)

فجميل بثينة لم يجد مايواجه به ذلك البعد المكاني الذي اصبح يفصله عن محبوبته، الا الطيف بعد مابلغ به الشوق اليها مابلغ . ولكن الطيف الى جانب هذا فهو مبين للبعد المكاني ،وهو الكاشف عن الاماكن العديدة ولولاه - أي الطيف - ماكان لتلك الاماكن أن تذكر، من طرف الشاعر. ولكن أمنية الشاعر العذري هي أن يكون هذا الطيف حقيقة وليس خيالا .

يقول جميل بثينة:

تجودُ به في النوم غيرَ مُصَرَّدٍ ... ويُخْزَنُ أيْقاظًا عليها عطاؤُها

إذا قلتُ قد جاءت لنا بِنوالِها ... أبَتْ ثمَّ قالت خُطَّةٌ لا أشاءُها (4)

---

1 - مجنون ليلى ديوانه: ص: 147/146

2 - جميل بثينة ديوانه: ص: 73/72

3 - التلاع: ج/ تلعة- وهي ماارتفع من الأرض- الحجر اسم ديار ثمود بين المدينة والشام.

4 - المصدر نفسة ص: 12

فهذا البخل من المحبوبة في عدم زيارة عشيقها حقيقة، هو الذي جعل المجنون يلوم حبيبته عن نومها ويتعجب من عملها ذلك. فهو يدعوها الى ان تكون مثله لاتنام الليل. فالعاشق لاينام مادام فاقدا لمعشوقه.

يقول المجنون معبرا عن ذلك:

عجبت ليلى كيف نامت وقد غفت ... وليس لعيني للمنام سبيلُ

ولما غفت عيني وماعادة لها ... بنومٍ وقلبي بالفراقِ عليلُ

اتاني خيال منك يالَيلُ زائر ... فكادت له نفسي الفداة تزولُ

خيالُ الليلى زارني بعد هَجْره ... ورام عتابي والعتابُ يطولُ(1)

ولكن لوم الشاعر لمحبوته لم يطل كثيرا لأن خيالها قد أدركه فاختصر له زمان الانتظار والترقب. ولكن الزيارة لم تكن عادية بل أفزعت مضجع الشاعر وكادت نفسه تطير من الفرح بعدما عانت ويلات الهجر والفقد والحرمان. فكان اللوم والعتاب وكأن الزيارة قد أصبحت حقيقة، وذلك مايظهر الوهم الذي أصبح يعيش فيه الشاعر العذري، نتيجة مايعانيه من فقد وبعد مكاني جعله يرضى بالقليل أي بخيال المحبوبة

يقول مجنون ليلى:

أليس اللَّيْلُ يجمعني وليلَى ... كفاكَ بذلكَ فيه لنا تَدانِي(2).

فالبعد المكاني الذي حرم الشاعر العذري من محبوبته وجعله يرضى بطيفها ليس بالبعد السهل الاجتياز، فالبيئة الصحراوية الشاسعة الملتهبة الحرارة معروفة بكثرة المخاطر والمهالك التي تهدد حياة الانسان والحيوان. ولذلك فصراع الشاعر العذري مع البعد المكاني من أجل الوصول الى مكان محبوبته، هوصراع مرير قاس و مرهق و يتعرض خلاله الى مخاطر شتى.

يقول جميل بثينة :

---

1 - مجنون ليلى ديوانه ص : 174

2 - المصدر نفسة ص : 215

فكم قد قطعنا دونكم من مجاهلٍ ، ومومـاةِ أرضٍ دونهنّ نغائفُ (1)

على كلّ عيديّ التّجارِ مُبراكَلٍ وأُدْمٍ تَبارَى وهْيَ قُودٌ حَراجِفُ

حراجيجُ أمثالُ القناتَهِرُ السُّرَى إذا نفضتْ هاماتِهنّ الزّواجِفُ

سَرَوْا ماسَرَوْا من ليلِهم ثم عرّسُوا سُحَيْرًا وقد مالَتْ بهنّ السّوالِفُ

على كلّ ثِنْيٍ من يَذْبٍ أرْ خَبيّةٍ طَوَى النّحْضَ عنها نازحاتٌ تنائِفُ

اذا جاوزوا أعلامَ أرضٍ بدت لهم مَهالِمةٌ يَخْشَى في هُداها المتالِفُ

ان الشاعر هنا يحكو بُعد المسافة وصعوبة المكان . ولذلك ذهب إلى تعداد الأماكن للدلالة على ذلك .

إن إعتناء الشاعر بالبعد المكاني وكشفه لطبيعته- بأنه مكان قفر خال - لم يكن لمجرد الوصف وتصوير المكان، بل هو تعبير عن مدى احساس الشاعر بعداوة المكان له ، وكأن البعد المكاني هو الذي يحرمه من محبوبته ويمنعه من الوصول اليها . ولذلك كان هذا المكان العائق له الذي يفصل بينه وبين محبوبته هو مكان نقيض له في العلاقة . وبسبب ذلك جرده من كل مايرتبط بالحياة أويعين عليها فجاء مكانا اجرد تخافهُ النفس وترهبهُ، فهو مكان للموت والهلاك .

يقول مجنون ليلى:

نظرتُ ووادي الحجر بيني وبينها فردّ إلَيّ الطّرْفَ بعدُ مكانِ

بنظرةِ أقْنَى الأنفِ امسى ودونه متالِفُ - تُهوِي الطيرَ - غيرُ دَوانِي (2)

فهذا البعد المكاني الذي لاحدّ له قد جعل الشاعر يحس بالضياع في المكان وكأن كل السبل المؤدية الى المحبوبة قد إنعدمت ، وأن المكان على شساعته لم يصبح يتوفر على مكان ينْعَم فيه الشاعر بلقاء محبوبته.

يقول مجنون ليلى:

أهيم بأقطارِ البلادِ وعَرْضِها ومالي الى ليلى الغداة طريقُ (3)

---

1 - جميل بثينة ديوانه ص : 70/69

2 - مجنون ليلى ديوانه ص : 211

3- المصدر نفسة ص : 164

فضياع الشاعر في تلك الاماكن الشاسعة المجدبة المسكونة بالموت والكثيرة المهالك جعله يفقد الامل في الاهتداء الى مكان المحبوبة .

أن المكان الخصم للذات النقيض لها في العلاقة هو مكان للمهالك والموت لايربطه بالحياة أي رابط ومن ثم يواجه فيه الشاعر العذري وهو يبحث عن مكان محبوبته كل انواع المصائب التي تعرض حياته للخطر .

يقول جميل بثينة :

فإن وُجدتْ نعلٌ بأرضٍ مَضِلَّةٍ من الارض يوما فأعلمي انها نعلي (1)

هكذا يكشف الشاعر العذري عن مأساته وهو يواجه البعد المكاني بحثا عن محبوبته وكأن لعنة القدر تطارده من مكان إلى آخر حتى آخر لحظة من حياته ولكن وعلى الرغم من شساعة المكان وجدبه ، فان الشاعر لايفقد الامل في لقاء محبوبته في مكان ما في هذا الوجود، وحتى يتحقق له ذلك يبقى متشبثا بكل مايمكن أن يربطه بالمحبوبة اويقر به منها .

وإذا كان لجوء الشاعر العذري الى طيف المحبوبة يعبر عن أثر مكاني ناتج عن رحيل المحبوبة وفراقها للشاعر الذي بقي يواجه الوحدة وشساعة المكان . فإن لجوءه الى توظيف رمز النار يعبر هو كذلك عن توهج عشقي قوي وأثر مكاني له ابعاده .
فالوجه الأنثوي للنار وثق العلاقة بينهما وبين المرأة ولذلك نجد ان الوقوف على الاطلال في الشعر العربي القديم يصاحبه الوقوف على الأثافي وبقايا نار المحبوبة .

يقول حسان بن ثابت (2).

لِمَنْ منزلٌ عافٍ كأنَّ رُسُومَهُ خَياعِيلُ رَيْطٍ سَابِرِيٍّ مُرَسَّمِ (3)

خَلاءُ المَبادي مابِهِ غيرُ رُكَّدٍ ثَلاثٍ كأمثالِ الحَمائِمِ جُثَّمِ (4)

وغيرُ شَجيجٍ مَاثِلٍ حَالَفَ البِلى وَغيرُ بَقايا كالسَّحيقِ المُنمنَمِ (5)

---

1 - جميل بثينة ديوانه: ص : 78

2 - حسان بن ثابت ديوانه: ص : 235

3 - عافٍ: دارس - خياعيل: الواحد خيعل: ثوب يجاب وسطه ويخاط أحد شقيه.
الريط الواحدة ريطة: الثياب الرقيقة. 4 - الركد: أرادبها الأثافي

5 - الشجيج : ارادبه الوتد - السحيق: الثوب البالي - المنمنم: المنقوش

ويقول زهير بن ابي سلمى في معلقته:

وَقَفْتُ بِها مِنْ بَعدِ عشرينَ حِجَّةً ... فلأيًا عَرَفْتُ الدّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

أثافيَّ سُفْعًا في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... ونُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لم يَتَثَلَّمِ(1)

ويقول النابغة الذبياني:

فما وَجَدْتُ بها شيئًا أَلُوذُ بِهِ ... إلاّ الثُّمامَ وإلاّ مَوْقِدَ النّارِ(2)

فهذه الابيات تبين بأن للنار إرتباطا وثيقا بمكان المرأة في الخطاب الشعري الجاهلي، وأنها هي الدال عليه، فالاثافي هي التي جعلت حسانا وزهيرا يعرفان مكان المحبوبة كما عرفه النابغة من موقد النار . وذلك مايبين علاقة النار بالمكان وبالمحبوبة.

فالنار في الموروث الاسطوري الانساني القديم قد ارتبطت برموز عديدة فهي رمز للتطهير، ورمز للعذاب ورمز للعلاقة الجنسية . فمنذ أن علّم بروميثيوس الإنسان النار - حسب ماتذهب اليه الاساطير اليونانية القديمة - والانسان يحاول ان يفهم سرها وكنهها .((وبما ان النار لم تستطع الكشف عن سرها، فقد اعتبرت وكأنها علة عالمية قادرة على تفسير كل شيء))(3). ومن خلال مايبديه الانسان من مواقف نحوها يمكن معرفة صلته بها .

أما النار في الخطاب الشعري العذري فهي رمز لعذاب الذات العاشقة الناتج عن ذلك التوهج العشقي الداخلي ، كما أنها رمز للنور والهداية والدلالة على مكان المحبوبة

إنّ تعامل الخطاب الشعري العذري مع رمز النار يصدر عن احساس داخلي ناتج عن وجع عشقي قوي مصدره الحرمان من الذات المحبوبة .

يقول مجنون ليلى:

تعودُ مريضا اسقمته بهجرها ... ولوْعاوَدَتْهُ عاد لايعرف السُّقْمَا

لقد اضرمت في القلب نارا من الجوى ... فما تركت عظما ولا تركت لحما

---

1 - زهير بن ابي سلمي ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر ص : 75

2 - النابغة الذبياني ديوانه ص : 48

3 - غاستون باشلار النار في التحليل النفسي تر/ نهاد خياطة ص : 58
دار الاندلس بيروت ط 1 /1984

وانـــي علـــى هجرانهـــا وصدودهـــا وماحلَّ منها أوْلى حبِّها حتمـــا

خليلـــي كفّـــا لاتلومَا مُتيَّمَـــا ولا تقتـــلا صَبًّا بِلَوْمكُما ظُلْمـــا (1)

فصورة النار هنا تكشف عن ذلك العذاب الداخلي الذى اصبحت تعاني منه الذات العاشقة بسبب الوجع العشقي الذى سكن كيانها . فالاحساس بالاحتراق الداخلي هو الذى جعـــل المجنون يرى بأن النار التي أضرمتها محبوبته في قلبه لم تترك في كيانه شيـــئا (فما تركت عظما ولاتركت لحما) وأن تلك النار المتأججـــة في قلبه هي التي جعلته يرى أن (حُبَّها حتما) لايمكنه التخلص منه أبدا .

يقول مجنون ليلـــي ايضـــا :

الاليت ليلـــى أطفأت حرّ زفـــرة أعالجهـــا لأستطيـــعُ لهـــا ردّا (2)

فتعلق الذات العذرية بالذات المحبوبـــة الى درجة العبادة والتقديـــس ، ، جعلها تحس بانجـــذاب قوي نحوهـــا لايمكنها مقاومتـــه ، كما لايمكنهـــا مقاومة النار المتأججة بداخلها (لاستطيـــع لها ردا) إن امتزاج التوهـــج العشقـــي برمزيـــة النار قد بين مدى تعلق الشاعر العذرى بمحبوبته وتحملـــه من أجلها كل المصائـــب والمحـــن .

وبذلـــك تتأكـــد ملـــة الحـــب بالنـــار فـــي الخطـــاب الشعـــرى العذرى وقد عبـــر ذلك الفيلســـوف غاستـــون باشـــلار بقولـــه عنـــدما قال ((ومالحـــب الا نار منقولة ، ومالنار الا حب مباغت))(3) . فنـــار العـــذريين نار الحـــب التي تحرق قلبه وتؤجـــج شوقـــه اذا ما هجرته المحبوبة . وبذلك تميز الخطاب الشعرى العذرى عـــن غيـــره بكـــثرة ورود رمـــز النار فيـــه . قد يوان مجنون ليلى مثلا نجـــد فيـــه أنّ رمز النار ومايتصـــل بـــه يتـــردد بكـــثـــرة . والجـــدول التالـــي يبين ذلـــك :

---

1 ـ مجنـــون ليلـــى ديوانه ص : 200

2 ـ المصدر نفسة ص : 93

3 ـ غاستـــون باشـــلار النار في التحليل النفسي ص : 28

النار	الجمر	الاحتراق	الحر	الشمس	نار جهنم	لهيب النار
24	05	02	02	20	01	01

إن الجدول السابق يبين بأن رمز النار يسكن كيان الشاعر العذري كما يسكنه العشق. وان رمز النار هو دليل على وفائه في حبه وتعلقه بمحبوبته مثل ماهو رمز على مكان حلولها واقامتها.

ان التوهج العشقي الروحي لدى الشاعر العذري يبين مدى تحمله وصبره من اجل بلوغ المحبوبة وتأكيد حبه لها . ان النار هي الرمز الذي يعبر عما بداخل الشاعر العذري من وجع عشقي عجز عن كتمه، وبذلك فالنار هي الرمز القادر على كشف ذلك.

ان حرارة العشق المتأججة في داخل كيان الشاعر العذري دفعته الى تشبيه حبيبته بالرموز الدالة على النار.

يقول مجنون ليلى:

هَوِيت فتاة كالغزالة وجهها ... وكالشمس يسبي دلها كلَّ عابد(1).

ويقول ايضا:

أقول لأصحابي هي الشمس ضَوْءُها ... قريبٌ ولكن في تناولها بُعْدُ(2).

فتشبيه المجنون لمحبوبته بالغزالة والشمس يدل على اثر مكاني قوي كان له تأثره في نفسيه الشاعر لان((التشبيه يضرب في اعماق الوجود الانساني الذي يسعى إلى اقتناص الحقيقة . والمشبه والمشبه به إذا ماكثر ترادهما يدلان على علاقة رمزية أبعد من العلاقة الظاهرية بين الطرفين))(3).فالمجنون عندما شبه محبوبته بالغزالة والشمس يكون قد غاص في لب الحقيقة الإنسانية المتصلة بالكون الذي يعيش فيه .

---

1 - مجنون ليلى ديوانه ص : 87

2 - المصدر نفسة ص : 79

3 - د. نصرت عبدالرحمن الصورة الفنية في الشعر الجاهلي مكتبة الاقصى عمان ص : 106

والغزالة عند العرب هي رمز للشمس فالغزالة والشمس اسم لمسمي واحد دال على الاحتراق وباعث للحرارة . ومن خلال رمز النار هذا يكون الشاعر قد عبر عن ذلك التوهج العاطفي الذي سببه الحرمان والفقد، وأن نار الحب المتأججة بداخل كيانه قد فعلت به ما فعلته الشمس بحرارتها بالمكان وما إنجر عند ذلك من تدمير له وللحياة، فحرارة الشمس تحول المكان الى حيز أجرد لاحياة به، مثل مايفعل حب المحبوبة بالشاعر فيحول جسده الى هيكل خال من الدم واللحم .

يقول جميل بثينة :

تَعلَّقْتُهَا والجسمُ منى مُمَتَّحٌ ... فمازال ينمي حبُّ جُمْلٍ وأضعفُ

الى اليوم حتَّى سلَّ جسمي وشفني ... وأنكرت من نفسي الذى كنت أعرفُ (1)

وهكذا تلتقي نار الحب بنار الشمس . ويلتقي المكان الطبيعي بالمكان الجسد، وبذلك تتضح رمزية النار الدالة على التدمير والخراب والهلاك وزوال الحياة .

ولكن الشاعر العذرى ينقل النار من دلالة الإحتراق الى دلالة الحياة والنور والهداية، في بعض المواقف وبذلك يتحول رمز النار في الخطاب الشعرى العذرى الى رمز دال على مكان المحبوبة وكاشف للبعد المكاني ((لان النار بحكم طبيعتها لاتكون الاظاهرة في اغلب امرها، مضيئة نفسها وماحولها، دالة على مكانها من بعيد. وهي تزداد ظهورا في زمن الليل فتراها بادية من على مدى البصر))(2). ودلالة النار على مكان المحبوبة تبدأ من ارتباط النار بأطلال المحبوبة، فبقايا نار المحبوبة بالمكان المهجور هو الذى يدل الشاعر على ان هذا المكان كان في يوم من الايام مكان استقرار للمحبوبة .

يقول مجنون ليلى:

يادارَ ليلي بسقط الحيِّ قد درست ... الا الثُّمامَ والأَ مْوَقِدَ النَّارِ (3)

ماتفتأُ الدَّهرَ من ليلي تموت كذا ... في موقفٍ وَقَفَتْهُ أوعلى دارِ

أبلى عظامكَ بعد اللَّحم ذكرُكَها ... كما يُنَحِّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ البَارِي

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه ص : 63/62

2 ـ عبد المالك مرتاض بنية الخطاب الشعري دار الحداثة بيروت ص : 126

3 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 114

يقول كثير عزة

أمِنَ آل قيلة بالدَّخول رسوم ... وبجوملٍ طلل يلوح قديم

لعب الرياح برسمه فأجدَّه ... جُونٌ عواكفُ في الرماد جثوم

سُفْعُ الخدود كأنهن وقد مضت ... حِجَجٌ عوائد بينهن سقيم (1)

فارتباط النار بمكان المحبوبة واضح في الأبيات السابقة ف ((مجنون ليلي)) عرف مكان محبوبته من بقايا نارها في المكان (إلا موقد النار) وكذا ((كثير عزة)) وقد توضحت له معالم مكان محبوبته من بقايا نارها (فأجده جون عواكف في الرماد جثوم). وإذا كان الشاعر العذري في هذه الصورة لايختلف عن الشاعر الجاهلي لما للأدب الجاهلي من اثر كبير في الأدب العربي . فإن ارتباط رمز النار بالعبد المكاني صورة يتميز بها الشاعر العذري عن غيره من الشعراء .

فالشاعر العذري عندما يهيم على وجهه ليلا في فيافي الصحراء الموحشة ، لايجد دليلا يوجهه وينقذه من مهالك شساعة المكان إلا نار المحبوبة التي تلوح له من بعيد وسط ظلام الليل ، فتكون بذلك هاديا له الى مكان تواجدها ، وبذلك تتحول النار في الخطاب الشعري العذري من أداة للعذاب والإحتراق إلى رمز للنور والهداية والدلالة على المكان.

يقول جميل بثينة (2).

تذكَّرَ أنسا من بثينة ذا التلُّ ... وبثْنة ذكراها لذي شجَنٍ نَصْبُ (3)

وحنَّت قلوصي فاستمرَّت لِبَرْمَلة ... لِبُثْنَةَ نارا فارْفَعُوا ايها الرَّكْبُ

اكذبتْ طرفي أم رأيت بذي الغَضَا ... يَرَملةِ لُدِّي مَثْنِيَّةٌ تحبُو

الى ضوء نار ماتَبُوخُ كأنها ... من البعد والإقواءِ جَيْبٌ له نَقْبُ (4)

فالشاعر العذري المتعلق بمحبوبته والمتشوق إلى لقائها ، هو مثله مثل الصوفي الذي يرى الهداية في أي نور يلوح له من بعيد وسط شساعة المكان .

---

1 ـ كثير عزة ديوانه ص: 205

2 ـ جميل بثينة ديوانه ص: 14/13

3 ـ النصب : الداء والبلاء .

4 ـ تبوخ: تخمد ـ الاقواء :الخلو . ـ الجيب : مدخل الارض . ـ النقب : طريق في الجبل ـ الثقب .

فنور النار المنبعث من بعيد وسط ظلام الليل وشساعة المكان يحرك السواكن الداخلية للشاعر العذرى المتوحد في الفيافي، فيعتقد انها نار محبوبته ومن ثمة فهي دليلة على مكانها .

يقول مجنون ليلى:

بِثَمْدينَ لاحت نارُ ليلى وصحبتي ... بذات الغضى تزجى المَطِيُّ النواجيا

فقال بصير القوم ألمحت كوكبا ... بدَا في سواد الليل فرْدًا يمانيا

فقلت له: بل نارُ ليلى توقّدتْ ... بعلْيَا تسامي ضَوْؤُها فَتَدَاليتا

فليتَ ركابَ القوم لم تَقْطعِ الغضى ... وليتَ الغضى ماشَى الرِّكابَ لَيالِيا (1)

إنّ توهم الشاعر بأن النار التي لاحت له من بعيد هي نار محبوبته دون غيرها يكشف بوضوح عن ذلك التعلق القوى بالمحبوبة ، ويبرهن على أن الشاعر العذرى لايرى الوجود إلا مرتبط بمحبوبته: فكل مايحيط به فهو مرتبط بها ، بل هي أصل وجوده وبقائه.

يقول كثير عزة

رأيتُ واصحابي بأيلةَ مَوْهِنًا ... وقد لاحَ نجمُ الفَرْقد المتصوِّبُ

لعزّة نارًا ما تبوخُ كأنّها ... اذا مَا رَمَقْناها من البعدِ كوكبُ

تعجبَ أصحابي لها حين أُوقِدَتْ ... وللمُطْلوها آخر الليل أعجبُ

اذا ماخبَت من آخر الليل خَبْوة ... أُعِيدَ لها بالمندليّ فتُثْقَبُ

وقفنا فَشُبّتْ شَبّةً فبدَا لَنَا ... بأهضامِ وَادِيها أَراكٌ وَتَنْضُبُ

ومن دون حيثُ استوقدتْ من مُجالِخ ... مَرَاحٌ ومغْدًى لِلمطيّ وَسَبْسَبُ

اتَتْنا بريّاها وللعيسِ تحتنَا ... وجيفٌ بصحراء الرُّسَيْسِ مُهذّبُ

جنُوبٌ تُسامي أوْجُهَ الرَّكْبِ مَسّها ... لذيذٌ وَمَسْراها مِنَ الارض طيّبُ

فيا طولَ ماشوقي اذا حال دُونَها ... بُصاقٌ ومن أعلامِ صِنْدِدَ مَنْكِبُ (2)

1ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 226

2ـ كثير عزة ديوانه ص : 159/158

فالنار في هذه الأبيات جاءت مبينة للبعد المكاني وشساعة المسافة التي تفصل بين الشاعر ومحبوبته (كأنها إذا مارمقتها من البعد كوكب) . ولكن نار المحبوبة عند الشاعر العذري ليست مجرد نار توقد بليل في صحراء شاسعة بل هي نار تسمو على كل النيران لعظمتها وطيب رائحتها فهي لاتخبو طول الليل وهي بذلك تثير الاعجاب وأن طيب رائحتها يصل الشاعر أين ماكان .

وهكذا نجد أن النار في الخطاب الشعري العذري مرتبطة بالمحبوبة دالة على مكانها مبينة للبعد المكاني الذي أصبح يواجهه الشاعر بعد فقده للمحبوبة وتوجده في الفيافي والقفار . وان الشاعر العذري لايلجأ الى توظيف رمز النار الا عندما يتوحد في شساعة المكان ليلا ويهزه الشوق الى محبوبته .

أما إرتباط النار بالكواكب فهو يكشف عن تلك العلاقة التي كانت بين الانسان العربي وبيئته الصحراوية الشاسعة ، حيث ان شساعة المكان وقفره وشدة حرارته نهاراً حتّم على الإنسان العربي أن يكون جل سفره ليلا حتي يتقي شر الضياع في شساعة الصحراء ، ودليله في ذلك النجم أو النار . وقد كان للعرب خبرة كبيرة بالنجوم ((نتيجة لتنقلهم الدائم ز وضربهم في الصحارى والقفوات سعيا وراء أماكن محددة للا قامة فيها ، الامر الذي يستوجب معرفة بالنجوم كي يهتدوا بها في الليل، أويتخذوها علامات تدل على مساقط الغيث وزمن الحر والبرد والجفاف ومهاب الرياح))(1).

وإلى جانب إعتناء الإنسان العربي بالنجوم والكواكب إعتنى بالنار . فقد كان للنار شأن كبير عند العرب . حيث ((كان من عادة العرب الاجواد ايقاد النار في الليل ليراها الغريب والجائع من مسافة بعيدة فيفدّ اليها ، حيث يجد من يقربه ويقدم له مايحتاج اليه من طعام . واطلقوا على هذه النار (نار القِرى) و(نار الضيافة) كانوا يوقدونها في الاماكن المرتفعة لتكون أشهر وأوضح))(2).

وقد بين الجاحظ في كتابه الحيوان بأن العرب في القديم استعملوا النار في أمور كثيرة تتعلق بحياتهم فهناك نار الاستمطار ونار التحالف ونار المسافر ونار الحرب(3) كما كانت نار ((مزدلفة)) من أشهر نيران العرب ((وكانوا يقصدون منها نيل الغيث))(4).

---

1 ـ د. يحي عبد الامير شامي النجوم في الشعر العربي القديم دار الافاق الجديدة1/ 82 بيروت ص : 37

2 ـ ينظر كذلك د. مصطفى الرافعي حضارة العرب دار الكتاب اللبناني ط3/81 ص : 78

2 ـ د. حسين الحاج حسن حضارة العرب في العصر الجاهلي ص : 91

3 ـ ينظر ابو عثمان الجاحظ كتاب الحيوان ج4 تح/ عبد السلام هاروث ص : 466

4 ـ د. محمد عبد المعيد خان الاساطير والخرافات عند العرب دار الحداثة ط 4/82 بيروت

وهكذا نجد أن" النار" كانت متصلة بحياة الإنسان العربي إتصالا وثيقا وذلك راجع في نظرنا إلى تلك البيئة الصحراوية التي كان يعيش فيها الإنسان العربي والمعروفة بحرارتها الشديدة . كما أنه راجع إلى ذلك المعتقد الديني المتمثل في عبادة العرب للشمس ، فالشمس ((هي من أول الأجرام السماوية التي لفتت إليها أنظار البشر بتأثيرها في الإنسان وفي الزرع والنماء. وهذا التأثير البارز جعل البشر يتصور في الشمس قدرة خارقة وقوة غير منظورة كامنة فيها ، فعبدها وألّهها ، وشادوا لها المعابد ، وقدم لها القرابين))(1)، وهذا التراث المحمل برمزية النار هو الذي ساعد الشاعر العذري على توظيف رمز النار وإعطائه أبعادا نابعة من علاقته بالذات المحبوبة .

وإذا كان الشاعر العذري يشعر في الليل بالبعد التصوري الخيالي للمكان ، ومن ثمة يستعين بالطيف أو بالنار. فإنه في النهار يعايش البعد المكاني الواقعي، فيدرك مدى شساعته وبعد المسافة بينه وبين محبوبته لذلك يتمنى الطيران أو تسخير الطير لطيّ تلك المسافة. ومن هنا أصبح المكان نقيضا للشاعر في علاقته العشقية لأنه يفرق بينه وبين محبوبته ويحرمه من القرب العاطفي .

يقول مجنون ليلي:

شكوت الى سِرْبِ القطا إذْ مَرَرْنَ بِي ... فقلتُ ومثلي بالبكاءِ جديرُ

أسِرْبَ القطا هل من معير جناحَهُ ... لَعَلِّيَ الى من قد هويتُ أطيرُ

فجاوبتني من فوق غُصْنِ أراكَةٍ ... ألا كُلُّنا يا مستعيرُ مُعيرُ

وأي قطاةٍ لم تُعِرْكَ جناحَها ... فعاشتْ بِضُرٍّ والجناح كسيرُ

والأفمن هذا يؤدي رسالةً ... فأشكرَهُ إن المحِبَّ شكورُ(2)

إن رغبة الشاعر العذري في الطيران وتسخير الطير لبلوغ مكان المحبوبة جاء نتيجة مواجهته للبعد المكاني الذي يفصله عن مكان المحبوبة . فرغبة المجنون في الطيران (لعلي إلى من هويت أطير) هي رغبة كل العذريين لمواجهة بعد المسافة والتخفيف من معاناة الفقد.

---

1 - د . جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج:6 دار العلم للملايين ط 3/ 1980 ص : 55

2 - مجنون ليلى ديوانه ص : 107/106

إن رغبة الإنسان في الطيران قديمة ولدت مع الإنسان ، وبقيت تلازمه طول حياته ، ودافع الإنسان إلى ذلك هو لتجاوز الحواجز المكانية وإختزال الزمان. لأن الطير هو رمز الإنطلاقة والحركة والإندفاع والتخلص من عوائق المكان وثقل الزمان. لذلك كانت رغبة الشاعر العذري الذي يحاصره المكان ويحد من حركته ، وتعذبه لحظات الزمان ببطئها وثقلها في الطيران للتخلص من كل ذلك وبلوغ مكان المحبوبة وتحقيق الإمتلاء بالحياة .

ولكن الشاعر العذري الذي يدرك عجز الإنسان عن الطيران ومحدودية قوته في السيطرة على المكان والزمان يحاول أن يسخر الطير لقضاء حوائجه بينه وبين محبوبته .

يقول جميل بثينة

وإنّي لأستجري لك الطير جاهدًا لتجري بيُمْنٍ من لقائِك أوسَعْدِ(1)

فهذه الرغبة في تسخير الطير لربط الصلة بالمحبوبة تعرب عن مدى ما أصبح يعانيه الشاعر من بعد المسافة بينه وبين محبوبته. وكأنه بذلك يريد أن يُشعِرَ المحبوبة بأن صلته بها لاتنقطع مهما كان البعد المكاني وأنّها حاضرة في ذاكرته في كل لحظة من لحظات حياته لأن حياته في غيابها لامعنى لها .

وهكذا نجد أن البعد المكاني كان في الخطاب الشعري العذري عنصرا من عناصر تشوق الشاعر إلى محبوبته وتعلقه بها. وأن ذلك البعد المكاني لايمكنه أن يقف حاجزا أمام الشاعر لبلوغ مكان محبوبته ، لأن ليس هناك في الوجود قوة يمكنها أن تمنعه منها أوتبعده عنها .

يقول كثير عزة :

يقول العدا ياعزّ قد جَالَ دونكمْ شجاع على ظهر الطريقِ مُصَمِّمُ

فقلت لها والله لوكان دونكمْ جهنّمُ ماراعت فؤادي جهنّمُ

1- جميل بثينة : ديوانه: ص : 34

وكيفَ يروعُ القلبَ ياعزَّ رائـــــعٌ ووجهك في الظلمـــاء للسَّفْـر مَعْلَـــــمُ

وماظلمتْكِ النَّفْسُ ياعزَّ في الهـــوى فلا تنْقمـــي حُبّـــي فما فيه مَنْقَـــــمُ(1)

فكثير عزة في هذه الأبيات يستهين بالعوائق والصعاب التي تعترض طريقه، ويبين بأنه قادر على التغلب على الصعاب ومقاومتها . لأن المحبوبة تسكن كيانه وتمنحه القوة التي يواجه بها كل المصائب ومنها البعد المكاني .

إن المكان الآخر هو المكان النقيض للذات العذرية في علاقتها العشقية، ولذلك وقف الشاعر العذري من هذا المكان موقفا خاصا وهو موقف العداء والكراهية .

1- كثـــير عزة ديوانـــه: ص : 366

- الشجاع: الحيّـة - المصمم: الذي إذا عض لم يرسل عاضه وبقي مشبثا به.

- معلم الطريق: دلالته واصله من العلامة .

مكـــان الارتبـــاط :

ونعني به المكان الاليف الذى ارتبطت به الذات العاشقة وأصبح يلا زم ذاكرتها باستمرار، حتي تحول لديها الى مكان لامتناه.

إن هذا المكان هو المجموع الكلي للا حاسيس والمشاعر التي تؤ طر المكان (مكان الارتباط بالذات المحبوبة) الى مكان آخر محدث في معمارية جديدة من الاحاسيـــس والخواطر، معمارية روحية تعطي للمكان ابعاده وجمالياته. ومن ثمة فهذا المكـان ليس مكانا محسوسا تؤ طره الاشياء والموجودات بل هو مكان روحي تتحكم فيـــــه العواطف الداخلية للذات العاشقة .

ومن ذلك فهو المكان الوجداني الذى تتجذب نحوه الذات العذرية روحيا، لانـــــه المكان المرتبط بعلاقتها العاطفية مع ذات المحبوبة. وهي ترتبط به إرتباطا وثيقـا الى درجة التقديس.

فقراءة منا للنصوص الشعرية العذرية تظهر لنا بأن هناك مكانا ما من بين الامكنـة التي عرفها الشاعر العذري قد استحوذ عليه بجاذبية خاصة وأصبح متعلقا به روحيـا، فهو يحمله معه أين ماحلّ، ودائم الحنين اليه إن هوفارقه. وقد أدّى الترابـــط الحاصل بين الذات العاشقة وذلك المكان إلى أن تجعل مخيلة الشاعر منه فردوســا يقل وجود مثله في العالم الدنيوى، مما رسخ دوام حضوره في مخيلة الشاعر. لان((«المكان الذى نحبه يرفض أن يبقى منغلقا بشكل دائم أنّه يتوزع ويبدو وكأنه يتجـــه الى مختلف الاماكن دون صعوبة، ويتحرك نحو أزمنة أخرى وعلى مختلف مستويات الحلم والذاكرة))(1). لذلك عملت ذاكرة الشاعر على إعادة تشكيل ابعـــاد ذلك المكان بصورة تلبي رغبة النفس الطامحة الى العيش في مكان يوفر لها السعادة الكاملة بجوار المحبوبة .

ومن ثمة كان المكان معينا لها على الهروب من واقعها الضيق بالأبعاد المكانيـــة واللحظات الزمانية الى عالم الخيال الواسع الارجاء المتحرر من المكان والزمـــان. لأنه العالم الذي يوفر لها ماترغب فيه. ولذلك قامت ذاكرة الشاعر بإخراج ذلك

---

1 ـ غاستون باشـــلار جماليات المكان ص : 87

المكان من سيطرة الواقع المعيش المحكوم بالتحولات الكونية، إلى فضاءات أخرى إكتملت فيها أبعاده الجمالية وفق ما تريده الذات العاشقة فكان بكل محتوياته مصدر إلهام وحافز إبداع للشاعر، فهو المكان البديل الذي تحلم به الذات وترى فيه خلاصها من متاعبها وأحزانها. ((لأن الصورة الذهنية للمكان لدى الإنسان البدائي هي صورة مظاهر محسوسة، تشير إلى أماكن أو مواقع لها خصائص عاطفية، وكأنها شيء حي، فهي مسالمة أو معادية، مألوفة أو غريبة))(1). وتلك النظرة تقارب نظرة العذري للمكان فهو كشاعر بدوي يعيش على الفطرة التي تقارب الحياة البدائية في بعض مظاهرها، ولذلك فهو يتعامل مع المكان تعاملا عاطفيا ويتحدث إليه وكأنه يسمع ويرى:

يقول مجنون ليلى:

وأجْهَشْتَ للتَّوْبادِ حين رأيتُه ... وهلّل للرحمان حين رآني

واذْرَيْتُ دمعَ العين لما رأيته ... وناديْ بأعلى صوْتِيه ودعاني

فقلت له أين الذين عهدتهمْ ... حوالَيْك في خِصْبٍ وطيبِ زمانِ

فقال مضوا واستودعوني بلادَهمْ ... ومن ذا الذي يبقى مع الحدثانِ

وإنّي لأبكي اليومَ حذري غدًا ... فراقَكِ والحَيَّانِ مُؤْتَلِفانِ(2)

فنظرة الشاعر هذه إلى جبل "التوباد" المعروف جغرافيا كمكان بنجد. تعرب عن حقيقة واضحة وهي أن الشاعر العذري يتعامل مع المكان المرتبط بعواطفه العشقية وكأنه مكان يرى ويسمع ويحس ويتكلم. فبهذه الصفات التي أصبغتها ذاكرة الشاعر على المكان تحول المكان "جبل التوباد" من مكان معروف جغرافيا إلى مكان آخر لا وجود له إلا في ذاكرة الشاعر، مكان له تشكيل معماري جديد يتوافق مع حركات النفس ورغباتها.

وبذلك تحول المكان إلى فضاءات أوسع تتسع باتساع خيال الشاعر فكلما إتسع حلم الذات إتسع المكان، فالحلم هو العالم السحري الذي تجد فيه الذات راحتها وهو الذي يدفعها إلى "أَنْسَنَةِ" المكان.

---

1 - د. حسام الالوسي الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ص: 40
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط/80 بيروت

2 - مجنون ليلى ديوانه ص: 213

يقول مجنون ليلى:

أحنُّ الى نجدٍ وإني لأيـــــنٌ ... طَوال الليالي من قُفُولٍ الى نجـــدِ

إن يَـكُ لاليلـى ولا نجـد فأعترف ... بهجـرٍ الى يوم القيامة والوَعْـدِ (1)

فـ" نجد "كمكان شهد تكوّن الاحساسات العشقية للمجنون، كان ولابد ان يكون شديـد الارتباط بعاطفة الشاعر لانه يكشي صورة أخرى قد تشكلت في ذاكرته، صورة شكلتهـا عواطف الشاعر واحساساته الداخلية لذلك اصبحت" نجـد" كمكان طبيعي معروف بأبعادة الهندسية يختلف كل الاختلاف عن" نجد " في ذاكرة الشاعر.

فالمكان الطبيعي محكوم بالابعاد المكانية والتغيرات الزمانية، أما مكان الذاكرة فهو خارج ذلك كله هو عالم سحري جميل لايلحقه التغيير، ولذلك أصبح الشاعر يحلم بأن ((يعيش في سعادة كبيرة في مكان سعادته))(2) لان لاسعادة له خارج ذلك المكـان.

يقول مجنون ليلي

ألاَ هَلْ الى شَمِّ الخُزامَى ونظـــرةٍ ... الى قَرْقَرى قبل الممات سبيـــلُ (3)

فأشرَبَ من ماء الحُجَيْلاء شربـــــةً ... يُداوَى بها قبلَ الممات عليـلُ (5)

فيا أثلاتِ القاع قد مَلَّ صُحْبَتـــي ... مَسيـــري فهل فيظِلِّكُنَّ مقيـــلُ

ويا أثْلاتِ القاع ظاهِرُ ما بـــــدا ... بِجسْمِـي على ما في الفؤادِ دَليلُ

ويا أثلات القَاع من بين تُوضِـــحٍ ... حنيني الى أفيائِكُنَّ طويـــلُ

ويا أثـلات القاع قلبي مُوَكَّـــلٌ ... بكُـنَّ وجَدْوَى خَيْرِ كُنَّ قليـــلُ

أرُوم إنْحِـدَارًا نَحْوَهَـا فيَرُدُنِـــي ... ويَمْنَعُنِـي دَيْنٌ عليَّ ثقيـــلُ

أحدِّثُ عنك النفس إذْ لَسْتُ راجعًـــا ... إليك فحُزْنِي في الفؤادِ دخيـــلُ

فهذا التعلق القوي" نَجْدٍ" يظهر تلك العلاقة الوثيقة التي تربط الشاعر بذلـك

---

1 ـ مجنون ليلـــى ديوانه ص : 92

2 ـ غاستون باشلار جماليات المكان ص : 48

3 ـ المصدر نفسة : ص : 173

4 ـ الخزامي: نبْتٌ طيب الريح ـ قرقـرى: اسم مكان.

5 ـ الحجيـلاء : إسم المكان .

المكان. فالمكان الاليف هو اكثر التصاقا بحياة الانسان، وأقرب إلى نفسه ، ولا يجد سعادته إلاّ فيه .

إن الأبيات السابقة تبين ذلك.فالشاعر عندما يتمنى التمتع " بشم الخُزَامَى" و " الشرب من ماء الحجيلاءقبل العمات" فلأنه يرى أنّ " نجدا " هي مكان سعادته ومتعته وأحلامه.((والطاقة التي تعطي المكان كل هذه القدرة هي طاقة الخيال التي تتحول فيها الأشياء الصغيرة إلى عوالم واسعة))(1) وذلك ما نلمسه في المكان الوجداني عند الشاعر العذري، لأنه هو المكان الوحيد الذى يمكنه حمل هموم الذات العاشقة لسعته وروعة جماله، وإنفلاته من قبضة العوامل الطبيعية ومحدودية المكان وأثر الزمان فيه .

يقول جميل بثينة :

أَلا لَيْتَ شعري هَلْ أبيتنّ ليلةً بوادى القُرى؟ إني اذن لسعيدُ !(2)

فوادي القرى بالنسبة لجميل بثنة هو مكان السعادة الدنيوية. ولذلك فهو يتمنى أن يجودَ عليه الزمان بلحظة يعانق فيها ذلك المكان في غفلة سلطة الغير ، ليحقق حلمه.

فسعادة جميل في هذه الحياة مرتبطة بوادي القرى ولذلك بقي يحمل ذلك المكان في كيانه الداخلي حتي آخر لحظة من عمره .

يقول جميل بثينة أيضا :

صدع النّعِيُّ وماكَنَي بجميل وثوى بمصرَ ثَواءَ غيرَ قَفُولِ

ولقد أجرَّ الذيلَ في وادي القرى نشوان بين مزارعَ ونخيلِ

بَكَرَ النّعِيُّ بفارسٍ ذى هِمّةٍ بطلٍ اذا حُمَّ اللقاءُ مُذيلِ

قومي بثينةُ فأندبي بعويلٍ وأبكي خليلَكِ دون كلّ خليلِ (3)

---

1 ـ عبدالقادر الرباعي تشكيل المعنى الشعرى مجلة فصول م 4/ العدد الثاني:1984 ص : 64

2 ـ جميل بثينة ديوانه ص : 31

3ـ المصدر نفسة ص : 99/98

إن المكان الوجـــداني هو عالم الحياة الذى لايلحقه الفناء لأنه قريب من النفس مرتبط بها . وارتباطه بالاحساسات الداخلية للذات الشاعرة مكّنهُ من الإنفلات مـــن كل مايمكن أن يعرضه للدمار والخراب وبذلك أصبح مكانا لامتناه يتسع بإتســـاع الكون.وبذلك فرض هذا المكان المُخَيَّلِ جاذبيته على الشاعر إلى درجة أن أصبـــــح لايرى السعادة إلا مرتبطة به: وكأن ليس هناك في الوجود مكان آخر يتسع لحمـــــل همومه إلاّ ذلك المكـــان .

الفصل الثالث

وحدة المكان في النص الشعري العذري

مكـــان ميـــلاد العلاقـــــة :

هو المكان الذى ولدت فيه العـلاقـــة بين الذاتين العاشقتين . وبذلك فهـــو يحتل في نفسية الشاعر العذرى مكانـة لايبلغها مكان آخر. فصلة الشاعر به هـــي صلة روحية عميقـــة التجذر في اللا وعي، ومن ثم فهو يمثل بالنسبة له عالم الالفة الحميمة والحب والدافولة الكامنة في أعماق كل انســـان .

ولذلك اكتسب هذا المكان صفة الديمومة في ذاكرة الشاعر العذرى، وأصبح هـــو المكان الامثل الذى تتفرع عنه الامكنة الاخرى التي تساعد على توثيق العلاقة. فكلمـا تعمقت العلاقـة بين العاشقين، كلما زادت اهمية ذلك المكان في نفسية الشاعـــر ومن خلال ذلك الترابط والتجاذب بين الشاعر وذلك المكان تشكلت معمارية خاصة لـــه في ذاكرة الشاعر، وأصبح يحس بانجذاب قوي نحوه لأن ((كل مناطق الالفة موسومة بالجاذبية. وجودها هو الوجود الهنئ))(1).

فمكان الالفة هو المكان الدائم الحضور في ذاكرة الانسان الملازم لحياته، لانـــه مرتبط بأجمل فترة في عمره، فترة الطفولة والشباب وبداية التفتح على الحيـــاة وما فيها من جمال . وكلما تقدمت العمر بالانسان كلما ازداد حنينه الى تلك الفتـــرة من عمره والى المكان المرتبط بها . وذلك ما نجده عند الشعراء العذريين ، فالمتتبـــع لاخبارهم يجد أن الاماكن التي شهدت ميلاد علاقة حبهم ، هي الاماكن التي بقيـــت تلازمهم طوال حياتهم لانها موطن طفولتهم وشبابهم .

يقول مجنـــون ليلـــى:

تعَلَّقتُ لَيْلَى وهي غِرٌّ صَغيـــــرةٌ ولم يَبْدُ لِلأترابِ من ثَدْيِها حَجْـــمُ
صَغيرَيْنِ نَرْعَـــى البَهْمَ يا لَيْتَ أَنَّنَا الى اليومِ لم نَكْبَرْ ولم تكْبرِ البَهْمُ(2)

---

1 ـ غاستـــون باشـــلار جماليات المكان ص : 50/49

2 ـ مجنون ليلـــــى ديوانـــه ص : 186

فالمجنون هنا يريد ان يوقف جريان الزمان ليعود الى فترة الطفولة، فترة بداية علاقته بليلي . لأن تلك الفترة قد شهدت اجمل ايام عمره واسعدها . وحنينه الى تلك الفترة من عمره هو في نفس الوقت حنين الى ذلك المكان الذى عاش فيه تلك الايام السعيدة الى جوار ليلى .

لقد تكلم الرواة الذين تناولوا حياة المجنون بأن " جبل التوباد بأرض بني عامر" كان هو المكان الذى شهد ميلاد علاقة الحب بين المجنون وليلى.

فقد روى أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الاغاني قوله :((كان المجنون وليلى وهما صبيان يرعيان غنما لاهلهما عند جبل في بلادهما يقال له " التوباد" فلما ذهب عقله وتوحش كان يجئ الى ذلك الجبل فيقيم به، فإذا تذكر ايام كان يُطيفُ هو وليلى به جزع جزعا شديدا واستوحش فهام على وجهه (.....) فلا يزال كذلك حتي يقع على التوباد))(1). هذا النص يضعنا أمام حقيقة هامة، وهي قوة الارتباط بين الانسان ومكان ألفته. فالمجنون رغم ما أصابه من جنون وتوحش في الفيافي: فان جبل" التوباد" بقي عالقا بذاكرته لانه مكان ميلاد العلاقة، وأنه عندما ضاعت منه ليلى تشبث اكثر بذلك المكان فأصبح قبلته التي لايسأل إلا عنها .

إن المكان هو المؤسس للعلاقة والمشكل للأسرة نظرا لما يمليه من فضاءات روحية تتجاوز ذلك التواصل الحسي لأعيان الذوات المتجاورة من حيث المعطى الفيزيقي حيث نجد ان فضاء التآلف يضفي فاعلية التجاذب الذى يتعالى عن ميكانيكية التقابل الكياني وحسبة التجاور الحقيقين في العالم الحسي :

يقول مجنون ليلى:

وأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبادِ حينَ رأَيْتُهُ ... وهَلَّلَ لِلرَّحْمٰنِ حين رَآنِي

وأَذْرَيْتُ دمْعَ العَيْنِ لَمَّا رأيتُهُ ... ونادَى بأَعْلَى صَوْتِهِ وَدَعَانِي

فَقُلْتُ له أين الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ ... حَواليْكَ في خِصْبٍ وطيبِ زَمانِ

فقالَ مَضَوْا واسْتَودَعُوني بِلَا دَهُمُ ... ومَنْ ذَا الَّذِى يَبْقَى مَعَ الحَدثَانِ

وَإني لَأَبْكِي اليَوْمَ مِنْ حذرِي غدًا ... فِرَاقَكِ والحَيَّانِ مُؤْتَلِفَانِ(2)

---

1 ـ ينظر ابو الفرج الاصفهاني كتاب الاغاني ج: 2 دار الثقافة بيروت ص :44/43

2 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 213

فجبل " التوباد" بالنسبة للمجنون ليس مكانا عاديا كباقي الامكنة الاخرى، وإنما هو مكان قد تجذر في اعماق كيانه وسكن احساسه الداخلي، لانه مكان ميلاد البذرة الاولى لحبه لليلى، ولذلك " أَنْسَنَهُ" فأصبح يسمع ويرى ويتكلم . ان ذلك يعرب عن مدى ارتباطه بذلك المكان، والاحساس الذى ينتابه أثناء وقوفه به. فالمجنون اثناء وقوفه بجبل التوباد بجبل التوباد كان يحس في تلك اللحظة بغربة مكانية، دفعته الى مساءلة المكان عن تلك الحياة الآفلة والتي كان جبل التوباد شاهدا عليها في يوم من الايام، وبقيت عالقة وكأنها مرسومة على صخورة.

إن ثبات الشاعر في حبه لمحبوبته هو من ثبات ذلك الجبل في مكانه، لان الجبل هو رمز الثبات والخلود والبقاء فمادام جبل التوباد ثابتا في مكانه، ظل المجنون وفيا لمحبوبته ولجبل التوباد.

إن جبل " التوباد" في شعر المجنون يشكل الحيز الاولي للارتباط بفضاءات التعلق والحيرة والتساؤل والصبا والترعرع والحضور والغياب والخلود والفناء، وكذلك بالوحدة والثبات إنه بهذا يجلى بواطن الذات ونوازعها الخفية، وعليه يصبح هو الحيز المماهي للتكوين النفسي . وبذلك توطدت العلاقة بين جبل " التوباد" والمجنون وأصبح يرى فيه صورة لكل الجبال التي أقام بجوارها مع محبوبته .

يقول: (1).

إِقْرَأْ عَلَى الوَشْلِ السَّلَامَ وقُلْ لَهُ	كلُّ المَشارِبِ مذهجرْتَ ذَميمُ(1)
جَبَلٌ يَزيدُ عَلى الجِبَالِ إذَا بَدَا	بَيْنَ الذَّرائِعِ والحثُومِ مُقيمُ(2)
تَسْرى الصَّبَا فَتَبيتُ في أَلْوَاذِهِ	وَيَبيتُ فيه مَعَ الشَّمالِ نَسيمُ(3)
سُقْيًا لِظِلِّكَ بالعَشِيِّ وبالضُّحَى	ولِبَرْدِ مَائِكَ والمِياهُ حَميمُ
لوكنْتُ أَمْلِكُ مَنْعَ مائِكَ لمْ يَذُقْ	مَا في قِلَاتِكَ ماحَيِيتُ لَئِيمُ

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 192

2 ـ الوشل: جبل عظيم بناحية تهامة.

2 ـ الذرائع والحثوم: موضعان 3 ـ الالواذ جمع لوذ: وهو جانب الجبل

ان ارتباط المجنون بالجبل هو ارتباطه بالطفولة وأيام الحب والسعادة. وان جبل الوشل هو صورة لجبل " التوباد" الذى نشأت في ظلا له العلاقة بين الذاتين العاشقتين. ولذلك فكل الجبال التي يذكرها المجنون في شعره ماهي الا صورة للمكان الاصل جبل " التوباد" وماقوله في الابيات السابقة(إقرأ على الوشل السلام... جبل يزيد على الجبال... سقيا لظلك بالعشي وبالضحى... برد مائك..) الاصورة لجبل " التوباد".

يقول مجنون ليلى:

أياجبل الثَّلْجِ الَّذِي فِي ظِلالِهِ ... غَزالانِ مَكْحُولانِ مُؤْتَلِفانِ

غزالانِ شَبَّا في نَعِيمٍ وَغِبْطَةٍ ... وَرَغْدَةِ عَيْشٍ ناعِمٍ عَطِرانِ(1)

أمنية الشاعر العذرى هو أن يحقق حلمه ، وهو الفوز بالمحبوبة بعيدا عن الوشاة والرقباء. فالغزلان في البيتين السابقين لهما دلالة الصفاء الشعورى في الهجرة والائتلاف. وأن المجنون قد وجد في الغزال منفذا لاسقاطات شعورية تكمن في لاشعوره.

فالغزال هنا هورمز لحلم الشاعر، وهو يطرح فكرة الاكتمال في الشعور بالاستقرار، لتحقيق الوحدة التي يطمح اليها مع محبوبته في نعيم وغبطة ورغدة عيش،وتلك هي صورة الحياة التي كان قد عاشها الشاعرأيام طفولته مع محبوبته في ظلال جبل" التوباد" إنَّ الغزل العُذرى لايتصف فيه المكان بالهيئة المعمارية أو التشكيل الحسي لتكوينه كما هو سائد في معظم القصائد الغزلية عبر العصور، كما انها ليست موطن الطفولة من حيث ميلادها الزمني . فالطفولة قد تعود في الغزل العذرى الى ماقبل الميلاد ذلك أنها في الذهنيّة العذرية تكتسي مدلولا قدريا وتظل ثابتة تنزاح عن التحول والتغير والمضي، وعليه فهي تتسم بالسرمدية في التكوين الزمني .

يقول جميل بثينة:

تعلَّقَ روحي روحَها قبل خَلقِنا ... ومن بعدما كُنَّا نِطافًا وفي المَهْدِ

فزاد كما زدنا فأصبحَ ناميًا ... وليسَ إذَا متنا بِمُنتقَضِ العَهْدِ

ولكنَّه باقٍ على كلّ حالةٍ ... وزائِرُنا في ظُلمةِ القبرِ واللَّحدِ(2)

ومن هنا نجد تواشجا بين المكان والزمان في الغزل العذرى بحيث تصبح الطفولة

1- مجنون ليلى ديوانه ص : 211

2- جميل بثينة ديوانه ص : 34

في الشعر العذري هي ميلاد للمكان وميلاد للا واصر الودية بين الذوات المتحابة، وكذلك هي التكوين المفعم المتجدد الذى لايبلى بفعل الزمن، وبذلك يتضح لنا بأن العلاقة دائرية بين هذا الثلاثي (المكان، الزمان، الذات) بحيث تأخذ واحدة واحدة ولحمة متعالقة الجوانب .

وإذا كان مكان ميلاد العلاقة قد ارتبط عند المجنون بجبل " التوباد" فإنه عند جميل بثينة قد ارتبط بوادى بغيض ومنه بوادى القرى.

يقول جميل بثينة :

وَأَوَّلُ ما قادَ المودَّةَ بَيْنَنَا ... بِوادي بَغيضٍ يا بُثينَ سِبابُ

وقلنا لها قولاً فجاءَتْ بِمثلِهِ ... لكلِّ كلامٍ يابُثَيْنَ جَوابُ(1)

إذا كان الوادى رمز للخصب والحياة فإن ميلاد علاقة الحب فيه، رمز لبعث الحياة من جديد والإرتباط بها . فعلاقة الارتباط بين جميل وبثينة بدأت يوم لقائه بها بوادى بغيض ومنذ تلك اللحظة وحبه لبثينة ينمو يوما بعد يوم حتي تمكن من قلبه وأصبح يوجه حياته .

يقول جميل بثينة أيضا :

شهِدتُ بأني لم تَغَيَّرَ مودّتي ... وأني بكم حتي الممات ضَنِينُ

وأَنَّ فُؤادي لايلِينُ إلى هَوى ... سواكِ وإن قالوا: بلى سَيَلِينُ

فقد لَانَ أَيَّامَ الصِّبا ثم لم يكد ... من الدّهر شيءٌ بعدهنَّ يَلينُ (2)

فوفاء جميل بثينة في حبة لمحبوبته وبقاؤه على العهد مهما تغيرت الظروف والاحوال يقابله كذلك تمسك قوي بمكان ميلاد العلاقة لأنه مكان الصبا والشباب والالفة والضبطة والفرح بالحياة . إنّ جميل بثينة لايرى هناك مكانًا في هذا الوجود اسعد من مكان ألفته "وادى القرى" . وان وادي القرى هو صورة أكبر لوادى" بغيض". وهكذا نجد أن الشاعر العذري يحصر دائما سعادته في مكان ألفته المكان الاصل الذى لاينزاح عن مخيلته ولايلحقه النسيان .

---

1 - جميل بثينة ديوانه ص : 20/19

2 - المصدر نفسة ص : 106

يقول جميل بثينـــة :

أَلا ليْتَ شعري هَلْ أبيتَنَّ ليلـــةً بوادي القُـرى؟ إني إذَنْ لَسعيدُ !(1)

إن وادي القرى هو الحلم الذي يقي يراود جميل بثينة طول حياته، ويحن اليـــه كلما ابتعد عنه((لأن في وادي القرى مراتع طفولته ومرابع صباه ومراح ذكرياتـــه ، ولأن فيه مغاني حبه هذا الأسر القاتل. إن في هوائه ومائه في أرضه وسمائـــه في مكانه وقراه، شبع عاطفته وإرواء ظمئه. فليكن إذن هذا الوادي قبلته التي يتجه إليها في حبه، وحماه الذي يريد أن يحتمي به))(2). ومن ثمة فهو المكلنهان الذي يسكن كيانه الشاعر ويزيده تشبثا به كلما أحس بالإبتعاد عنه .

وقد بقي جميل بثينة يتغنى بوادي القرى في شعره حتي آخر أيام عمره ((لأن وظيفة الشعر الكبرى هي أن يجعلنا نستعيد مواقف أحلامنا))(3) ووادي القرى هو مكان حلـم الطفولة. والشاعر لاينقطع حلمه فهو دائم البحث عن عالم جميل يحقق فيه ما يطمح إليه وليس عنده أجمل من عالم طفولته لذلك يبقى ذلك العالم يلازمه إلى مماتـــه.

يقول جميل بثينـــة :

صَدَعَ النَّعِيُّ وماكنـي بِجَميـــلِ وثَوَى بمصـرَ ثَواءَ غير قَفُـــولِ

ولقد أَجُـرُّ الذيـلَ في وادي القُـرى نشوانَ بينَ مزارعَ ونَخيـــلِ(4)

فجميل بثينة يؤكد في البيتين السابقين بأن مكان ميلاد العلاقة هو المكان الوحيد الذي يبقى راسخا في ذاكرة الشاعر العذري. وأنّ الذات العذرية عندما ينقطـــع وجودها الفعلي عَنْ مكان ألفتها تعمل على استحضاره كلما أحست بغربتها المكانيـــة.

فجميل بثينة عندما أدرك ملازمة مكان غربته للهلاك والموته تشبث بمكان سعادتـــه وادي " القرى" ليعيش حلم الطفولة في لحظة الرحيل الأبدي. وإذا كان المكان الأصـــل (مكان ميلاد العلاقة) هو المكان الدائم الحضور في ذاكرة الشاعر العذري. فـــإنّ

---

1 ـ جميل بثينـة : ديوانـــه ص : 31

2 ـ د. شكري فيصل تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام دار العلم للملايين بيروت ص 310/309

3 ـ غاستـــون باشـــلار جماليات المكان ص : 52

4 ـ المصدر نفسة ص : 98

ذلك المكان قد تنعكس صورته في مكان آخر له صلة وثيقة بالعلاقة. بحيث يحل المكان الجديد محل المكان الاصل ، وذلك مايلاحظ عند" كثير عزة" فمكان ميلاد علاقته العشقية حسب الرواة الذين تناولوا أخباره هو وادي " الخبت".(1) ويروون بأنه قال في أول لقاءٍ له بعزة الابيات التالية:

نظرتُ إليها نظْرةً وهْيَ عاتِقٌ ... على حينِ أن شَبَّتْ وبانَ نُهودُها (2)

وقد درَّعوها وَهْيَ ذاتُ مُؤَصَّدٍ ... مَجوبٍ ولمَّا يَلْبَسِ الدِّرْعَ رِيدُها (3)

نظرتُ إليها نظرةً مايسُرُّني ... بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها

ومنذ تلك اللحظة التي قابل فيها عزة وهو معلق القلب بها ، ولايقرّله قرار بمكان الاحيث حلت وإطمأن بها المكان. ولكن الملاحظ على شعره أن وادي" الخبت " الذي شهد ميلاد علاقة حبه لعزة لم يكن له حضورا ظاهريا في شعره . بل إحتل مكان ذلك المكان الاصل مكانا آخر تعمقت فيه العلاقة بين الشاعر ومحبوبته الى درجة أن اصبح المكان الجديد هو المسيطر على ذاكرة الشاعر. وذلك مانجده عند كثيّر عزة فوادي " الشبا" هو المكان الذي صادف فيه "عزة " وهي في طريقها الى مصر: فتعلق بها وكأنه يراها لاول مرة ومنذ ذلك اليوم ووادي " الشبا" لايفارق مخيلته .

---

1 ـ ينظر احمد الربيعي كثير عزة حياته وشعره دار المعارف مصر ص : 88

ـ فقد روى بأن كثير عزة خرج ((في فجر حياته من منزلِهِ يسوق جلب غنم إلى الجار فلما كان بوادي ((الخبت)) وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهن عن الماء. فقلن لعزة ـ وهي جارية قد كعب ثديها ـ أرشديه فأرشدته فأعجبته. ثم جاءته عزة بدراهم فقالت: تقول لك النسوة بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضأنك. فدفع اليها كبشا وقال ردي الدراهم. وقولي لهن إذا رجعت اقتضيت حقي منكن. فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه فقال: وأين الصبية التي أخذت مني الكبش؟ قالت وما تصنع بها؟ هذه دراهمك. قال : لاأخذ دراهمي إلا ممن دفعت إليها الكبش. فمزحن معه وقلن ويحك عزة جارية صغيرة وليست بها وفاء لحقك فأحمله على إحدانا فانها املأ به واسرع له اداء. فقال: ماانا بمحيل حتي عنها. فقلن ابيت الاعزة وابرزنها اليه وهي كارهة. ثم احبته عزة بعد ذلك اشد من حبه إياها)) ص : 88

ـ ينظر كذلك د. مصطفى الشكعة رحلة الشعر عالم الكتب بيروت ص : 188

2 ـ كثير عزة ديوانه ص : 200

3 ـ المؤصد: من الأصدة وهي قميص صغير للصغيرة. ـ مجوب : مقوّر الجيب ـ الريد: القرين في السن.

يقـــول في ذلك

أقول لمـاء العينِ أمْعِنْ لعلَّـهُ بما لايرى من غائبِ الوجدِ يَشْهَـدُ
فلم أدرِ أنَّ العينَ قبلَ فراقِهـا غداةَ الشَّبا من لاعِجِ الوجدِ تجْمُـدُ
ولم أرَ مثلَ العينِ ضَنَّتْ بمائِهـا عليَّ ولَمْثلِـي على الدمعِ يَحْسُـدُ(1)

إن وادى" الشبا " أصبح عند كثير عزة هو المكان الأصل ، وبذلك كثر ذكره فـــى شعره وكثر حنينه إليه ، فهو المكان المرتبط بحلمه وسعادتـــه .

إن ميـــلا د المكان كمعمار خارجـــي يحمـــل كل الموجودات التي تسهم في تشكيلـه يـرسخ في ذاكرة الشاعر، وأنَّ بقايا ذلك المكان تسهم في تأسيس العلاقـــــة وفي ميلادها ، وبالتالـــي فهي النسيـــج المعماري للاحاسيـــس . كما أن مكونـات المكان تتعالق مع بعضها ببعض لتؤ سس في ذات الشاعر الوحدة الكلية للعلاقة .

إن المكان لاينزاح ولايتجرد عن العلاقة الثنائية بل هو ثالث في تشكيل التواشـــج الوجـــداني بين الأطراف . ولذلك فـدلا لة الأمكنة في الخطاب الشعرى العـــذرى لاتتشعب أوتتوزع في شكل فضاءات مستقلة وعندئذ نصوصا منفصلة عن بعضها البعـــض، بـــل علـــى العكـــس فهي تتداعـــى مؤ دية نسقا يتســـم بالتفريع حيث تعود إلـــى المكان الأصل كجبل " التوباد" عند المجنون ووادي"إيغيض" عند جميل بثينة ووادي " "الخبت" عند كثير عزة .

إن المكان الأصـــل هو أس التكوين الشعرى للإبداع حيث منه يتأسس النص الشعـــرى المبدع وعليه يصبح هو الوحدة الكلية التي تنبجس عنها جملة من الواحدات التـــي لاتنفلـــــت عـــن مدارهـــا ، فيعـــزى دائما تعـــددها أوتلونهـــا أوتحركهـــا إلـــى حقـــل الوحـــدة الأصليـــة ،وبالتالـــي فهي رهن التعدد الذى يؤ دى إلى الوحدة والتفـــرع ،كما يؤ دى إلـــى الأصل والحركـــة التي تتجه نحو الثبـــات .

---

1 ـ كثيـــر عـــزة ديـــوانـــه ص : 437

مكـــــان استحضـــــار العـلاقـــــة:

إن حياة التنقـــل والإرتحال التي كان يعيشها الشاعر العذري ومحبوبته، كـــان ولابد أن يكون لها الأثر الكبير في نفسية الشاعر. فرحيـــل المحبوبة عن المكـــان لم يكن في نظـــرة الشاعر مجرد انتقال من مكان الى آخـــر بحثا عن الماء والكلأ وإنما هو أعمـــق من ذلك بكثـــير، لأنه يحدث عدم التآلف بين الشاعر والمكـــان بسبـــب ما أصاب العلاقة من تـــصـــدع.

فالرحيل وما يشتمل عليه من حركة، وما يتتج عنها من تغير يحدث بالمكان يكـــون له الأثر البالغ في تشكيل أبعاد المكان المهجور وتوضيح ملامح صورته، تلك الصورة التي انفصلت عن عالم الحياة وارتبطت بعالم الهلاك، بحيث أصبح لايصلح للحيـــاة والإستقـــرار، ومن ثم كانت مغادرته الى مكان آخر تتوفر فيه سبل الحياة أمـــرا حتميـــا.

وهذا الانتقال الدائم والمفاجئ يشعر الشاعر بالاقصاء الذي يغيب حضوره وعلاقتـــه بالمحبوبة، وللمكان دوره في ذلك، لان رحيل المحبوبة كان بسبب التغير الذي لحق المكـــان فمن مكان مملوء بالحياة والحركة الى مكان يخيم عليها الموت والسكـــون، ونتيجة لذلك التغير كان وقوف الشاعر على المكان المهجور. لأن((ارتباط الديـــار بحياة الإنسان قد لازمته منذ أن عرف الحياة، فكان إقفار هذه الديار بالنسبـــة له يعنـــي إقفار الحياة نفسها وهذا وحده يكفي لتفجير كثير من الأحاسيس، ومـــن خلال ذلك كان الشاعر يحاول أن يطابق بين هذه الصور ويربط بين موت الناس ومفارقـــة الديـــار))(1).

فغياب المحبوبة عن المكان يحدث تغيرا في علاقة الشاعر بذلك المكان. فبعد أن كان المكان يتعالق بالذات الشاعرة و يتواصل معها أصبح بعد رحيلها مكان قطيعـــة وتوزع للذات.

ولكن على الرغم من ذلك بقي ذلك المكان يتوافر على جاذبية خاصة تشد الشاعر إليه فهو يطمر تحت جدبة أجمل ذكريات الشاعر، وأن الخيوط الباقية على وجهه تدل علـــى ملامح المكان المندثر وتذكـــر الشاعـــــر بتلك الحياة الأفلـــة.

---

1 - د. نوري حمودي القيسي الطبيعة في الشعر الجاهلي دار الارشاد بيروت: ط 1 /70/1ص :265/264

إن ظاهرة الوقوف على أطلال المحبوبة ليست بالشيء الجديد في الخطاب الشعري العذري . فقد كان الشاعر الجاهلي يكثر من الوقوف على اطلال محبوبته . لأن ((الارتحال المستمر نمط طبيعي لحياته في الصحراء ، فلا بأس من ان يخلق وراءه ربوعا تستحيل الى أطلال مادام سيقبل على ربوع جديدة عامرة بالحياة والناس ، ولا بأس من ان يعود الى هذا الطلل يوما - اذا ساقته اليه المصادفة - فيعتريه من الشجى مايعتري النفوس الحساسة الشاعرة))(1) . ومن ثم كان بين الشاعر والطلل علاقة شد وجذب .

فإذا كان حاضر الطلل يمثل بالنسبة إليه موقفا سلبيا - فهو مظهر الفناء الماثل أمامه - فان ماضيه يمثل سعادته التي كانت ثم انتهت ، إلا أنه مايزال يحن إليها .

وإذا كانت حياة الشاعر العذري لاتختلف كثيرا عن حياة الشاعر الجاهلي فكل منهما كان يعيش حياة البداوة القائمة على التنقل الدائم ، فإن موقف الشاعر العذري من الطلل يختلف عن موقف الشاعر الجاهلي .

فإذا كان الطلل بالنسبة للشاعر الجاهلي يمثل رسالة تهديد لانه يشعره بالفناء والنهاية وزوال مظاهر الحياة من المكان ، ويقف أمام ذلك متحسرا على أيامه الخوالي ، فإنه بالنسبة للشاعر العذري يمثل مكان استحضار لحياة سعيدة عاشها في يوم من الايام في هذا المكان ولايزال يحمل صورتها في مخيلته ويحلم بعودتها في يوم من الأيام .

ومن هنا يظهر ذلك الإختلاف بين الشاعرين . حيث أن فكرة المضي عند الشاعر العذري لاتتسم بالانقطاع النهائي كما هو معروف عند الشاعر الجاهلي ، وذلك راجع للموروث الثقافي . فالشاعر العذري المتأثر بما جاء به الاسلام لايرى فكرة المضي الزمني نهائية بل هي مفتوحة على عوالم اخرى .

ومن ذلك فالمضي لايعني الموت النهائي كما كان معروفا عند الشاعر الجاهلي ولكنه موت يعقبه بعث واستمرار في عالم آخر . وهذا الموقف المتميز من طرف الشاعر العذري للطلل يجعله لايكثر من ذكر الاطلال في أشعاره . فمجنون ليلى وهو إمام العذريين لايتعرض لذكر الطلل في اشعاره الاخمس مرات ، منها ثلاثة مرات في بداية القصيدة ومرتين داخل القصيدة ، وهذا مايبين اعتقاده بعودة تلك الحياة السعيدة التي كانت وانتهت .

1- د. عبد القادر القط في الشعر الاسلامي والاموى ص : 103

ولذلك فالصورة الغائبة للمكان هي صورة الحياة المرتبطة بالعلاقة . والتي تناقض كلية الصورة التي أصبح عليها الآن المكان . فهذا المكان الذي يحمل في ظاهره صورة الإندثار والفناء ، يحمل في باطنه صورة الخصب والحياة .

إن الشاعر مفطور على نوعية المكان المصاحب لذاته حيث تظل ظلا له وكل موجوداته مصدر إلهامه وإبداعه، فعندما تغيب المحبوبة عن المكان، تسهم الموجودات المكانية (المكونات) في بناء الذات الغائبة، وهذا بعد أن تستنطقها الذات الحاضرة. وهنا يصبح المكان المستحضر يتراوح بين الحضور والغياب (التوهم) حتي تحصل الذات على الصورة الكلية للذات الغائبة ، وعليه تتعالق موجودات المكان الحاضرة مع الذات الغائبة وهنا يحصل التعرف والاستحضار النهائي .

فعنترة بن شداد لم يعرف دار محبوبته إلا بعد توهم بسبب ما أصابها من محو وإندثار. يقول في ذلك :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدّار بعد توهّم (1)

ومثله وقع لكثير عزة عندما وقف على بقايا مكان محبوبته ولم يعرفه إلا بعد توهم يقول:

توهمتُ بالخيفِ رسْمًا مُحيلا ... لعزّةَ تعرِفُ منهُ الطُّلولا .
تبدّلَ بالحيّ صوتَ الصّدى ... ونَوحَ الحمامةِ تدْعو هَديلا (2)
متى أرَيَنّ كما قد أرى ... لعزّةَ بالمَحْوِ يومًا حُمولا (3)
بقاعِ النّقيعِ فَحِصْنِ الحمى ... يُباهِينَ بالرّقْمِ غَيْمًا مُخيلا (4)

إن التوهم الذي حدث لكثير عزة كان نتيجة إندثار الملامح الدالة على مكنونات المحبوبة، بسبب ما تعرض له ذلك المكان من تغير وتبدل ، فبعد أن كان مكانا للمحبوبة أصبح مكانا للبوم ونوح الحمام، مما يبين الخراب الذي لحق به. ولكن خراب المكان واندثار الحياة به لم يمنع الشاعر من أن يمتني عودة الحياة إليه من جديد في يوم من الأيام لتعود العلاقة كما كانت، وقد يساعد الشكل المعماري الجديد

---

1 - عنترة بن شداد ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر 1978 ص:15

2 - كثير عزة ديوانه ص :390

- الصّدى : ذكر البوم

3 - المحو : اسم مكان

4 - النقيع: من أودية الحجاز - الرقم: البرود المرقومة - مخيلا: واعدا بالمطر.

للمكان الشاعر في التعرف على المكان بدون عناء.

يقول جميل بثينة:

عرفتُ مَصِيفَ الحيّ والمُتربّعا ... كما خطّتِ الكَفُّ الكِتابَ المُرَجَّعا

معارفُ أطلالٍ لِبثْنَةَ أصبَحَتْ ... مَعارفُها قَفْرًا من الحيّ بَلْقَعا (1)

فعلاقة المحبوبة بهذا المكان هي التي جعلت الشاعر يقف على بقاياه، ليؤكد تعلقه بمحبوبته وبأنه لايزال على العهد. وفي نفس الوقت ليدرك ((بأن قدرا من تجاربه قد مضى وان جانبا من العمر قد ولّى))(2). فيزيد ذلك في توتره الداخلي، ويشعره بأنه الحياة لاتبقى على حالها ابدا.

يقول كثير عزة:

عرفتُ الدارَ كالخَلَلِ البوالي ... بِفَيفِ الخائعَينِ إلى بِعَالِ

ديارُ من عُزَيْزَةَ قَدْ عَفَاهَا ... تقادُمُ سَالِفِ الحِقْبِ الخَوالِي (3)

يكشف الشاعر هنا عن ذلك التحول الذي حدث في المكان بعد ان سكنه الجدب واصبح قفرا لاحياة فيه، وكادت ملامحه أن تزول. وكأن الحياة لم تكن قائمة به في يوم من الايام لولا تلك البقايا الدالة على الحياة الآفلة، والتي ساعدت الذات الشاعرة على تجميع أجزاء الصورة الغائبة للمكان لانها ((لاتدرك من الشيء الا بعض خطوطه، وهذه الخطوط تستدعي ذكرى الشيء كاملا))(4).

إن المكان الذي وقف عليه الشاعر هو مكان آخر يحكمه زمان غير الزمان الذي كان يحكمه سابقا. فالصورة الحاضرة له - مكان اجرد لاحركة فيه - قد جعلت الشاعر يحس بالغربة والخواء والفراغ، لان قبضة الفناء قد استحكمت من المكان فسادَهُ السكون، وحتى يقاوم الشاعر ذلك يلجأ الى مساءلة المكان، وهو يدرك بأنه لايحصل على جواب.

يقول جميل بثينة:

ألم تسألِ الرَّبعَ الخَلاءَ فيُطِقُ ... وهل تخبرنْكَ اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ؟ (5)

وقفتُ بها حتى تجلّتْ عَمايَتي ... وملَّ الوقوفَ الأرحبيُّ المنَوَّقُ

---

1 - جميل بثينة ديوانه ص: 62/61

2 - د. ثامر سلوم نظرية اللغة والجمال في النقد العربي دار الحوار للنشر والتوزيع بيروت ط1/83 ص: 160

3 - كثير عزة ديوانه ص: 227

4 - هانري برغسون الطاقة الروحية تر/ سامي الدروبي دار الفكر العربي القاهرة ط2/63 ص: 71

5 - الصدر نفسه ص: 70

بمختلَفِ الأرواحِ بين سُوَيْقَـــةٍ وأحدَبَ كادت بعد عهدِكَ تخلُـــــقُ (1)
أضرَّتْ بها النّكباءُ كل عشيّـــةٍ وَنفْخُ الصَّبا والوابلُ المُتبعِّـــــقُ

ويقـــول مجنون ليلـــى:

شجتنـــي وأبلتني منازلُ دُرَّسُ أُسَائلهـــا عمَّـــن عَهِدْتُ وتَخْـــرَسُ
وعهدي بها محفوفة ببدائـــع تَحُلُّ بمغناهـــا بُدورٌ وأشْمُـــسٌ (2)

فالشاعر هنا يحاول بسؤاله أن يستنطق موجودات المكان لمواجهة ذلك السكون الذى أصبح يخيم على المكان ، وابعاد الإحساس بالوحشة والغربة عن نفسه ولذلك أنْسَنَ الشاعر المكان وكأنه يسمع ويرى ويحس .

إن لحظة وقوف الشاعر على المكان الدارس في لحظة إنطفاء الذات الشاعرة فـــى الخارج لأن المكان ميت (بيداء سملق.... منازل درس ...) وانبعاثها في الداخـــل، لأن المكان حيٌّ (وعهدى بها محفوفة ببدائع ....) إذن فمقابل ذلك السكون الخارجي هناك حيوية داخلية ، تربط الشاعر بالحياة وتبعث في نفسية الأمل بالبقاء .

إن مساءلة الشاعر المكان الدارس ماهي في حقيقة الأمر الا تعبيرًا عن رغبة الشاعر في التشبـــث بالحياة الآفلة من المكان. وذلك يجعلنا نقف امام حقيقة هامة في حياة الإنســـان وهي أن ماضي الإنسان لايغيب بغياب الوجه الحي للمكان بل يبقى حيّا في ذاكرتـــه ((إنها دنيا حافلة بالذكريات لايملُّ الحديث عنها ، ولايفتأ يُذكرها ويسترجعها ، في شوق جارف، وحنين متصل وحسرة دائمة ، ولوعة لاتهدأ ولاتخبو))(3) ولذلك يبقـــي الوجه الحي للمكان حاضرا في ذاكرة الشاعر يستحضره كلما وقف على ذلك المكـــان الذى غابت عن وجهه الحياة .

يقول جميل بثينـــة :

أمِن منزلٍ قَفْرٍ تعفَّتْ رُسُومَـــهُ شَمالٌ تُغادِيـــه وَنَكْباءُ حَرْجَـــفُ (4)
فأصبح قفرًا بعدما كان آهِـــلاً وجُمْلُ المُنى تَشْتُوبه وتُصيِّـــفُ

1- سويقه: اسم مكان في مكة

2- مجنـــون ليلـــى ديوانـــه ص : 134

3- د. يوسف خليف ذو الرمة شاعر الحب والصحراء دار المعارف بمصر ص : 125

4- جميل بثينـــة ديوانـــه ص : 62

ظللتُ ومُستَنٌّ من الدمع هامِلٌ من العين لمّا عُجّتُ بالدارِ ينزِفُ .

إن المكان الدارس هنا قد أصبح جوهر الذات الشاعرة في الحركة والإحساس فسكونه واقفراره حركا كيان الشاعر الداخلي، ودفعاه إلى التذكر لجلب ظلال تلك الحياة الألفة منه .

يقول كثير عزة :

إربَعْ فحَيِّ مَعارِفَ الأَطْلالِ بالجِزْعِ من حُرُضٍ فهُنَّ بَوالِ(1)

فَشِراجَ ريمةَ قد تقادم عَهْدُها بالسَّفْحِ بينَ أُثَيْلٍ فَبَعالِ(2)

وَحْشًا تعاوَرَها الرّياحُ كأنّها توشيحُ عَصْبٍ مُسَهَّمِ الأغيالِ

لما وقفْتُ القلوصَ تبلادرَتْ حَبَبُ الدُّموع كأنّهُنَّ عزالي

وذكَرْتُ عِزَّةَ إذْ تُطاقِبُ دارُها برُحَيِّبٍ فأرابِنٍ فنُخالِ

أيّامَ أهْلونا جَميعًا جيرَةٌ بكتانَةٍ ففُراقِدٍ فَتُعالِ

فالشاعر هنا لم يبق مشدودا إلى صورة المكان الماثلة أمامَ عينيه - جدب قفر سكون فراغ- بل عملت مخيلته على استحضار الصورة الغائبة للمكان((إذ تتلامح له في تلك البقايا ملامح من عهد الراحة والخُلُوّ والألفة))(3) صورة الخصب والحياة وأيام المجاورة (كان أهلاوجمل المنى تشتوبه وتصيف ....) (أيام أهلونا جميعا جيرة .....) .

إن الوثبة الروحية المسيطرة على العقل في تلك اللحظة هي التي عملت على الانتقال من المكان الميت حاضرا إلى المكان الحيّ ماضيا .((فالصورة الشعرية هي العقل الإنساني الهادف لايجاد صلة مع كل ماهو حي أوكان حيا))(4). إن استحضار صورة المكان الغائبة هو لمواجهة ذلك التوتر النفسي الذى أصاب الذات الشاعرة لحظة وقوفها بالمكان، وما اوحت لها به تلك المظاهر المسلطة على المكان من موت وهلاك

---

1 - كثير عزة ديوانه ص : 285/284

- - أربع : أقم - حرض : اسم واد بالقرب من المدينة .

2 - الشراج مسايل الماء من الحرّة إلى السهل - ريمة : واد لبني شيبة قرب المدينة

- أثيل: اسم واد كثير النخل - بعال : اسم جبل .

3 - إيليا حاوى النابغة دار الثقافة ط2/1981 ص : 250

4 - سي - دى لويس الصورة الشعرية تر/ احمد نصيف الجناني وأخرون وزارة الثقافة والاعلام العراق 1982 ص : 40

وفناء وجدب وان الحياة مهما طالت فهي معرضة للزوال والفناء في يوم من الايام. وبذلك ادرك الشاعر ذلك التضاد الواقع في الوجود بين الحياة والموت بين البقاء والفناء بين الخصب والجدب((والماضي في ظل هذه المشاعر والاحاسيس يصبح حاضرا لاينقطع))(1) فالماضي هو الزمان الحي في ذاكرة الشاعر العذرى لانه زمان ميلاد العلاقة وايام الطفولة ولذلك يحزنه فقد ذلك الزمان، كما تحزنه كل مظاهر الجدب والفناء ومايقع في المكان من تحول .

يقول كثير عزة :

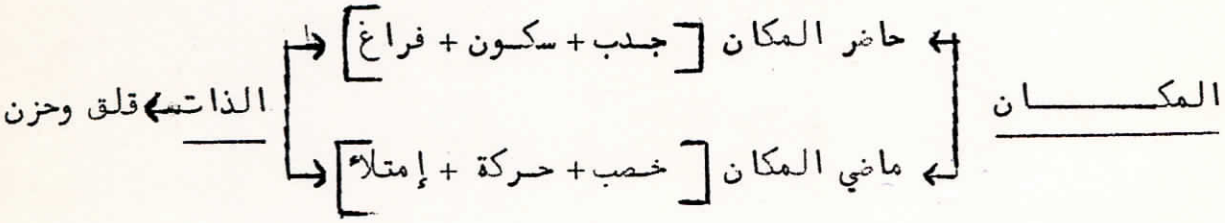
عرّجْ بأطرافِ الدِّيارِ وسَلِّمِ ... وإن هيَ لم تسْمَعْ ولم تتكلّمِ (2)

فقد قَدُمَتْ آياتُها وتنكّرَتْ ... لِما مَرَّ من رِيحٍ وأوطفَ مُرْهِمِ (3)

تأمّلْتُ من آياتِها بعد أهْلِها ... بأطرافِ أعظامٍ فأذنابِ أزْنُمِ (4)

محانيَ آناءٍ كأنَّ دُروسَها ... دروسُ الجوابي بعدَ حوْلٍ مجرَّمِ

فالمكان الماثل أمام الشاعر هو مكان نقيض له لانه مكان غياب وجدب وكلاهما يثير قلق وحزن الشاعر، لذلك قامت ذاكرته بتشكيل صورة المكان وفق مايتوافق والاحساسات الداخلية للذات الشاعرة. فجاءت صورته أي المكان - توحي بالفناء والهلاك وكأن الحياة لم تكن قائمة به في يوم من الايام . والشكل التالي يوضح ذلك :



ويمكن لهذا الشكل أن يتفرع الى الشكل التالي:

---

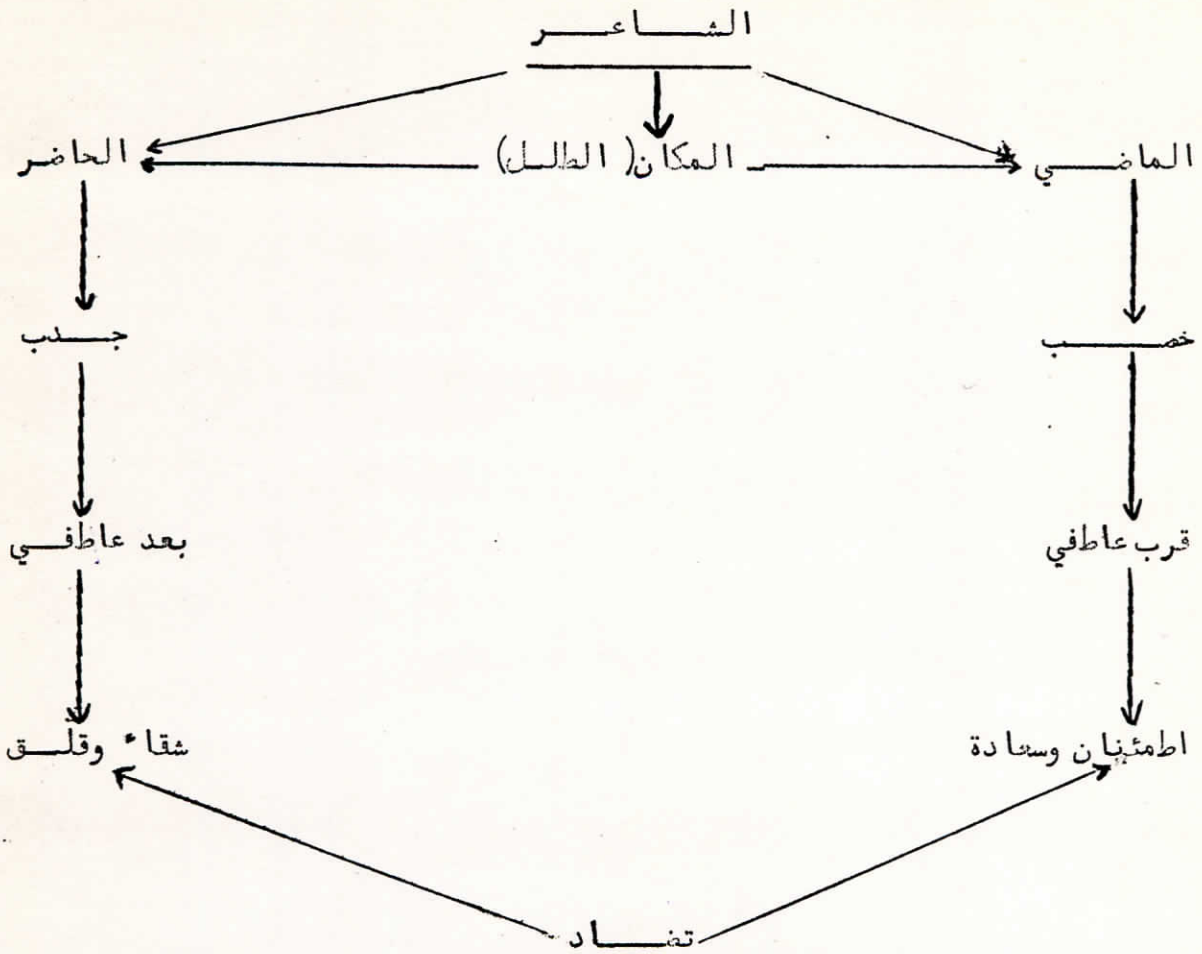
1 - د. تامر سلوم نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ص 40

2 - كثير عزة ديوانه ص : 334/333

3 - أوطاف : الذى دنا من الارض لكثرة مطره. المرهم: السحاب الذى يرسل الرهم وهي المطر الدائم دون شدة .

4 - أعظام وأزنم: موضعان .

5 - آناء: جميع نؤى وهو الحفير حول الخيمة - الجوابي : الأحواض والمفرد جابية - حول مجرم: عام كامل .



إن هذا الشكل يبين الحالة التي يعيشها الشاعر اثناء وقوفه امام الطلل، فهو يعيش بين حاضر مجدب تنقطع فيه العلاقة بسبب غياب المحبوبة، وماضي خصب بجوار المحبوبة .إن ماينتاب الشاعر من قلق وحزن اثناء مواجهته للمكان المندثر، هو في حقيقة الأمر تعبير عن ((رفض للرحلة الدائمة والتنقل المستمر، والمستقبل المجهول ، يؤرقه الحنين الغريزي الطاغي الى مكان ثابت، ووطن واحد وحياة مستقرة))(1). ولذلك فمعاناة الشاعر العذري ناتجة عن الفقد بسبب التغير المكاني الذي يواجهه في حياته باستمرار .

ولكن على الرغم من ذلك فإن أمنية الشاعر بعودة الحياة الى ذلك المكان في يوم من الأيام ماتزال قوية حيث أن ((الطلل ليس قيدا ولانقصانا ولا اشكالا مغلقا في حياة الإنسان ذلك أنّ من الممكن أن يعود وأن يبعث من جديد))(2) فتعود الحياة به الى سابق عهدها، وكأنها لم تفارقه في يوم من الأيام .

---

1 ـ د. جلال الخياط الشعر والزمن وزارة الاعلام بغداد العراق ص : 19

2 ـ د. مصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا القديم دار الاندلس بيروت ص : 61

يقول مجنون ليلـــى:

وقفنا على أطلالِ لَيْلى عَشيَّةً ... بأجْزَعِ حَزْوَى وهي طامِسَةٌ دُثُـــرُ
يُجادُ بها مُزنانِ: أسْحَمُ باكِـــرٌ ... وآخَرُ مِعْهادُ الرَّواحِ له زَجْـــرُ
وأَوْفَى عَلَى رَوْضِ الخُزامَى نَسِيمُهـــا ... وأَنْوارُها واخْضَوْضَلَ الوَرَقُ النَّضْـرُ (1)

يقول كثيـــر عزة :

سقى دِمْنَتَيـــن لَمْ نجِدْ لهما مثـــلا ... بحَقْلٍ لكُمْ ياعزَّ قد زَانتا حَقْـــلا (2)
نجاءُ الثريَّا كلَّ آخرِ لَيْلَـــــةٍ ... يجودُهُما جودًا ويُتْبِعُهُ وَبْـــلاَ (3)
إذا شَطَتْ دارُ لعَزَّةَ لم أُجِـــــدْ ... لها في الأولى يَلْحَيْنَ في وَصْلِها مَثْـلا
فيا ليتَ شِعـــري والحوادثُ جَمَّـــةٌ ... متي تجمعُ الأيامُ يومًا بها شَمْـــلا

ان استسقاء المكان المندثر (الطلل) في هذين النصين ، يعرب عَمَّا في نفس الذات العذرية من رغبة جامحة في التشبث بالحياة من جهة ، والاستقرار في مكان الى جوار المحبوبة بعد ان تغمره المياة من جهة اخرى .

وتتجسد أمينة في التعابير التالية (يجاد بها مزنان ـ نجاء الثريا كل آخر ليلة ... متى تجمع الايام يوما لها شملا ....) والحياة لاتعود للمكان الا بنزول الغيث لانه هو الذى يعيد خصب المكان الذى غيبه الجدب بحلولة . ولعل الغياب الحياتي عن المكان هو الذى يدفع الشاعر الى البكاء، فالدمع من شأنه ((أن يطفئ الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة))(4) فالذات العاشقة تجد متنفسا لها في البكاء .

يقول كثيـــر عـــزة

وقالوا نأتْ فأختَرْ من الصَّبْـرِ والبُكـــا ... فقلتُ البُكاءُ أشفى إذًا الغَليلي (5)

فالبكاء هو شفاء الشاعر من أحزانه وآلامه . ولذلك كثر البكاء والنحيب في الغزل

---

1 ـ مجنـــون ليلـــى ديوانه ص : 101

2 ـ كثيـــر عـــزة ديوانه ص : 382

3 ـ ـ حقل : مكان دون أيلة .

3 ـ النجاء : المطر الشديـــد .

4 ـ الآمدى الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى تح/ محمد محيى الدين عبدالحميد دار المسيرة بيروت ص : 187

5 ـ المصدر نفسة ص : 114

العذرى وهو يتميز بذلك عن غيره، فالبكاء في الغزل العذرى ظاهرة ملفتة للنظر.

يقول مجنون ليلى:

أقولُ لأصحابي وقد طَالَبُوا الصِّلَى ... تَعالَوا اصْطَلُوا إنْ خِفْتُمُ القُرَّ من صَدْرِي

فَإنَّ لَهيبَ النَّارِ بيْنَ جَوانِحِي ... إذا ذُكِرَتْ ليلى أَحرُّ من الجَمْرِ

فَقالُوا نريدُ الماءَ نَسقي ونَسْتَقِي ... فقُلْتُ تَعالَوا فاسْتَقُوا الماءَ مِنْ نَهْرِي

فَقالُوا وأَيْنَ النَّهْرُ قُلْتُ مَدامِعِي ... سَيُغْنِيكُمُ دَمْعُ الجُفونِ عن الحَفْرِ (1)

فالتوتر الداخلي الذى تعيشه الذات العذرية لايذهبه الا البكاء وليس له دواء الا البكاء. وقد سئلت في القديم " عفيرة " العابدة ((ألا تسأمين من طول البكاء؟ فبكت ثم قالت : كيف ييأم ذو داء من شئ يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء!))(2) والعذرى هو كذلك يرى دواءه من معاناته في البكاء ولذلك كثر بكاؤه .

ولكن ظاهرة البكاء على أطلال المحبوبة في الشعر العربي موجودة منذ القديم، فالشاعر الجاهلي كان يبكي هو كذلك عندما يقف على اطلال محبوبته :

يقول امرؤ القيس:

قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل (3)

يبكي الشاعر منذ القديم لأنه أدرك بأن فرحته قد انتهت بانتهاء ايام مجاورة المحبوبة وزوال الحياة من المكان . وأن ماكان قريبا قد اصبح بعيدا، وماكان حاضرا قد أصبح غائبا، وماكان خصبا قد أصبح جدبا. ومن ثم فالبكاء قد ((تولد من التناقض بين مايطلبه الشاعر ويتوق اليه، ومايجبر عليه ويقع فيه، هو يطلب بقاء الاشياء والعواطف، فيما يراها نازحة زائلة، منقضية بالرغم منه. انها حسرة الانسان الذى يتمنى ان يقيم في نعيمه فاذا الزمان يمر عليه ويخلّفه خرابا))(4). فالتحول الذى حدث في المكان أشعر الشاعر بالغربة والوحشة والخطر وان الحياة لاتدوم على حال .

---

1 - مجنون ليلى ديوانه ص : 118

2 - ابن قتيبة عيون الأخبار م: 2 دار الكتابة العربي بيروت ص : 296

3 - ابوزيد القرشي جمهرة اشعار العرب ص : 19

4- إلياحاوي امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة دار الثقافة ط 2/ 81بيروت ص : 76

ولذلك فبكاء الذات الشاعرة عند وقوفها امام الطلل يعد((مظهرا من مظاهر (رثاء النفس) وهي تعاني أزمة خاصة بها فرضتها عليها طبيعة البداوة وعدم الاستقرار))(1).

ولكن الشاعر العذرى لايواجه رحيل المحبوبة فقط،بل يواجه رحيلها والحرمان منها لذلك كان بكاؤه اكثر من غيره بل تميز بكثرة البكاء والنواح الى درجة ان اصبح شعره شعر البكاء .

يقول جميل بثينة :

إنَّ المنازلَ هيَّجتْ أطرابي ... واستعْجَمَتْ آياتُها بجوابي

قفرًا تلوح بذى اللجَينِ كأنَّها ... وأنا ءُ رسمٍ أوسطورُ كتابِ

لمَّا وقفتُ بها القَلوصَ تبادرتْ ... مني الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ

وذكرتُ عصرًا يابُثينةُ شَاقني ... وذكرتُ أيَّامي وشَرخ شَبابي (2)

فجميل بثينة في هذه الابيات يبين كيف أن قوى العدم والفناء قد زحفت على المكان وحاصرته بالجدب ، فقلت فيه الحياة . وبذلك كشف عن الصراع المرير الدائر في الوجود بين الحياة والموت بين البقاء والفناء. فها هي منازل المحبوبة قد اصبحت قفرا بعدما كانت عامرة أيام خصب المكان ونعيم الحياة . مما أثار حزن الشاعر وحرك كوامن نفسية فلم يجد مايقاوم به زحف الفناء على المكان الماثل أمامه إلا بالاحتفاظ باسم المكان " ذو اللجين " وكأن المكان مايزال حيا مادام إسمه حيا يذكر ولكن ذكر اسم المكان لم يكن كافيا ليخفف من حزن الشاعر وآلامه .

فما كان عليه إلا أن ينفلت من الواقع المر الماثل أمامه على وجه المكان والهروب الى الماضي الحي الغائب تحت جدب المكان ليعيش لذة تلك الحياة الالفة. فهو يهرب ((من حاضر زمنه إلى أوقات من ماضيه تبرق ، بين الحين والحين في ظلمة النفس وتلمع في دجى الخاطر فتكون: إشعاع قنديل باهت راعش لكنه يضئ فيفسح في المجال أمام النفس والنظر أن يصيبا بعض دربهما إلى اليقين ، فيتمكن الانسان عند ئذ من مقاومة مايعترضه ومتابعة طريقه، كما تكون أزقة خلاص داخلية

---

1 - د. عتاد غزوان اسماعيل المرثاة الغزلية في الشعر العربي مطبعة الزهراء بغداد ص : 08

2 - جميل بثينة ديوانه ص : 17

يلهو فيها الإنسان يسيرا في غفلة من قدرة زمنة))(1). فاستحضار الحياة الأمنة من طرف الشاعر هو استحضار لأيام الطفولة والشباب والحب (وذكرت أيامي وشرخ شبابي) فالشاعر العذرى لاينفصل عن أيام طفولته ولاينقطع عن المكان الاصل الذى عاش فيه تلك الطفولة وأن انقطاعه عن المكان الأصل لايعني موت العلاقة أو انفراط خيط التواصل، بل نجد الأمكنة المتفرعة عنه، تعمل على بعث التواصل المكاني الذى يؤدى فوما إلى المكان الأصل ولذا فهي تشبه فاعليه التفريع الذى يعود تكوينه إلى الجذر .

كما أن فكرة المضي في الغزل العذرى لاتتسم بالإنقطاع النهائي كما هو معهود في الشعر الجاهلي أوغيره (البكاء على الاطلال) حيث أن فكرة الزمن أرقت الشاعر الجاهلي نظرا لكونها تكتسب مدلولا مغلقا لاينفتح نحو أفق مفتوح يستطيع من خلاله أن يجدّ تصوُّرهُ القلق عن فكرة المضي في حين يحدث العكس للشاعر العذري إذ أن فكرة المضي الزمني ليست نهائية بل هي مفتوحة لكونها مؤسسة على تصور إعتقادى يعود إلى ماأصّلته الروح الدينية في تكوينه التصورى والشعورى، فالمضي لايعني الموت النهائي ولكنه موت يعقبه بعث واستمرار في عالم آخر .

---

1 - د - عصام كمال السيوفي الإنفعالية والابلاغية في البيان العربي دار الحداثة بيروت ط1/86 ص45/ 46

المكـــــان المقـــدس :

نعني بالمكان المقدس تلك الفضاءات الدينية المتواجدة بمكة والتي يتم فيها حج المسلمين . ويشمل ذلك المكان (الكعبة - الصفا والمروة - منى - عرفات). وقداسة تلك الاماكن عند العرب قديمة قدم تلك الاماكن، فمنذ عهد ابراهيم عليه السلام والعرب تقدس الكعبة (1). ومع مرور الايام أصبحت كل أصنام العرب موجودة بجوارها (2). ويرجع الفضل في ذلك للقرشيين الذين نجحوا بفضل نشاطهم ((في اجتذاب القبائل الاخرى نحو بيتهم في مكة حتى اصبحت الكعبة قبلة العرب جميعا في موسم الحج))(3). وبذلك اصبحت مكان استقطاب للعرب لايضاهيها مكان آخر في جزيرة العرب ، فهي مكان للعبادة وللتجارة وبقيت على تلك الحالة قرونا من الزمان .

فلما جاء الإسلام بتعاليمه السماوية طهّر مكة من الاوثان. لأن الاسلام ((هو الدين الوحيد الذى طهر المعتقد الانساني من أي تجسيد لله سواء كان هذا التجسيد مجردا أم مصورا ، وحدد وحدانية الله تحديدا قاطعا لاتداخله ذرة شك))(4). وبذلك طهر حياة العرب من الوثينة وأنار سبيلهم الى طريق التوحيد، كما شرّف الكعبة (5) بمكة ورفع من شأنها حتي أصبحت مركز القوى الكونية ، وقبلة المسلمين في صلاتهم أينما كانوا (6) ، كما أصبحت مكة هي المكان الدنيوى الذى ينجذب نحوه كل مسلم إستجابة لذلك النداء الذى يربطه بينبوع القوى الروحية في ذلك المكان .واذا كنا قد عرفنا قداسة تلك الأماكن - مكة وماجاورها - عند العرب قبل الإسلام وعند ماجاء الإسلام . فماهي مكانتها في الخطاب الشعرى العذرى ؟ وكيف يتعامل معها الشاعر العذري بصفته كشاعر مسلم ؟

---

1 - ينظر د. مصطفى عبد اللطيف جياووك الحياة والموت في الشعر الجاهلي وزارة الثقافة والاعلام بغداد 77 ص : 19

2 - ينظر شوقي عبد الحكيم موسوعة الفلكلور والاساطير العربية دار العودة ط1 /82 بيروت ص : 602

3 - د. سعد زغلول في تاريخ العرب قبل الاسلام دار النهضة بيروت 1976 ص : 357

4 - د نصرت عبد الرحمن الصورة الفنية في الشعر الجاهلي مكتبة الاقصى عمان 1976 ص 122

5 - ينظر د. جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين ط3/ 30 ص : 429

- ينظر كذلك الازرقي أخبار مكة ج: 1 تح/ رشدى الصالح ملحسن دار الاندلس بيروت ص: 34

6 - ينظر القرآن الكريم سورة البقرة الاية: 144
قوله تعالى ((وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)).

إذا كان القرن الهجري الاول هو عصر العذريين. وهو العصر الذي نشط فيه الغـــزل في (الحجاز) و(نجد) حتى أصبح ظاهرة بارزة، كان لها تأثيرها في المجتمـــع الحجازي أنذاك(1).فقد روى الرواة بأن مواسم الحج في تلك الأيام كانت بالنسبـــة لشعراء الغزل الحجازي يبين مواسم للحب والعشق والمغامرات العشقية (2). وقد إشتهر عمر بن ابي ربيعة زعيم الغزل الحسي في تلك المواسم في ذلك العصـــر .

حيـــث يقول :

أيها الرائح المجـدُّ ابتكـــارا ... قد منى من تِهامـــة الأوطـــــارا

من يكن قلبـــه صحيحًا سليمـــًا ... ففؤادي بالخَيف أَمْسَى مُعـــــارا

ليت ذا الدهر كانَ حَتْمًا علينـــا ... كُلَّ يومينِ حَجَّةً واعْتِمـــــارا (3)

ففهي هذه الأبيات يتضح مدى تعلق الشاعر بمكان علاقته " الخيف " بمعنى حيث شهـــد فيه من مظاهر القرب العاطفي التي لم يألفها من قبل ، ولعل التعلق هو الجافـز الذي جعله يتمنى دوام موسم الحج والعمرة (كل يومين حجة واعتمارا) وذلك يعـرب عن المكانة التي أصبح يحتلها موسم الحج في نفسه ((فقد كانت أكثر مغامرات عمر تقع في موسم الحج حيث يعتمر مبكرا ثم يتربص لكرائم النساء من الحجيـــج الوافدات من العراق او الشام أومن أهل الحجاز))(4) وبذلك أصبح المكان المقدس في نظر عمر بن ابي ربيعة مكانا للحب واللقاء أكثر منه مكانا للتعبد والصفـــاء الروحي وتوثيق الروابط بالله في تلك المواسم الخاصة . وعمر بن ابي ربيعـــة في هذا الميدان لم يكن وحيدا بل هناك شعراء آخـرون منهم العرجي الذي كان لايرى في موسم الحج إلا لقاء بالحسان من النساء وميدانا للمغامرات العشقية .

حيث يقول :

عوُجـي علينا ربّة الهـــودج ... إنَّـكِ إن لاتفعلـي تحرجـــــي

إنّي أُتيحتْ لي يمانيَّـــــةٌ ... إحـدى بني الحارثِ من مدحـــــجِ

---

1 ـ ينظر د. شوقي ضيف الشعر والغناء في المدينة ومكة دار المعارف بمصر ط:3 ص 227 وما بعدها

2 ـ ينظر د. رجيس بلاشير تاريخ الادب العربي ج: 2 ترا ابراهيم الكيلاني الدار التونسية للنشر تونس: 86 ص : 800

3 ـ ابو الفرج الاصفهاني كتاب الاغاني ج: 1 دار الثقافة ط 4/78 بيروت ص : 166

4 ـ د. مصطفى الشكعة رحلة الشعر عالم الكتب ط: 3/1979 بيروت ص : 129

ـ ينظر كذلك . محمد عبد المنعم خفاجي الحياة الأدبية في عصر بني أمية دار الكتاب اللبناني ط 2 / 81 بيروت ص: 115

نلبَثُ حولاً كاملاً كلَّه ما نلتقي إلا على منهجِ

في الحج إن حجَّت وماذا منيَّ وأهله إن هي لم تحجُجِ

أيسرُ ما نالَ مُحبٌّ لدى بين حبيبٍ قولُه عرِّجِ

نقضي اليكم حاجةً اونقُل هل لي مَّابي من مخرَجِ (1)

العرجي هو مثله مثل عمر بن ابي ربيعة لايهمه من موسم الحج والعمرة إلا لقاء المحبوبة . وأن ذلك المكان - رغم أنه مكان مقدس - يفقد مكانته وأهميَّته لدى الشاعر إن لم يكن ميدانا للقاء والحب (وماذا منيَّ وأهله إن هي لم تحجج) فارتباط الشاعر بالمكان لم يكن لقداسة المكان وإنما حسب مايوفر للشاعر من فرص للقاء والمتعة .

وإذا كان هذا هو حال شعراء الغزل الحسي مع المكان المقدس ، فما هو موقف الشاعر العذرى المسكون بالعشق من ذلك المكان ، وكيف يتعامل معه ؟ .

إذا كان ارتباط الإنسان المسلم بالمكان المقدس هو ارتباط روحي تعبدي قصد التقرب من الله وتطهير النفس من الدنس وتحريرها من القيود الدنيوية التي تشدّها إلى المعاصي .

فإن ارتباط الشاعر العذرى بالمكان المقدس هو ارتباط عشقي ، لما يوفره ذلك المكان من فرص للقاء وحرية للتحرك أيام موسم الحج والعمرة . ولذلك ينجذب الشاعر العذرى نحو ذلك المكان المقدس انجذابا عاطفيا مبطنا بانجذاب روحي.

فالأماكن المقدسة تطرح بالنسبة للشاعر العذرى خلاصة الصفاء النفسي والاخلاص الداخلي للذات المرغوب في التقرب إليها . وبهذا يتميز الغزل العذرى عن غيره من الغزل فهو لا يفرق في بعض الاحيان بين العلاقة الكونية (بالله) والعلاقة الإنسانية (بالمرأة المحبوبة) من حيث الإخلاص والتوحد .

يقول مجنون ليلى :

ذكر تُكِ والحبيجُ لهم ضجيجٌ بمكَّةَ والقلوبُ لها وَجيبُ

فقلتُ ونحن في بلدٍ حرامٍ به واللَّه أُخلِصَتِ القلوبُ

1- ابو الفرج الاصفهاني كتاب الاغاني ج: 1 دار الثقافة ط4/78 بيروت ص : 383

أتوبُ إليكَ يا رحمٰنُ مما عملتُ فقد تظاهرت الذُنوبُ
فأمّا هوَى لَيْلى وتركي زيارتَها فإني لا أتوبُ
وكيفَ - وعندها قلبي رهينٌ - أتوبُ إليك منها أوْ أنيبُ (1)

تبين هذه الابيان بأن الاماكن المقدسة تؤسس لدى الشاعر العذرى مساردورة الحياة في صيرورتها الزمانية ، حيث يتم بالنسبة له منذ بداية موسمها وتوافد الناس عليها تشكيل البدايات الاولى للتأسيس في احداث العلاقة والارتباط، وكأن مايجرى في هذه الاماكن المقدسة من (سعي وتبتل ودعاء وشكوة وتلبية واستجداء والتصاق وبكاء وتقبيل) هي بالنسبة له اجمال لتلك الفضاءات الوجدانية التي تؤدى الى تذكر تلك المواجع النفسية التي يعانيها تجاه ذات المحبوبة . وعليه نجتهد ان العلاقة الجماعية بالله في الاماكن المقدسة هي ترجمة للعلاقة الفردية بذا ت المحبوبة :

يقول مجنون ليلى أيضا :

ذكرتكِ حيثُ استأمن الوحشُ والتقت رفاقهما الآفاقِ شتّى شُعُوبُها
وعند الحطيمِ قد ذكرتُك ذكرة أرَى نفسي سوف يأتيكِ حُوبُها
دعا المُحرِمون اللّه يستغفرونَه بمكّةَ شُعْثاً كي تُمَحّى ذنوبُها
وناديتُ يا رحمٰنُ أوّلُ سؤْلتي لنفسيَ ليلى ثُمّ أنتَ حَسيبُها
وَإنْ أُعْطَ ليلى في حياتيَ لم يَتُبْ إلى اللّه عبدٌ تَوْبَةً لأتوبُها (2)

إن الذات العذرية أثناء تواجدها بالأماكن المقدسة تتجاوز التعلق بالجليل (الله) إلى التعلق بالجميل (المرأة المحبوبة) لأن الذات العاشقة عندما تتوحد بالمحبوبة تترك الإهتمام الغيرى مهما كان فهي في تلك اللحظة لاتهتم إلا بالمحبوبة، لأنها تعيش الإهتمام العيني الحقيقي بدل الإهتمام الغيرى .

يقول كثير عزة

---

1 - مجنون ليلى ديوانه ص : 53

2 - المصدر نفسة ص : 56/55

ولإنّي لمُنقادٌ لها اليومَ بالرّضَى ... ومعتذِرٌ من سُخْطِها مُتنصِّلُ (1)

أهيمُ بأكنا في المُجمَّرِ من مِنَى ... إلى أُمِّ عمرٍو: إنّني لمُوكَّلُ

إذا ذكرتها النّفْسُ ظلت كأنّما ... عليها من الوَرْدِ التهاميّ أَفْكَلُ (2)

وفاضتْ دمُوعُ العينِ حتّى كأنّها ... بوادي القرى من يابس الثّغرِ تُكْحَلُ (3)

إذا قُلتُ أسْلُوغَارَتِ العينُ بالبُكا ... غِراداً ومدّتْها مدامعُ حُفَّلُ (4)

إذا ما أرادتْ خُلّةٌ أن تُزيلَنا ... أبَيْنَا وقُلْنا الحاجِبيّةُ أوّلُ

إن كثير عزة في هذه الأبيات يبين مدى تعلقه بمحبوبته، وما انقياده وهيامه بمحبوبته الا تعبيراً عن ذلك. لان الذات العذرية عندما تهتم اهتماما عينيا حقيقيا فانها تتوحد في ذات المحبوبة، ويزول اهتمامها الغيري مهما كان، لأنها عندما تفنى في المحبوبه لاتحيا في غيره، فهي تبقى فيها وتزول من غيرها. وذلك راجع لما للمحبوبة من تأثير قوي على الشاعر، بحيث أصبح مقيدا بهواها:

يقول مجنون ليلى:

فحبُّك أنساني الشراب وبَرْدَهُ ... وحُبُّك أبْكاني بكلِّ مكانِ

وحبك أنساني الصلاة فلم أقُمْ ... لربّي بتسبيحٍ ولا بقُرآنِ (5)

ويقول كثير عزة:

وحُبّكِ يُنسيني من الشيءِ في يدي ... ويُذهِلُني عن كلِّ شيءٍ أُزاوِلُهْ (6)

ويقول جميل بثينة:

أُصلّي فأبكي في الصلاة لذِكرِها ... ليَ الويلُ مما يكتُبُ المَلَكانِ (7)

---

1 - كثير عزة ديوانه ص: 254/255

2 - الورد: الحمى - الافكل: الرعدة والارتعاش

3 - الثغر: ضرب من النبت فيه حرارة يلذع العين إذا أصابها.

4 - حفل الدمع: كثر.

5 - مجنون ليلى ديوانه ص: 214

6 - المصدر نفسه ص: 419 ×

7 - جميل بثينة ديوانه ص: 109

فهذا الخضوع القوى للمحبوبة ، هو الذى جعل الشاعر العذرى ينسى واجبه الديني في تلك الاماكن المقدسة .وأن مايقوم به هناك هو مجرد حركة جسدية خالية من التعلق القلبي بالمعبود الحقيقي الذى اخلصت له قلوب المؤ منين طالبة العفو والمغفرة .

إنّ الذات العذرية التي أنساها حب المحبوبة شرب الماء البارد في شدة الحر وأنساها الصلاة إلى ربّها وأذهلها عن كل شيئ تقوم به، لايمكنها أن تؤ دي واجبها الديني ، وأن تعطي لتلك الأماكن المقدسة حقها من التقديس والتعظيم ولذلك تحولت الأماكن المقدسة عند الشاعر العذرى من أماكن للعبادة وتعظيم الجليل إلى أماكن للحب والتعلق بالمحبوبة .

يقول مجنون ليلى :

فيالَيْتَ لَيْلَى وافَقَتْ كُلَّ حَجَّةٍ ... قضاءً على لَيْلَى وإنّي رفيقُها

فتَجْمَعَنا من نَخْلَتَيْنِ ثَنِيَّةٌ ... يَغَضُّ بأعْظَادِ المَطِيِّ طريقُها

فالقاك عند الرُّكن أوجَانبَ الصَّفَا ... ويَشْغَلَ عنّا أهلَ مكّةَ سُوقُها

فأُنشِدُها أنْ تَجْزِيَ الهُونَ والهَوَى ... وَتَمْنحَ نَفْسا طالَ مَطْلاً حُقُوقُها (1)

تبين هذه الأبيان بأن المكان المقدس عند الشاعر العذرى يفقد قداسته كلما حلت الذات المحبوبة به . وتصبح علاقة التعلق بالمحبوبة هي المسيطرة على الذات الشاعرة .

ومن قول المجنون في الأبيات السابقة يمكننا أن تستخلص صوريتين: الاولى تتمثل في عملية ا لتجاوز من تقديس الله إلى تقديس المرأة المحبوبة. والثانية: تمثل صورة السعي والطواف . فذكر اللّه تحول إلى ذكر المحبوبة . وأن الحركة التي يقتنيها المكان المقدس لذكر الله تحولت إلى حركة تهويميّة لذكر المحبوبة ، ومن ذلك فجملة المساعي الحركية في الأماكن المقدسة ، تطرح عند العذريين تلك المكاره (في تلونها العصيب مدة احداث وجودهم مع المرأة المحبوبة) التي يعانيها الشاعر ويكابدها طيلة علاقته بالمرأة ، وذلك ناجم عن توجده في احداث العلاقة واخلاصه لها .

---

1 - مجنون ليلى ديوانه ص : 165

ولذلك فالسعي هو منجر عن الاخلاص للذات الواحدة ،كما نجد هذا في الفضاءات الحركية داخل الاماكن المقدسة التي تُؤَدى فيها مهمة التعبد اخلاصا لذات الله الواحدة .

يقول جميل بثينة :

وبين الصَّفا والمرْوَتَينِ ذكرتُكم ... بمختلفٍ والنَّاسُ ساع ومُوجِفُ

وعند طَوافي ذكرتُكِ مَرَّةً ... هي الموتُ بل كادت على الموت تضعَفُ(1)

إن السعي بن الصفا والمروة يطرح في جوهره فكرة السعي عن الغائب وهو في نظر الشاعر العذري يأخذ هيكله الخارجي من المصدرية التاريخة (كسعي هاجر أمّ اسماعيل عليه السلام، ذهابا وايابا للبحث عن الماء لتروى ظمأ ولدها) فهذا المعطى التاريخي ومايتخلله من تفصيلات، في وجدان الشاعر العذري ، يتحول إلى تفصيلات رمزية يستقطها على ذاته فتتناسخ العلاقة مابين حدة الظمأ والبحث عن الماء، وبين حدة الظمأ الوجداني والبحث عن المرأة المحبوبة .

يقول جميل بثينة :

هل الحائِمُ العطشانُ مُسقَىً بشُرَيةٍ ... من المُزْنِ تُروي مابه، فتريحُ؟

فقالت: فنَخشى إن سقيناكَ شربةً ... تُخبّرُ أعدائي بها فتبوحُ

إذَنْ فأباحتني المنايا وقادني ... إلى أجلي عضْبُ السلاح سفُوحُ(2)

إن السعي بن الصفا والمروة لايطرح عند الشاعر العذري البعد التعبدي والفضاء التنسكي بقدر مايجلي في ذاته علاقة البحث الدائم أوالدائري . وبالتالي فالعلاقة بين الصفا والمروة قد تكون في إعتقادنا هي كالعلاقة مابين ميلاد العلاقة إلى موت العلاقة، وهنا يصبح السعي لانهائيا يتواصل مداه إلى ماوراء الموت .

---

1 - جميل بثينة ديوانه ص : 64

2 - المصدر نفسة ص : 25/24

. - عضب السلاح: قاطعة وهو السيف .

إدراك ← سعي تعبدي ← الاخلاص للذات الواحدة (الله)

↑ الشاعر ↓

تذكر ← سعي وجداني ← // // // // (المحبوبة)

فسعي العذرى هو سعي للجوارح فقط دون القلب ، لان قلبه دائم التعلق بالمحبوبة. ولذلك فالسعي عنده يفقد معناه الديني المنصوص عليه في العقيدة الاسلامية. فقد جاء في القرآن الكريم ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ))(1). ومن هنا يتبين لنا الانفصام بين السعي الحركي والسعي الروحي ، وعليه فالفضاءات الحركية تبعث فيه ايقاع الحياة الذي كابدها من أجل الوصول إلى المحبوبة وتلخص له العلاقة الثنائية بين الذات المحبة والذات المحبوبة .

ومن ذلك فطلب المكان المقدس من طرف الشاعر العذري ليس هو للعبادة وطلب المغفرة والاخلاص لله الواحد القهار، وإنّما هو لطلب ذات المحبوبة والظفر باللقاء في غفلة الغير وسلطة الوشاة والرقباء. وعليه يصبح المكان المقدس مكانا لتجديد العلاقة والعهد في كل موسم حج.

يقول مجنون ليلى:

عسى إن حججنا أن نرى أمّ مالك ويجمعنا بالنخلتين مضيقُ (2)

إن الشاعر العذري لايأتي الاماكن المقدسة قصد العبادة والتنسك ، وإنّما قصد الظفر بلقاء المحبوبة. وهو بعمله هذا يلتقى مع بعض رجال التصوف الذين اسقطوا عن أنفسهم التكاليف الظاهرية من الدين لأنهم يرون بأنها ليست ((واجبة على الصوفي الذى يعطي نفسه وحياته لله))(3). فهو غير مطالب بتلك التكاليف لانه

---

1 - سورة البقرة الاية: 158

2 - مجنون ليلى ديوانه: ص: 163

3 - علي زيعور العقلية الصوفية ونفسانية التصوف دار الطليعة ط 1/ 79 بيروت ص: 275

مرتبط بذات الله مباشرة .

ولذلك ((اعتبروا الحج سفرا روحيا للمثول في حضرة الله))(1) . فالصوفي المسكون بحب الله إلى درجة السكر، يرى بأن حضوره بتلك الاماكن المقدسة هو للقاء المحبوب الاعظم (الله) وليس للقيام بتلك الطقوس المفروضة على سائر المؤمنين. وقد مثلت هذه الفكرة أحسن تمثيل " رابعة العدوية، فقد كانت ((لاتنشد من الحج سوى وجه الله))(2). وأنّ حضورها بمكة هو حضور عشقي وليس حضورا تعبديا . ومن هنا يلتقي العذرى بالصوفي فكلاهما جاء للأماكن المقدسة لطلب المحبوب لا لاداء الواجب الديني . فالعذرى مرتبط بذلك المكان لانه يوفر له فرص اللقاء بالمحبوبة في كل موسم حج ، والصوفي مرتبط به للمثول في حضرة الله . ويمكننا أن نبين ذلك بواسطة الشكل التالي:

العذرى ← المكان المقدس ← سفر عشقي ← قصدلقاء الحبوبة

الصوفي ← المكان المقدس ← سفر روحي ← قصد المثولفيحضرةالله

إن تعلق الشاعر العذرى بمحبوته الى درجة التقديس والعبودية (فهي حياته وروحه ووجوده وكيانه) أدى به الى تقديس مكان تواجدها . وهذه خاصية مكانية يتميز بها الشاعر العذرى عن غيره من الشعراء . ويرجع ذلك في نظرنا إلى تلك الفضاءات الروحية في الذات العذرية التي صيرت علاقتها العاطفية بالمرأة المحبوبة إلى علاقة كونية ، بحيث أصبحت لاتفرق بين العلاقة بالله والعلاقة بالمحبوبة

يقول مجنون ليلى:

إذا الحُجَّاجُ لم يَقفوا بِلَيلى ... فلستُ أَرى لحجّهمُ تَمامَا

تمامُ الحجِّ أن تقِف المطايا ... على ليلى وتُقْرِيهَا السَّلاَمَا (3)

1- عاطف جودة نصر شعر عمر بن الفاض دار الاندلس ط 1/ 82 بيروت ص : 196

2- د. عبد الرحمن بدوى شهيدة العشق الإلهي وكالة المطبوعات ط 4/ 78 الكويت ص: 43

3- مجنون ليلى ديوانه ص : 200

إن إعتقاد العذرى بطهارة محبوبته ، وأنها إمرأة ليست كباقي النساء ، دفعة الى الإعتقاد بطهارة مكانها وقداسته فالمقدس لايحل إلا بمكان مقدس .

ولذلك فالحج في نظرة المجنون لايكون تماما إلا إذا وقف الحجاج بمكان ليلي وسلموا عليها ، وكأنّ مكانها هو من مناسك الحج ، والحج لايتم الا بإتمام المناسك

يقول كثير عزة :

خليليَّ هذا ربعُ عزَّة فاعقلا ... قلوصَيكما ثمَّ ابكيا حيثُ حلَّتِ

وَمُسَّا تُرابًا كان قَدْمَنْ جِلدها ... وبيتا وظلًّا حيثُ باتتْ وظلَّتِ

ولاتيأسا أن يمحوَ عنكما ... ذُنوبًا إذا صَلَّيْتما حيثُ صَلَّتِ (1)

إن هذه النظرة لمكان المحبوبة من مكان عادى - تحكمه اشكال هندسية وجغرافية الى مكان مقدس . كانت نتيجة ذلك التصور الروحي للعلاقة ، فقداسة المكان هو من قداسة المحبوبة . وبهذا التصور لمكان المحبوبة يكون الشاعر العذرى قد اعطى للمكان المقدس ابعاده التي تشكله وتميزه عن غيره ، مثلما أعطى من قبل الصورة الجمالية لمحبوبته . تلك المحبوبة التي أصبحت قبلته التي يتجذب نحوها ولاقبله له سواها .

يقول مجنون ليلى:

أَرَانِي إذا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَها ... بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ المُصَلَّى وَرائِيَا (2)

فبهذه النظرة للمحبوبة يكون الشاعر العذرى قد بين علاقته بالمكان المقدس الحقيقي (مكة) ، والتي لم تكن متولدة عن إيمان وإرتباط روحي تعبدي ، وإنّما لكونه مكانا يوفر للذات العاشقة حرية اللقاء بالمحبوبة .

يقول كثير عزة

تَفرَّقَ أُلافُ الحجيجِ على مِنًى ... وشَتَّتَهُمُ شَطُّ النَّوَى مَشْيَ أَرْبَعِ (1)

فلَمْ أَرَ دارًا مثلها دارَ غِيْطَةٍ ... ومَلْقًى إذا التفَّ الحجيجُ بمجْمَعِ

---

1 - كثير عزة ديوانه ص : 95

2 - مجنون ليلى ديوانه ص : 228

أَقلَّ مُقيمًا راضيًا بمكانِهِ ... وأكثرَ جارًا ظاعنًا لم يُوَدِّعِ .
فأصبح لاتلْقى خِبَاءً عَهِدْتَهُ ... بمَضْرِبِهِ أَوْتادُهُ لم تُنَزَّعِ
فشاقُوكَ لمَّا وجَّهوا كلَّ وجهةٍ ... يسراعًا وخلَّوا عنْ منازِلَ بَلْقَعِ
فريقان: مِنْهُمْ سالكٌ بَطْنَ نخلَةٍ ... وآخَرُ مِنهُمْ جازِعٌ ظَهْرَ تَضْرُعِ(1)

إن الحياة في عرف الشعراء العذريين لاتدوم على حال، واللقاء لابد أن ينتهي بفراق، وتلك هي حقيقة الوجود في نظرهم، نحو مانجده هنا في موسم الحج الذى يجلي فكرة المضي والتحول الزمني، بحيث يحدث عنه الأثر الكبير في نفسية الشاعر العذرى فيهز ذلك المنظر مشاعره ويجعله يقف على حقيقة الوجود الدائمة التغير من حال إلى حال .

فالزمان الذى كان يجمع الشاعر بمحبوبته ها هو قد أوشك على نهايته، وأن لحظة الفراق قد حلت، والمكان الذى كان (دار غبطة) قد أصبح خاليا من ساكنه بعدما تفرقوا (فريقان: منهم سالك بطن نخلة وآخر جازع ظهر تضرع). وبذلك يعطي الشاعر للمكان صورة جديدة متحركة ((يستمد في تشكيله لها عناصره من عينات، ماثلة في المكان وكأنه يصنع بذلك نسقا خاصا للمكان لم يكن له من قبل))(2). فتشكل صورة المكان المقدس في نهاية موسم الحج، أصبحت تختلف عن الصورة التي كان عليها أثناء بداية الموسم، فمن صورة للقاء والتجمع والإبتهالات والسعي والطواف إلى صورة للتفرق والتشتت .

ولكن هذا المضي ليس نهائيا بل هناك لقاء في المستقبل، تتجدد فيه العلاقة كلما حل موسم الحج. فالشاعر العذرى وبفضل ماأصلته الروح الدينية فيه فهو يرى أن فكرة المضي لاتعني نهاية العلاقة بل هناك إستمرار لها في العالم الآخر .

1- كثير عزة ديوانه ص : 411/410
- مثي أربع: مسافة مايمشي المرء أربع ليال.
- بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة - تضرع: جبل لكنانة قرب مكة .
2- د. عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للأدب دار العودة ط 4/81بيروت ص:66

مكـــان بعـــث العـــلا قـــة :

هو ذلك المكان الاعتقادي الغيبي الذي يؤسسه النص القرآني، بناء علـــى ما ورد فيه من فناءات مكانية غيبية تدخل في مجملها ضمن ذهنية الشاعر العذري ، ومعارفه تجاه مكونات المكان الباقي ماوراء الحياة، فيبعث من جديد ليصبح مثيرا مديا . وبالتالي فالمكان هو مؤسس داخليا يتصوره بالضرورة من منطلق إيماني فيبعث فيه التصور المباشر لمضامينه وموجوداته ومكوناته التي تتعارض في أسّها البنائي مع تلك التي يعايشها في الحياة . ولذلك فهي أمله الذي يتشبث به أكثر ويرى فيه تلك البؤرة التي لاتتفتت ولاتفنى ولاتزول .

فهو المكان الذي لاتعرف فيه الذات الموت أوالفراق أو الالم أو الشوق وسائـــر المعاناة الوجدانية ، وفيه يصبح اللقاء الأوحد بين الذات المحبة والذات المحبوبة.

يقول جميـــل بثينـــة :

على أَنَّ من قدماتَ صَـادفَ راحـةً ... ومالِفؤَادي مـــن رَواحٍ ولارُشْـــــدِ(1)

إن رغبة الشاعر العذري في الموت ترجع لاعتقاده بأنه لايجد راحته إلا في العالـــم الآخـــر، لأن حياته الدنيوية أصبحت لاتطاق لما يتعرض له من قهر وحرمان ومضايقـــة من طرف الوشاة والرقباء .

يقول مجنون ليلـــى:

أليس من البَلْوَى الَّتي لا شَـوى لهـا ... بأَنْ زُوِّجَتْ كلبًا وما بُذِلَـــتْ لِيَـــا (2)

إنَّه لظلم مابعده ظلم أن يحرم الشاعر من محبوبته وتزوج إلى غيره، وهو أحق بهـا من غيره بل من كل الناس، فهذه المظالم التي يعاني منها الشاعر العذري في حياتـــه ، جعلته يعتقد بأن لاخلاص له منها إلا بالرحيل إلى العالم الآخر حيث يعيش مـــع محبوبته حياة أبدية لاينغصها واش ولا رقيـــب .

إن الحياة القاسية حياة الحرمان والظلم، التي كان يواجهها هي التي جعلتـــه يتطلع إلى عالم الطهر والصفاء، عالم مابعد الموت ((فالروح نور من أصل علـوي

---

1 ـ جميل بثينـــة ديوانه ص : 35

2 ـ مجنون ليلـــي ديوانه ص : 238

ينزع دائما إلى العودة إلى الأصل الذى صدر عنه . حيث الصفاء والطهر ولايعوقه عن ذلك إلا أدرات الجسم وشوائبه))(1). وقد كان للإسلام الأثر الكبير في تصحيح تلك المفاهيم الخاطئة والتي كانت متداولة في عصر ماقبل الإسلام، والتي كانت ترى بأن حياة الانسان مرتبطة بعدد السنيين التي يعيشها في هذا العالم.((وقالوا ماهي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدّهر))(2). فهذا المفهوم الدنيوى المحدود الرؤية، هو الذى ولّد في ذات الإنسان الجاهلي الخوف من المصير والإحساس بالتناقض في الوجود، فأصبح يعايش المفرغ من الحياة .

أما الشاعر الإسلامي فالفضل يرجع للروح الإسلامية التي أبعدت عنه الأوهام، وحررت ذاته من كل مالحقها من عصر الوثنية والجهل. فالإسلام ((قد حل بالنسبة لمن تلقوه كثيرا من هذه المشكلات الوجودية المعلقة))(3) وفتح بصيرة الإنسان على العالم الآخر عالم الحياة الأبدية .((وماالحياة الدنيا إلا متاع الغرور))(4) وبذلك أدرك الانسان المسلم ضآلة الزمان وماتؤول إليه الذات وهي رهن تحوله .

وبتأثير من تلك المفاهيم الدينية وجد الشاعر العذرى الذى يعيش مأساة عاطفية في حياته وصعب عليه تحقيقها، في ذلك العالم الغيبي ضالته المنشودة .

ولكن الانتقال إلى ذلك العالم الغيبي طريقة الموت ف ((الموت باب من أبواب الآخرة))(5) ومن ثم كان طلبه للموت . ولكن إلحاح الشاعر العذرى في طلب الموت يجعلنا نقف على حقيقة هامة في الخطاب الشعرى العذرى، والمتمثلة في أن الذات المحبوبة هي ذات قاتلة .

يقول جميل بثينة :

وَعاذِلِينَ أَلَحّوا في محبّتها ... ياليتهم وَجدوا مثلَ الّذِى أَجِدُ !

لَمّا أطالُوا عتابي فيكِ قلتُ لهم ... لاتُكثِرُوا بعضَ هذا اللّوْمِ واقتصِدوا

---

1 ـ د. الطاهر احمد مكي الشعراء ورحلة العمر القصير الجميل مجلة الدولة عدد 73/82 ص : 122

2 ـ سورة الجاثية الآية : 24.

3 ـ د. عزالدين اسماعيل روح العصر دار الرّائد العربي 1978 بيروت ص : 18

4 ـ سورة آل عمران الآية : 185

5 ـ أبوعبدالرحمن السلمي طبقات الصوفية تح / نور الدين شريبة مكتبة الخانجي ط3 /36 ص : 472

قَدْ ماتَ قبلِي أَخُو نهدٍ وصاحِبُهُ ... مُرقِّشُ واشتفى من عُروةَ الكَمَدُ

وكلُّهم كانَ من عشقٍ منيَّتُهُ ... وقد وجَدتُ بها فوقَ الّذى وَجَدوا

إنّي لاحسَبُ أوقد كدتُ أعلَمُهُ ... أنْ سوفَ تُوردني الحوضَ النّهِذي وَرُدُوا

إن لم تَنلني بمعروفٍ تجودُ بِهِ ... أَوْيدفَعَ اللّهُ عنّي الواحدُ الصَّمَدُ (1)

إن حتمية تلازم الموت والحب هي الكينونة الحقيقية للوجود الإنساني لأن الذات ترتكز على هذا المسعى المتداول ، خاصة حين يحدوها البقاء أو الفناء ذلك ((إن الموت هو الحب ذاته ، ففي الموت ينكشف الحب المطلق))(2). وكلّما زادت الذات حبا ، كلما زاد اقبالها على الموت إلى درجة أن أصبحت المحبوبة هي الموت الذي يلازم الشاعر:

يقول جميل بثينة :

لها في سوادِ القلب بالحبِّ مَنعةٌ ... هي الموتُ أَوْكادت على الموتِ تُشْرِفُ (3)

وهكذا يجسد الخطاب الشعري العذري علاقة الموت بالحب وعلاقة الموت بالمحبوبة ، ويبين بأن الموت هو المخلص من العذاب لأن الحب ((كالداء المستعصي الباعث على أشد أنواع الايلام ، فلا يستطيع صاحبه التخلص منه إلا بالموت))(4) ولكن الذات العذرية المثقلة بإغتمامات الحضور والغياب تبقى دائمة التشبث بالمحبوبة مهما كانت الظروف والأحوال. فالحب إذا تمكن من صاحبه ((أدهش عن ادراك الالم))(5).

يقول مجنون ليلى:

إذَا مَاتمنَّى النَّاسُ رَوْحًا وَراحَةً ... تَمَنَّيْتُ أَنْ أَلْقاكِ يالَيْلَ خالِيا (6)

فحلم الشاعر العذري هو أن يلقى محبوبته في غفلة الغير لينعم باللقاء ، وحتى يتحقق له ذلك يبقى أمله في تحقيق ذلك قائما. فالأمل هو الذي يربط الإنسان بالحياة ويدفعه إلى تحقيق رغباته وذلك ((لأن الأمل اعتراف بأن الافق مفتوح ، وإقرار بأن المستقبل لن يكون إلا كما نريده. وليس معنى هذا أن الأمل بطبيعته قهور واندفاع

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه ص : 36

2 ـ جاك شورون الموت في الفكر الغربي تر/ كامل يوسف حسين عالم المعرفة الكويت: 84 ص : 166

3 ـ المصدر نفسة ص : 63

4 ـ د. عبدالرحمن بدوى الموت والعبقرية دار القلم بيروت ص : 36

5 ـ د. زكي مبارك التصوف الاسلامي ج: 2 منشورات المكتبة العصرية بيروت ص : 191

6 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 238

بل ان معناه ان الامل في صميمه خلق وابداع))(1). ولذلك فتشبث العذرى بالامل يعبر عن نزعه انسانية حميمة، وان رغبته في تحقيق اللقاء قد تجاوزت الحياة الدنيا الى العالم الآخر. لأن امله في الحياة مرتبط بمدى تحقق الظفر بالمحبوبة:

يقول جميل بثينة:

يالَيتني ألقى المنيَّةَ بغتةً ... إن كانَ يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ (2)

فالعذرى يطلب الموت لان أملَه في اللقاء لم يتحقق، والموت سيحقق له ذلك في العالم الاخر ((لان الموت هو المخلص النهائي المفضي من القلق الى الطمأنينة))(3) واذا كنا نلاحظ تلك النزعة القوية للاقبال على الموت لدى الشاعر العذرى، فليس معنى ذلك انها رغبة في الانتحار للتخلص من الثقل الوجداني.

ولكن ذلك تعبير عن تلك النزعة الكامنة في الانسان والتي تظهر عندما يجد نفسه مهددا بمخاطر لايستطيع ردها اومقاومتها فلا يجد سبيلا امامه الا الموت بطريقة او بأخرى ((ففي اعماق النفس منذ سن باكرة حدس خفي بأن الموت مصير الذات))(4).

إن طلب الشاعر العذرى للموت لم يكن من أجل الموت، ولكنه كان يرى فيه جهادا بل هو في نظره الجهاد في سبيل الحب.

يقول جميل بثينة:

يقلون جاهِدْ يا جميلُ بغَزوةٍ ... وأيَّ جِهادٍ غيرهُنَّ أُرِيدُ!

لكُلِّ حَديثٍ بَيْنَهنَّ بشاشَةٌ ... وكُلُّ قَتيلٍ عندهُنَّ شَهِيدُ

وأحسنُ أيّامي وأبهجُ عِيشَتي ... إذَا هِيجَ بي يَوْمًا وَهُنَّ قُعُودُ (5)

فالعذرى يؤمن بأنه من ((قتل في جهاد الحب شهيدا كمن مات في الجهاد في سبيل الله))(6). كما انه يؤمن بأن العالم الاخر هو عالم الجزاء وعالم دوام العلاقة بعيدا عن كل القيود.

---

1 - د. زكريا ابراهيم المشكلة الخلقية دار مصر للطباعة ط 3/ 1980 ص:276

2 - جميل بثينة ديوانه ص: 46

3 - د. عبد الرحمن بدوي الموت والعبقرية ص: 39

4 - عبد المنعم عبد العزيز الملايحي تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق دار المعارف بمصر: 1955 ص: 195

5 - المصدر نفسة ص: 33

6 - د. محمد غنيمي هلال ليلى والمجنون في الادبين العربي والفارسي دار العودة/ 1980 بيروت ص: 26

إن تطلع الشاعر العذرى إلى ذلك العالم لم يكن رغبة في الجنة بل رغبة في إمتلاك المحبوبة بعيدا عن سلطة الغير من وشاة ورقباء .

يقول جميل بثينـــة :

وإنّي لمُشتـــاقٌ إلى ريح جيبَهـــا كما اشتاقَ إدريسٌ إلى جَنّةِ الخُـلْـدِ (1)

فرغبة العذرى في الرحيل الى العالم الاخر هي من اجل الظفر بالمحبوبة. فهناك تتحقق آماله التي لم تتحقق في الوجود الدنيوي . إن الترابط الروحي بين الشاعر العذرى ومحبوبته، هو الذي جعله يرى في ((القبر)) عالما قائما بذاته خلافا لما هو معـــروف في الواقع المعيش .فإذا كان القبر هو رمز للفناء والاندثار ونهاية الوجود الانساني في هذه الحياة ، فإن الخطاب الشعرى العذرى يحوله الى مكان لبعث العلاقة العشقية من جديد بين العاشقين في عالم أبدي لايكدره التغير والتبدل . فالقبر لم يعد كمكان لنهاية الحياة ، بل أصبح مكانا لبعثها .

يقول جميل بثينـــة :

أعوذُ بكَ اللّهُمّ أنْ تَحْطَ النّـــوَى ببثنـــةَ في أدنى حياتي ولاحَشْـــرِي

وجاوِر إذا مِتُّ بينـــي وبينهـــــا فيا حبّذا موتي إذا جاورت قبـــرِي(2)

ويقول مجنون ليلي :

فيا ليتنا نَحْيا جميعا فإن نَمُـــت تُجاوِرُ في الهلكى عظامـــي عظامُهـــا (3)

وهكذا يصبح القبر مكانا لبعث العلاقة من جديد بين العاشقين في عالم أبدي تمـــلأه السعادة والهناء والحب . ومن ثم يكون القبر نقيضا للطلل الذى يوحي بالإندثار وزوال الحياة وإنتهاء العلاقة .

ومن الطبيعي أن تكون هذه هي نظرة الشاعر العذرى الذى كابد من أجل حبه ما كابـــد، وأمله أن تسعده الأيام بمحبوبته .

---

1 ـ جميـــل بثينـــة ديوانـــه ص : 35

2 ـ المصدر نفسة ص : 44

3 ـ مجنون ليلـــى ديوانـــه ص : 194

إن القبر كمكان لبعث العلاقة يجلي بالنسبة للعذريين فكرة الاختلاء النهائي والارتباط الخالص بعد المعاناة ، أوالإنفراد الكلي والتمتع الخالص بالذات المحبوبة دون أن تُنغّص عليه أسباب الكدر السابقة (كالوشاية من خصومة ، والمراقبة من عيانه أثناء الإختلاء بها)↑ وبذلك يتخلص من هموم الحياة :

يقول مجنون ليلي

ويا ليتنا نَحْيا جَمِيعًا وليتنا ... نَصِيرُ إذا مِتْنا ضَجِيعَيْنِ في قَبْرِ

ضَجِيعَيْنِ في قَبرٍ عن النَّاسِ مُعْزَلٍ ... ونُقْرَن يوم البَعْثِ والحَشْرِ والنَّشْرِ (1)

إن دلالة القبر توحي بالانفتاح على الأبدى بالنسبة للعذرى ، فهو كمكان للبعث يؤدى بالنسبة له فضاء اللقاء الخالد الذى لاتشوبه شوائب الهرم والغربة والإنفصال والرحلة وأسباب المراقبة والمطاردة ، وبالتالي فهو تنزه عن كد الحياة الفانية . وعليه يعتقد الشاعر العذرى بأن ذاته ستبعث على نفس الصلة الحرفية التي شهدها سابقا غير منقوصة من حيث الصفاء الثنائي بينهما ، فالمشاعر والاحاسيس وسائر الفضاءات الوجدانية تخلد ماوراء الموت نظرا لكونها ترتبط بالذات المحبوبة نفسها . وبذلك يظهر الترابط بين القبر والمكان الأصل ، لأن الذات العذرية لاتنقطع عن المكان الأصل ، بل يبقى ثابتا في الذاكرة !

يقول مجنون ليلي :

أحبك حتي يبعث الله خلقه ... ولي منك في يوم الحساب حسيبُ (2)

إن تحول البعد المكاني للقبر في الشعر العذرى إلى فضاءات وديّة مملوءة بالحركة والحياة ، أدى بالشاعر العذرى إلى الربط بينه وبين ذلك العالم الأزلي الأول عالم الأرواح الطاهرة قبل أن تسكن الأجساد (3).

يقول جميل بثينة :

تعلّقَ روحي روحَها قبل خَلقِنا ... ومن بعدما كُنّا نِطافًا وفي المهدِ

فزاد كما زدنا فأصبحَ نامِيًا ... وليسَ إذَا متنا بمُنتقِضِ العهدِ

ولكنّهُ باقٍ على كلّ حالةٍ ... وزائِرُنا في ظُلمةِ القبرِ واللّحدِ (4)

1- مجنون ليلى ديوانه ص : 125

2- الديوان السابق ص : 46

3- ينظر القرآن الكريم سورة الاعراف الآية 172

4- جميل بثينة : ديوانه ص : 34

هذا التصور للعلاقة بين العاشقين، يؤكد ماكنا قد أشرنا اليه من قبل بأن الذات العذرية تنظر للوجود من داخلها من اجل اعادة بنائه من جديد، لان الانسان لايمكنه بناء عالم جديد إلاإذا تعمق ذاته فعلى ((روح الإنسان أن تتجه إلى الداخل لتعيد خلق عالم جديد))(1) .

والعذرى عندما تعمق داخل ذاته خلق من القبر عالما كاملا لبعث العلاقة، ومن خلاله تطالع لتلك الحياة الأبدية ((الحياة الأبدية دائمة الهناء))(2). وتلك الرؤية هي من اثر الثقافة الاسلامية .

فالاسلام عندما جاء فتح بصيرة الانسان العربي على حقيقة الوجود، وبين له بأن هناك حياتان الحياة التي يعيشها في دنياه والحياة التي تنتظره في العالم الاخر ((اما الحياة الثانية فقد نقلت التفكير من طبيعة الموت نفسه الى طبيعة الحال فيما بعده))(3). وبذلك جعلت الانسان يتطلع لذلك العالم الأبدي الذى لايلحقه الفناء والزوال .

وهكذا وبفضل تعاليم الاسلام تغيرت نظرة العربي الى القبر فقد جاء في الحديث النبوى الشريف ((القبر إما حفرة من حفر النار اوروضة من رياض الجنة))(4). وهكذا يصبح القبر إما مكانا للنعيم وإما مكانا للعذاب . ولكن شتان مابين حفرة من النار ورياض الجنة . بين عالم يخلد صاحبه في عذاب الجحيم وعالم يخلد صاحبه في النعيم الابدي عالم أعد فيه لصاحبه ((ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر))(5) .
وهذا التصور هو الذى جعل ابو العلاء المعرى يسمي القبر بيت الحق أثناء رده على رسالة ابن القارح (6).

---

1 ـ جاك شورون الموت في الفكر الغربي تر/ كامل يوسف حسين عالم المعرفة الكويت: 1984 ص: 168

2 ـ اندرية انمار وآخرون تاريخ الحضرات العام ج: 1 تر/ فريد. م داغر واخرون منشورات عويدات بيروت 2/81ص: 100

3 ـ د. احسان عباس من الذى سرق النار خطرات في النقد والادب جمع: وداد القاضي المؤسسة العربية للدارسات والنشر 1/80ص: 51

4 ـ الغزالي إحياء علوم الدين مج : 4 دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ص: 495

5 ـ المصدر نفسة ص: 542

6 ـ ينظر ابو العلاء المعرى رسالة الغفران دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 80 ص: 274

فتصور القبر على أنه مكان لبعث العلاقة من طرف الشاعر العذري يعرب عن ذلك الحلم الذي كان يراود العذري طول حياته ، وهو أن يعيش إلى جوار حبيبته في عالم طاهر أبدي بعيدا عن كل المنغصات، كما كان يعيش أيام صباه مع محبوبته. إن الشاعر العذري لم يطلب الموت من موقع الإنهزام بل من موقع طلب الحياة الأبدية وصفائها.

الفصل الرابع

الاحساس المتزامن في النص الشعري العذري

الانسان والزمـــــان:

إن الانسان منذ أن فقد عالم الفردوس (عالم الخلود والجنة) فقد معـــه سرمدية الزمان ، وهبط إلى العالم الدنيوي ليخوض صراعا مريرا مع المكان والزمان الدنيويين. وقد بين القرآن الكريم ذلك ((وقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَوَزَوْجُكَ الجنّة وَكُلاَ مِنْها رَغدا حيْثُ شِئْتُما ولاتَقْرَبا هذه الشجرَة فَتكُونا من الظالمينَ ،فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مماكان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فـــي الارض مستقر ومتاع إلى حين))(1). فهذا التحول من عالم الجنة الخالد(وكلا منهـــا رغدا حيث شئتما) إلى عالم الدنيا الفاني (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين). جعل الوجود الإنساني يصاب بالتصدع وعدم الاستقرار .

فبعد أن كان الإنسان يعيش في نعيم الخلود وجد نفسه منتميا إلى عالم الفنـــــاء والإندثار، فبدأ يحس بمرارة الحياة وأدرك مدى قصر عمره ومحدودية مجال نشاطـــه، وأن أخطر ما يواجهه في وجوده هو الزمان .

فإذا كان المكان يدرك ادراكا حسيا مباشرا فإن الزمان ليس كذلك فهو لا يدرك إلا من خلال أثره في الأشياء، وقد أشار إلى ذلك أبو العلاء المعـرى بقوله:

أما المكان فثابت لاينطـــــوى لكن زمانك ذاهب لايثبـــــــــتُ(2)

وإذا كان الإنسان قد عجز ((عن ادراك الزمن وطبيعته ادراكا مباشرا))(3) فإنـــه قد أدركه من خلال أثره في الأشياء ، ومن خلال تتابع الأحداث وتعاقبها (4). كتعاقب الاحداث الطبيعة . وحركة الأجرام السماوية خصوصا الشمس والقمر ، وكتعاقب الفصول والليل والنهار، ومايترتب على ذلك من تغير في الواقع المكاني والموجودات حيث إن ((مشكلة الزمان شغلت تفكير الإنسان منذ ابتداء وعيه، لما للزمان من تأثير هائل أحس به في نفسه وفي العالم المحيط به))(5) .

إن الإنسان يعتبر من أرقى المخلوقات إحساسا بالزمان وادراكـــا لأثـــــره

---

1 ـ ســـورة البقـــرة الايـــة: 34 / 35

2 ـ أبو العلاء المعرى لزوم مالايلزم ج:1 شرح نديم عدي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق ط 2 / 1988 ص: 251

3 ـ محمد كامل حسين وحدة المعرفة مكتبة النهضة المصرية ط2: ص : 45

4 ـ ينظر طاهر باقر مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين مجلة أفاق عربية 10/ 77 ص : 41

5 ـ د. عبدالرحمن بدوى موسوعة الفلسفة ج:1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 / 1984 ص: 555

في الوجود ((فالزمان يتخلل وجوده كله، حتى كأنما قَدْقُدِّمن زمان))(1) فالإنسان كائن زماني تبدأ رحلته مع الزمان من لحظة تكونه في رحم أمّه إلى لحظة وفاته، ((ومعنى ذلك أننا كائنات متزمنة يحتويها الزمان، ولكن ليس بيننا وبين الزمان تساوق تام، كما هي الحال بالنسبة إلى الكائنات التي تدوم أبدا، أي يحتويها من طرفيه، فلا تبدأ ولاتتلاشى . فكان لنا والحالة هذه حسان : حس الزمن أو الإنتماء إلى الوجود الزماني ، وحس الزمان أي ادراك طبيعة الزمان كإمتداد خارج عنّا))(2) فنحن نحس بالزمان في أنفسنا وندرك أثره خارج ذواتنا من خلال مايحدثه من أثر في الأشياء والموجودات .

فالوجود لايقوم إلا بالزمان ومن خلاله، ولذلك فالزمان ضرورة حتمية لحركة الوجود ونمو الكائنات ونشاطها . واحساس الذات الإنسانية بالزمان وادراكها لفعلة فيها وفي الأشياء المحيطة بها، ولّد لديها خوفا متزايدا منه .

لأن الزمان في نظرها يتسم دائما بالقهر والظلم والغموض ((فالإنسان يستطيع أن يدفع عن نفسه كل شئ إلا الزمان))(3). فالزمان كالنهر لايتوقف ولايسكن كما تتوقف وتسكن حياة الإنسان والكائنات الموجودة في هذا الكون.فالزمان أقوى من كل شئ حتي من الموت.وقد عبر جرير عن ذلك بقوله :

أنا الدّهر يفني الموت والدّهر خالدُ فجئني بمثلِ الدّهر شيئا يطاولُهُ(4)

وعلى الرغم من التطور الذى عرفه الإنسان في حياته، ومابلغه من تحضر ومعرفة، مايزال لم يفهم حقيقة الزمان، وأن الإختلاف بين العلماء مايزال قائما في هذا الشأن، ولم يستقروا بعد على مفهوم واضح يبين حقيقة الزمان ويحدد تعريفا له(5) ولذلك بقيت اشكالية الزمان قائمة إلى اليوم ، وبقي هاجس الزمان يسكن الإنسان، ويمثل مشكلة أساسية في وجوده. وإذا كان الإنسان من أسمى المخلوقات إحساسا بالزمان ، فإن الأديب أكثر من غيره إحساسا به وادراكا لفعله في الأشياء

---

1 ـ د. محمد عبد الرحمن مرحبا الفكر العربي في مخاضة الكبير دار الجيل بيروت ص: 89.

2 ـ د. ماجد فخرى أبعاد التجربة الفلسفية دار النهار للنشر بيروت ص : 90

3 ـ د. لطفي عبد البديع التركيب اللغوى للأدب مكتبة النهضة المصرية 1970 ص: 139

4 ـ جرير ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1978 ص: 388

5 ـ ينظر د. على عبد المعطي محمد مقدمات في الفلسفة دار النهضة العربية بيروت: 85 ص : 219 ومابعدها .

والموجودات وذلك لما يتوفر عليه من حس مرهف يساعده على تحسس كل ما يحدث في نفسه وفي محيطه .

فالفنان لم يكن ((قط إنسانا سعيدا خالي البال ، وإنما هو دائما إنسان معذب بنفسه وبالآخرين، وعذابه بنفسه وبهم ناجم عن معاناته للحياة بعمق أكثر من معاناتهم إياها))(1). فهو أقدر من غيره تحسسا لهموم الحياة، وما يقع فيها من تغير وتبدل . وتبعا لذلك كان موقف الأدباء من الزمان يختلف من أديب إلى آخر وذلك راجع لثقافة كل أديب والمحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه ، وظروف العصر الذي يعاصره والمشاكل التي يتعرض لها في حياته .

فالشاعر الجاهلي الذي سبق الشاعر العذري وأثر فيه ، كان الزمان عنده مرتبطا بالمعاناة والألم والخوف من المصير المنتظر، فهو يمثل عنده الهلاك والفناء ونهاية الحياة، وهذا الإعتقاد جعله يقف عاجزا عن فهم سر الحياة ((فهو لا يملك تصورا يفسر له علة وجوده ولا إيمانا يسرح به قضية الموت والعالم الذي وراءه، لذلك ظلت قضية الموت عنده لغزا مبهما لا يدري كيف يتخلص منها))(2). لذلك ساد الإعتقاد عنده بأن الدهر الذي يحي ويميت ((هو الذي يصيب الإنسان بالأمراض والنكبات والبؤس، فسعادة الإنسان وشقاؤه تتوقفان على الدهر))(3).

يقول عمرو بن قميئة :

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ حَيْثُ لَا أَرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ

وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ ... وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ

إِذَا مَا رَآنِي النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ ... جَلِيدًا حَيِيَّ السِّنِّ غَيْرَ كَهَامِ

فَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... فَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ

فَلَوْ أَنَّنِي أُرْمَى بِنَبْلٍ رَأَيْتُهَا ... وَلَكِنَّنِي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ(4)

1- د. عز الدين اسماعيل الشعر في اطار العصر الثوري دار القلم بيروت ط 1/ 1974 ص : 29

2- د. عبد الباسط بدر مقدمة لنظرية الأدب الاسلامي دار المنارة للنشر جدة ط 1/ 85 ص : 23

3- د. محمد عبد المعيد خان الاساطير والخرافات عند العرب دار الحداثة بيروت ط 4/ 82 ص : 41

4- ابن قتيبة الشعر والشعراء داراحياء العلوم بيروت ط 2/1986 ص : 44/243

فالشاعر الجاهلي يحس بأنه يواجه عدوًّا خفيا يصيب ولايصابه لذلك فهو عاجز عن مواجهته أو التخفيف من وطأته .

يقول حميد بن ثور الهلالي (1).

مِنَ أَيِّ صُروفِ الدَّهْرِ أَصبَحتَ تَعْجَبُ ... وفي أَيِّ هذا الدَّهْرِ أَمْسَيْتَ تَرْغَبُ
أَيَذْهَبُ أَهْلي بالفَناءِ وإِخْوَتي ... وَرَهْطي وَقَدْ أَيْقَنتُ أَنْ سَوْفَ أَذْهَبُ
أَتَنْسَى عَدُوًّا سارَ نَحْوَكَ لَمْ يَزَلْ ... ثَمانِينَ عامًا قَبْضَ نَفْسِكَ يَطْلُبُ
وتَذْكُرُ سِرْداحًا من الوَصْلِ باقيًا ... طَويلَ القِرَا أَنْضَيْتَهُ وَهْوَ أَحْدَبُ (2).
تَقَعَّدْتُ عَصْرًا طَويلاً أَرُوضُهُ ... يَلِينُ وَيَنْبُو تارَةً حينَ أَرْكَبُ (3).

إن فكرة المضي هي التي تؤرق الشاعر وتخيفه، فعمره ينقص كل يوم وهو عاجز عن إسترجاع لحظة منه. لذلك لم يجد حميد بن ثور الهلالي صورة يعبر بها عمّا أصابه من فعل الزمان، إلا تلك الصورة المأخوذة من بيئته والمعبرة بوضوح عمّا أصبح يحس به الشاعر من ألم وحزن بعد أن فعل الزمان ما فعل بأهله وإخوته. فهو لم يكن في بداية عمره الآ كذلك الجمل القوي البنية القادر على مواجهة المصائب والشدائد، ولكن مع مرور الأيام ذهبت تلك القوى وبدأ الضعف والهزال ينخر جسده، فأصبح في النهاية لايقدر على شيء، بل هو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة. ومثل ذلك كان صراع الشاعر مع الزمان .

إن إتصاف الزمان بالغدر والظلم جعل الشاعر ينظر إليه على أنه هوسبب كل الشرور والمصائب التي تحدث في هذا الوجود، ومن ثم نشأت العداوة بين الشاعر والزمان. كما أن ادراك الشاعر لحقيقة المرور الحتمي للزمان كشف له عن مدى هشاشة حياة الإنسان في هذا الوجود، ومدى قصر عمره. وأن كل ما في الوجود سائر إلى زوال . وأن الذي تسكنه الحياة مصيره الفناء .

يقول حسان بن ثابت:

كُلُّ عَيْشٍ ونَعيمٍ زائِلٌ ... وَبَناتُ الدَّهْرِ يَلعَبْنَ بِكُلِّ (4)

---

1 - حميد بن ثور الهلالي ديوانه جمع وشرح عبد العزيز الميمني دار الوحدة للطباعة والنشر القاهرة 510 ص : 49

2 - السرداح : الطويل من الإبل - القرا : الظهر - أنضيته: أهزلته.

3 - تقعدته : قمت بأمره - أروضه : أذلله

4 - حسان بن ثابت ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر: 1978 ص : 175
- بنات الدهر: حوادثه .

هكذا نجد ان فكرة المضي الزماني كانت تؤرق الشاعر الجاهلي نظرا لكونها تكتسب مدلولا مغلقا لاينفتح نحو أفق مفتوح يستطيع من خلاله أن يجد من القلق الذى ينتاب ذاته بسبب ذلك ، لذلك أكثر من الوقوف على الأطلال.

ولكن عندما جاء الإسلام بتعاليمه السماوية ، وأصبح القرآن الكريم هو مصدر المعرفة والحقيقة ، تغيرت نظرة الشاعر للزمان وانزاح عن كاهله الخوف من الدهر والموت والمصير المنتظر ، وخرج من حلقة الزمان الدائرى المبني ((على نمط الولادة والنمو والإنهيار والموت))(1) إلى مجال الزمان المفتوح المرتبط بعالم الخلود ، الذي لايلحقه الفناء والإندثار ، فاطمأنت نفسه وتخلص من معاناته وقلقه الوجودى .

لأن القرآن الكريم كان قراءة جديدة للإنسان والعالم . وبذلك أحدث تحولا جذريا وشاملا في العقلية العربية (2). ومن خلال هذا التحول أدرك الإنسان العربي بأن الزمان ينقسم على نوعين :

1 - زمان فلكي أي زمان متزمن يعيشه الإنسان في حياته الدنيوية ، وهو مرتبط بدورة الفلك وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك (3). مبينا أهمية هذا الزمان في حياة الإنسان في هذا الوجود ، وأن مصيره في العالم الآخر متوقف على مدى إستغلاله لهذا الزمان في عمل الخير .

2 - زمان أبدي أي زمان لامتزمن يعيش فيه الإنسان حياة أبدية لايلحقها الفناء. إن هذا المفهوم الجديد للزمان بلور عقلية الشاعر وجعله يدرك حقائق كانت غائبة عنه في السابق ، كفكرة المضي التي كانت تعني الموت النهائي ، حيث أصبح المضي الزمني لايعني الموت النهائي ، بل موت يعقبه بعث واستمرار في عالم آخر أبدي لاموت ولا ظلم فيه .

وإذا كان هذا هو المفهوم الجديد للزمان الذى أضفته الروح الدينية في التكوين التصورى والشعورى للشاعر المسلم ، فإن الزمان عند الشاعر العذرى الذى نحن بصدد دراسته ، هو زمان العشق الناتج عن تلك العلاقة الحميمة التي تربط بين

---

1 - هانز مير هوف الزمن في الأدب تر/ د. اسعد رزوق الناشر سجل العرب القاهرة ص: 89

2 - ينظر أدونيس الشعرية العربية دار الاندلس بيروت ط 1/1985 ص : 35

3 - ينظر القرآن الكريم. سورة يونس الآية :5

قوله تعالى:((هُوَ الَّذِي جعلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والْقَمَرَ نُورًا . وقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ)).

الشاعر ومحبوبته، وأنه كلما زاد ارتباطا بمحبوبته كلما زاد احساسا بالزمان وارتباطا بالمكان((فالحب يخلق الزمن ويحيل الأشياء والعلاقات إلى زمن))(1). لأن الحب والزمان متلازمان. فكلما تضاعف الحب كلما زاد الإحساس بالزمان .

يقول مجنون ليلى:

أُعُدُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا لاَ أُعُدُّ اللَّيَالِيَا (2)

فمع حلول زمان الفقد والحرمان تبدأ الذات العاشقة في تحسس لحظات الزمان لحظة لحظة . فعند الليالي ليلة بعد ليلة جاء ليؤكد مدى احساس الشاعر بوطأة الزمان، وعدم تلبيته لرغبة الشاعر العشقية .

لأن الذات الإنسانية يزداد إهتمامها بالزمان كلما زاد اهتمامها بحاجياتها الداخلية التي تقوم عليها حياتها. فالرغبة في تحقيق الحاجيات النفسية هي التي توقظ الإحساس بالزمان وتدفع الذات إلى تتبع لحظات قصد الظفر بزمان الفرح .

ولكن الشاعر العذري المثقل بالهموم والأحزان يعيش صراعا مريرا مع الزمان، فما يكاد يظفر بلحظة اللقاء في غفلة الوشاة والرقباء حتى تداهمه لحظة الفقد والحرمان

يقول مجنون ليلى:

رَمَتْنِي يَدُ الأَيَّامِ عَنْ قَوْسِ غِرَّةٍ بِسَهْمَيْنِ فِي أَعْشَارِ قَلْبِي وَفِي سَحْرِي (3)

بِسَهْمَيْنِ مَسْمُومَيْنِ مِنْ رَأْسِ شَاهِقٍ فَغَوْدِرْتُ مُحْمَرَّ التَرَائِبِ والنَّحْرِ

إن بوح الشاعر بظلم الزمان له يكشف عن ذلك القلق الداخلي المتزايد الذى أصبح يعيشه، بسبب تقلبات الزمان وجريانه في غير صالح الشاعر، فهو يعيش((اللقاء القصير والغياب الطويل والحنين المتواصل))(4). فالذى يعيش الحب يعيش الزمان بكل تغيراته وتبدلاته. ولذلك فعلاقة الشاعر العذرى بالزمان لم تكن علاقة توافق بقدر ماكانت علاقة تنافر وصراع دائم لاينتهي .

ولكن وحتى يجود بتلك اللحظة المفرحة الغائبة في رحم المستقبل المجهول، يبقى الشاعر العذرى متشبثا بمحبوبته يردد إسمها في كل مكان يحل به، ليحافظ على

---

1 - د. صلاح عبد الحافظ الزمان والمكان واثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ج 1 دار المعارف بمصر ص : 362

2 - مجنون ليلى ديوانه: ص : 228

3 - المصدر نفسة : ص : 120/119
- سحرى : الرئة.

4 - ج - ك قادية الغزل عند العرب ج: 1 وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق 79 ص: 39/38

ديمومة زمان العلاقة حيا متجددا لمواجهة زمان الغبن والفقد والحرمان.

يقول جميل بثينة : (1)

ذكر تُكِ يومَ النَّجرِ يا بَثْنُ ذِكْرَةً ... عَلَى قَرَنٍ والعِيسُ بالقَوْمِ جُنَّحُ(2)

عَواطِفَ بالعَيْنَيْنِ بينَ مُسَيَّرَةٍ ... لَقاحًا وأُخْرَى حائِلٍ تَتَلَقَّحُ

دُهِنَّ بأسْقاطِ اللِّغامِ كأنَّهُ ... إذا قَطَّعَتْهُ الرِّيحُ قَزٌّ مُسَرَّحُ(3)

ويَوْمَ وردْنا قُرْحَ جاجتْ لِيَ البُكَا ... من الوُرْقِ حَمَّاءُ العِلاطَيْنِ تَصْدَحُ (4)

ويوم وَرَدْنا الحِجْرَ يا بثْنُ عَادني ... لكِ الشَّوقُ حتَّى كِدتُ باسمكِ أفصِحُ

ولَيْلَةَ بِتْنا بالجُنَيْنَةِ هاجَني ... سَنا بارقٍ من نحوِ أرضِكِ يَلْمَحُ

قَعَدْتُ له والقومُ صَرْعَى كأنَّهُمْ ... لدَى العِيسِ بالأكْوارِ خُشْبٌ مُطَرَّحُ

أُراقِبُهُ حتَّى بَدا مُتَبَلِّجٌ ... مِنَ الصُّبْحِ مشهورٌ وما كدتُ أُصْبِحُ

ولَيْلَةَ بتْنا ذاتَ حاجٍ ذكرتُكُمْ ... هُدُوًّا وقد نامَ الخَلِيُّ المُصَحَّحُ(5)

وبِتُّ كَئِيبًا لاذكارِي وصُحْبتي ... على مَشْرَعٍ فانهلَّتِ العَيْنُ تَسْفَحُ

ويومَ مُعانٍ قال لي فعصيْتُهُ ... أَفِقْ عن بُثَيْنَ الكاشِحُ المُتَنَصِّحُ

ويَوْمَ نَزَلْنا بالحِبالِ عَشِيَّةً ... وقد حُبِسَتْ فيها الشَّراةُ وَأُذْرُحُ(6)

ذكرتُكُمُ فانهلَّتِ العَيْنُ إنَّها ... إذا لم يكن صَبْرٌ أَخَفُّ وأَرْوَحُ

وليلةَ عَرَّسْنا بأوْدِيَةِ الغَضَا ... ذكرتُكِ إنَّ الحُبَّ داءٌ مُبَرِّحُ

ويَوْمَ تَبوكٍ كِدْتُ مِن شِدَّةِ الأَسَى ... عَلَيْكِ بما أُخْفِي مِن الوَجْدِ أُمْرِحُ

إن إصرار الشاعر على تذكر المحبوبة ومتابعته لحركة الزمان يعرب عن احساسه بالغربة الزمانية والمكانية . فالغياب المادي للمحبوبة جعل الشاعر يرتبط أكثر بجريان الزمان، يتحسس لحظاته وسكاناته، لأن الزمان المفرغ من التواصل العشقي هو زمان للغربة والشقاء. ((وإذا كان الغريب من لاحبيب له، فإن الذي يفقد

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه ص : 29/28

2 ـ قرن: جبل .

3 ـ اللغام : الزبد.

4 ـ قرح: وادي القرى ـ حماء : سوداء. ـ العلاط: صفحة العنق .

5 ـ ذات حاج : اسم مكان .

6 ـ الحبال: الكثبان الرملية المستطيلة ـ الشراة: من اداني الشام بفلسطين ـ أذرح: اسم مدينة.

الحبيب تشطره الغربة شطرا داميا ، وترميه في الأبار البعيدة التي لاقاع لهـــا مقذوفا أبدا ناشجا أبدا ، لأمل له في أن يحقق التلاؤم مع الزمن))(1).

إن زمان الفقد هو زمان لعذاب الذات العذرية يزيد من قلقها وحزنها وكآبتهـــا ، ويتركها تحس بالنهاية والزوال والتلاشي (وماكدت أصبح ..... وبت كئيبـا .... فانهلت العين ..... إن الحب داء مبرح) هكذا يحس الشاعر العذرى بوطأة زمـــن الفقد والحرمان ولكنه لايفقد الأمل في الظفر بلحظة اللقاء .

يقول مجنون ليلـــى:

وَخَبِّرْ تُمانِي أن تيماءَ مَنْـــزِلٌ ... لليلى إذا الصَّيْفُ أَلقَى المَراسِيَـــــا

فهذى شهورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَـــتْ ... فَما للنَّوَى تَرمِي بِلَيْلَى المَرامِيَـــا (2)

إن زمن اللقاء في نظر الشاعر العذرى هو زمن الإمتلاء بالحياة ، ولذلك فترقـب زمن اللقاء الغائب يزيد من قلق الشاعر . لأن ((الحب ليس سكونيا بل هو حركـــة صادرة عن قلق مستمر))(3) قلق ناتج عن قدرة الزمان على تغيير الأشياء من حال إلـــى حال .

يقول مجنون ليلـــى:

أَبَيَّ حدثنـــانُ الدَّهرِ لاتَشْتَتَّـــا ... وأَيُّ هَوًى يبقى على حَدَثِ الدَّهـــــرِ

تَعَزَّ فَإِنَّ الدَّهْرَ يَجْرحُ في الصَّفَـــا ... ويقدَح بالعُصْرَيْنِ في الجبل الوَعْـــرِ (4)

لقد كانت معاناة الشاعر العذرى شديدة ، لأنه أكثر من غيره إحساسا بجريان الزمـــان وإدراكا لفعله في الأشياء وفي نفسه .

يقول كثيـــر عزة : (5)

لمنِ الدّيارُ بأبْـــرَقِ الحنّـــانِ ... فالبُرْقِ فَالهضَبَـــاتِ من أُدمـــانِ (6)

أَقوَتْ منازِلُها وغيَّرَ رَسْمَهـــا ... بعدَ الأَنيسِ تعاقُبُ الأَزْمـــانِ

1- عزيز السيد جاسم الإغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي دار الاندلس ط 1/86 ص: 111

2- مجنون ليلـــى ديوانه ص: 232

3- د. عبدالرحمن بدوى الزمان الوجودى دار الثقافة بيروت ط 3/ 1973 ص: 165

4- المصدر نفسة ص: 116/117

5- كثير عـــزة ديوانه ص: 423

6- أبرق الحنان: ماء لبني فزارة - أدمان : شعبة تدفع عن يمين بدريينها وبين بدر ثلاثة أميـال .

إن عدم ثبات الأشياء، وتحولها وتغيرها يبعث في نفسية الشاعر شعورا بالكآبة والحزن والخوف. فها هي أطلال المحبوبة الماثلة أمام الشاعر تكشف له بوضوح عن فعل الزمان في الأشياء، وتبين بأن ليس هناك في الوجود من لايتأثر بجريان الزمان. فالمكان الطلل الذي يرمز للفناء والموت، يحمل بين بقاياه ما يكشف عن حياة كانت وانتهت. فالشاعر هنا يواجه زمانين في آن واحد: زمان الحاضر المفرغ من الحياة، وزمان الماضي المملوء بالحياة، ومن خلال ذلك التضاد بين زمان مملوء بالحياة وزمان خال منها، يدرك الشاعر مدى قدرة الزمان على التغيير والتبديل في الأشياء وفي الكائنات وفي ذاته هو:

يقول كثير عزة (1).

سَبَتْنِي إذْ شَبابِي لم يُعَصَّبْ ... وإذْ لايَسْتَبِلُّ لها قَتيلُ (2)

فلم يَمْلَلْ مودَّتَها غُلاماً ... وقد يَنْسى ويَطْرِفُ المَلولُ (3)

فأدْرَكَكَ المشيبُ عَلَى هَواها ... فلا شيبٌ نَهاكَ ولاذهُولُ (4)

إن الزمان الذي غير المكان وحوله من مكان خصب مملوء بالحركة والحياة الى مكان جدب مملوء بالسكون والموت، كان له فعله كذلك في ذات الشاعر، فالزمان هو المسؤول عن ذهاب شبابه وبلوغه مرحلة الشيخوخة.

ولكن إذا كان الزمان قد استطاع أن يؤثر في جسد الشاعر فإنه لايستطيع أن يؤثر في حبه، فالمحبوبة هي الحياة وهي زمان الشاعر الذي يبحث عنه ويركض وراءه ولاتتحقق سعادته إلا لحظة اللقاء في غفلة الوشاة والرقباء.

إن تتبع الشاعر العذري لحركة الزمان وادراكه لفعلة في كيانه وفيما يحيط به من أشياء، جعله ينتبه إلى تلك التغيرات التي تحدث في الكون. وشد إنتباهه - كما شد انتباه اسلافه من قبل - المظاهر الحيّة في الطبيعة لأن حياته مرتبطة بها، فأدرك ما في الوجود من رموز دالة على الزمان سواء كانت هذه الرموز من الكائنات أو من غيرها.

---

1 - كثير عزة ديوانه ص: 119

2 - لم يعصب: لم يستهلك. - يستبل: ينال الابلال وهو الشفاء

3 - يطرف: يملّ ويسأم 4 - الذهول: السلوّ والنسيان.

الرموز الزمانية من خلال الكائنـــات :

تعتبر الحيوانات كالوعل والناقة والغزال. والطيور كالغراب والحمام كائنات ذات معطى ميثيولوجي لأنها ومنذ أقدم العصور معطيات توطمية، ولذلك فهي غائرة ، كرموز مقدسة في اللاشعور الجمعي للإنســـان .

فقد ((كانت العرب تقدس الحيوان وتعبده كما يقدسه ويعبده أهل الطوتم، لكـــن غرضهم في تقديس الحيوان وعبادته يختلف عما يقصد أهل الطوتم، إذ كان أهل الطوتم يرمون بعبادة الحيوان إلى إجلال الأباء وإكرامهم، فكانوا مدينين للطوتم بحياتهم ومماتهم، لكن العرب لم تعتقد أن حياتها هبة مُهبات إله حيواني، ولا رأوا صلـــة رحم بينهم وبين الحيوان الطوتمي كما هي عقيدة المتوحشين، بل كان العربي يقدس الحيوان ويعبده لتحصل له البركة، وشكرا لاستفادته منه على مجرى عادة الرعـــاة جميعا))(1). ومن ثم أصبحت تلك الكائنات كرموز انحلت فيها أحاسيس الشعـــراء لكونها تشخيصات كيانية للزمان يعاين فحواها الشاعر حين يوظفها .فكل كائن لـــه صلة بنمط حياتي يعيشه الشاعر ويحسه .

- الوعل وزمان الشعور بالخلود.

فللوعل وإن قل ذكره في الخطاب الشعري العذري ، فإن دلالته الزمانيـــة ظاهرة داخل النص العذري ، وذلك لإرتباطه بالجبل والعلو من جهة ، وارتباطـــه بالمرأة المحبوبة من جهة ثانية. فإرتباط الوعل بالجبل قد أكسبه ومنذ القديـــم، تلك الصفة الدالة على البقاء والصمود ومقاومة الفناء لأن الجبل كمظهر أزلـــي للطبيعة الخالدة (2). قد إرتبط منذ القديم في ذاكرة الإنسان بالخلود والمنعـــة ومقاومة الفناء والإندثار والزوال ، وأنه ملجأ من الموت والهلاك. وقد أشـــار القرآن الكريم إلى ذلك الإعتقاد عندما تحدث عن الطوفان أيام نوح عليه السلام ((قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ . قَالَ لاَعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّـــهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ))(3). فالإنسان بقي دائما مشدودا إلى الجبل والأماكن العالية. ففي

---

1 - د. محمد عبدالمعيد خان الأساطير والخرفات عند العرب دار الحداثة بيروت ط 82/4 ص : 92

2 - ينظر د. صلاح عبد الحافظ الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ص : 76

3 - سورة هـــود الآيـــة : 43

الاساطير القديمة نجد أن العالم العلوى هو عالم الخلود والبقاء، وأن العالم السفلي هو عالم الموت والفناء (1) لذلك ظل الانسان يحن للعالم السماوى، تدفعه إلى ذلك نزعته إلى البقاء والخلود. وهذا الاعتقاد الغائر في اللاشعور الجمعي للانسانية، هو الذى جعل الشاعر الجاهلي يعتقد ((أن الحيوان الذى يلجأ الى الأعالي بصفة عامة هربا من أعدائه- كما عن الوعل تماما - يوحي بمقاومة الفناء فالصعود الى أعلى دائما يشكل لديه نوعا من الهروب الواقعي والبعد عن الفناء الارضي الى الخلود السماوي))(2). والشاعر العذرى الذي تأثر بالشعر الجاهلي أيما تأثر (3). يبقي الوعل عنده رمزا لزمان الخلود والبقاء لإرتباطه بالجبال:

يقول كثير عزة :

وقد حالَ من رَضْوَى وضَيْبَرَ دونهم شَمارِيخُ للأرْوَى بهنَّ حُصُونُ

على الكُمْتِ أوْ أشباهها غير أنَّها صُهابيَّةٌ حُمْرُ الذُّفوقِ وَجُونُ(4)

فتحصن الوعل بقمم الجبال العالية ، هو دليل على هروبه من الفناء، وطلبه للبقاء والخلود . أي أنه بفعله ذلك قد إرتبط بزمن البقاء، وهرب من زمن الموت والفناء . وبهذا التصور أصبح الوعل في نظر الشاعر العذرى يمثل رمزا لزمان الخلود والبقاء. حتى ولو أنه كان يؤمن بأن الموت لاينجو منه كائن في هذا الوجود، وذلك راجع للنصوص الدينية الاسلامية التي كان لها الدور الكبير في تضجيج الكثير من المفاهيم والمعارف التي تتعلق بالحياة والموت :

يقول كثير عزة :

فما لامرئ حيّ وإن طالَ عمرُهُ ولا للجبال الراسياتِ خلُودُ(5)

فالشاعر العذرى وعلى الرغم من أنه يدرك بأن كل ما في الوجود سائر الى زوال ، فإن تأثره بالموروث الجاهلي ، جعله ينظر الى الجبل والوعل بنفس النظرة التي كان ينظرها الشاعر الجاهلي الذي سبقه . وإذا كان الوعل قد اكتسب رمزا الدلالة على زمن الخلود لارتباطه بقمم الجبال، فإننا نجد في الخطاب الشعرى العذرى أن هذا

1- ينظر بديعة امين فكرة الصراع في الأدب السومرى مجلة افاق عربية عدد: 8 سنة 3 / 78 ص : 89

2- د. صلاح عبدالحافظ الزمان والمكان واثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ص 76

3- ينظر د. موهوب مصطفاي المثالية في الشعر الجاهلي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر: 1982 ص : 117

4- كثير عزة ديوانه ص : 172
شماريخ: ج/ سمراخ أي رأس الجبل - صهابية: أصهب اللون - الدفون: الجوانب

5- المصدر نفسة ص : 197

الكائن إلى جانب ارتباطه بالجبل فهو يرتبط بالمحبوبة، لأن المحبوبة في نظر العذرى هي ((رمز للأنثى الكونية الخالقة))(1). فهي تحي وتميت وتمنح الخلود والبقـــاء

يقول جميل بثينـــة :

لو أنَّ داعٍ منكِ يدعو جنازتـــي وكُنْتُ عَلَـى أيْدِي الرِّجَال حَيِيـــتُ (2)

ويقول كثير عـــزة

والمَيْـــتُ ينْشَرُ أنْ تَمَسَّ عِظامَـــهُ مسًّا وَيَخْلُـدُ أنْ يَرَاكِ خُلُـــودَا (3)

إن الشاعر العذرى ينظر إلى محبوته على أنها تعيش خارج الزمان، ولذلك فهـــو لايؤثر فيها ، بل هي تتحكم فيه وتوجهه كيفما تشاء وحسب ما تريد ((فهي ماتحـــة للخلود من نالها نال الخلود، فمانح الخلود لابد وأن يكون خالدا))(4) ولذلـــك فالوعول المتحصنة بقمم الجبال خوفا من الموت هاهي تترك حصونها وتهبط إلى السهل عند سماع حديث هذه المحبوبة .

يقول مجنـــون ليلـــي:

وأدْنَيْتِنِي حتَّـى إذا ما فتنْتِنِـــي بقَوْلٍ يَحِلُّ العَصْمَ سَهْـلَ الأباطِيـحِ (5)

ويقول كثير عزة:

ولو بذلَتْ أمُّ الوليد حديثَهـــا لعُصْمٍ برَضْوَى أصبحَـــتْ تتقـــرَّبُ

تهبَّطْنَ مِن أكنافِ ضأسٍ وأيْلَـــةٍ إليها ولو أغْرى بِهِنَّ المُكَلِّـــبُ (6)

فهذه الأبيات تبين بأن الوعول والتي من طبيعتها التحصن بقمم الجبال خوفا من الموت والهلاك، وطلبا للبقاء والخلود، هاهي تترك حصونها - وهي المعروفة بالحذر الشديد من عدوها - وتنجذب نحو محبوبة الشاعر عند سماع حديثها ، وتنسى مايترصدها من مخاطر (ولو أغرى بهن المكلب)، لأنها لاتستطيع مقاومة ماتسمعه .

---

1 - أدونيس (على احمد سعيد) الثابت والمتحول ج1 دار العودة بيروت ط 3 /1980 ص : 232

2 - جميل بثينة ديوانه ص : 21

3 - كثير عزة ديوانه ص : 442

4 - د. نصرت عبد الرحمن الصورة الفنية في الشعر الجاهلي مكتب الأقصى عمان : 1976 ص : 178

5 - مجنون ليلـــى ديوانه ص: 76

6 - المصدر نفسة ص : 160

- ضأس : جبل بالقرب من رضوى - المكلب: صاحب الكلاب .

وكأن الشاعر العذري بذلك التصوير يريد أن يقول بأن الوعول مثل ما تطلب البقاء والخلود في قمم الجبال ، فهي تطلبه كذلك عند المحبوبة لان المحبوبة في نظر العذري تتحكم في الزمان ومانحة للخلود والبقاء .

ولكن وعلى الرغم من ذلك الاعتقاد الموروث ونظرة الشاعر الى محبوبته ومنحها من القدرة مايفوق طاقة البشر، فإنه يتدارك الحقيقة لانه يعلم بأن كل مافي الوجود سائر الى زوال وأن الحذر لايمنع من الموت :

يقول مجنون ليلى: (1)

سَقَاهَا عَلَى نَأْيِ الدِّيَارِ خَصِيفَةٌ ... وَبِالخَطِّ نَضَّاخُ العَثَانِينِ وَاسِعُ (2)

أَجَشُّ جَمَادِيٌّ إِذَا عَجَّ عَجَّةً ... وَأَقْبَلَ يَسْتَتْلِي تَسُكُّ المَسَامِعُ

يَحُطُّ الوُعُولَ الشُّهْلَ من رَأْسِ شَاهِقٍ ... وللسَّيْرِ والدَّوْمِ الطِّوَالِ المَصَارِعُ (3)

فالسيل في هذه الابيات هو رمز للدمار وزمان الهلاك الذى لايترك شيئا في طريقه فهوالقدر الزاحف على مافي الوجود. فهاهي الوعول - والتي هي في نظر الشاعر أقل تعرضا للموت لانها تتحصن في قمم الجبال - لم تستطيع أن تصمد أمام القدر الزاحف رغم تحصنها في أعالي الجبال (يحط الوعول الشهل من رأس شاهق) فالموت قدر لاينجو منه مخلوق . وبهذا يكشف الشاعر العذرى عن حقيقة فعل الزمان في الوجود ومدى قدرته على الافناء والتدمير .

- الناقة والزمان الحركي:

تحتل الناقة مكانا بارزا في الخطاب الشعرى العذرى ، فهي الكائن الذى يلازم الشاعر باستمرار ، وقد جاء ذلك الحضور القوى من تلك المكانة التي كان يحتلها هذا الكائن في الموروث المثيولوجي العربي القديم ، والذى نجد فيه الناقة كائنا مقدسا (4) . إلى جانب أهميته في الحياة اليومية

1- مجنون ليلى ديوانه ص : 144

2- الخصيفة : السحابة التي تحمل ماء كثيرا - النضاخ : المطر الشديد الغزير .

3- الشهل : ج / اشهل وهو ما تشوب سواد عينه زرقة .

4- ينظر د. مصطفى ناصف دراسة الادب العربي دار الاندلس ط2 / 1981 بيروت ص : 248

- ينظر د. عفت الشرقاوي دروس و نصوص في قضايا الادب الجاهلي دار النهضة العربية 1979 بيروت ص :260

- ينظر د. احمد كمال زكي دراسات في النقد الادبي دار الاندلس بيروت ط2/1980 ص: 162

التي كان يعيشها الإنسان العربي أنذاك ((لأن الناقة دخلت في الحياة وتفاصيلها فهي المركب والمأكل والثروة))(1) . وبذلك تجاوزت في الخطاب الشعرى العذرى الطرح العادى كحيوان يعتمد عليه في الحياة اليومية للإنسان البدوى في بيئة صحراوية ، إلى أبعاد أخرى ذات دلالات عميقة جاءت نتيجة الحضور الدائم لهذا الكائن في حياة الشاعر ، فهولايجد بعد فقد المحبوبة وجدب المكان وخلوه من الحياة والحركة إلا الناقة أداة للتخفيف من همومه ، فهي الكائن الوحيد الذى يعتمد عليه في مقاومة ثقل الزمان وأفول الحياة من المكان .

يقول مجنون ليلى: (2)

إذَا هي أمْسَتْ مَنْبِتُ الرَّبْجِ دُونَها ... ودُونَكَ أرطَى مُسْهِلٌ وأَلاَءُ (3)

فَلاَ وَصْلَ إلاَّ أنْ يُقارِبَ بَيْنَنَا ... قَلاَئِصُ في أَذْنَابِهِنَّ صَفَاءُ

يَجُبْنَ بِنَا عُرْضَ الفَلاَةِ وَمَالَنَا ... عَلَيْهِنَّ إلاَّ وَحْدَهُنَّ غِطَاءُ

إذا القوم قالوا وِرْدُهُنَّ ضُحًى غَدٍ ... تَوَاهَقْنَ حَتَّى وِرْدُهُنَّ عِشَاءُ (4).

فهذه الابيات تبين بأن الناقة هي الزمن المتحرك الذى يواجه من خلاله الشاعر العذرى زمن الفقد. فالناقة هي رمز للسليان الزمني الذى يبعث الأمل في الذات العاشقة ويمكنها من تجاوز الحواجز المكانية . فهي ((أشبه بحاضر مستمر لايتغير ولايزول))(5). وبهذا الطرح تتجاوز الناقة في الخطاب الشعري العذرى الدلالات الجزئية والفرعية للزمن ، إذ تعطى كامل هذه الدلالات نظرا لكونها تمثل آلة التوالد الزمني لكل هذه التفريعات ، كما أنها تمثل ديمومة الحضور الزمني لأنها آليه ميلاد كل اللحظات الزمنية المتجددة فهي فضاء الحركة التي تتولد عنها المشاهد ، وتبعا لذلك تتولد الأزمنة وتتحرر الذات الشاعرة من الأسر المكاني والثقل الزماني.

يقول كثير عزة :

---

1 - صلاح عبد الصبور قراءة جديدة لشعرنا القديم دار العودة ط 82/3 بيروت ص : 66

2 - مجنون ليلى ديوانه ص : 35

3 - الارطى والالاء: نباتان 4 - تواهقن: مددن اعناقهن وتبارين في السير.

5 - د. مصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا القديم دار الاندلس بيروت ص : 98

فإن تَصْدُفي يا عَزَّ عنّي وتَصْرِمي ... ولاتقبلي منّي خِلَا لَا أسُومُها (1)

فقد أَقْطَعُ المَوْماةَ يستنُّ آلُها ... بها جِيَفُ الحَسْرى يلوحُ هشيمها (2)

على ظَهْرِ حُرجُوجٍ يُقَطِّعُ بالفتى ... نِعافَ الفيافي شَبْتُها ورسيمُها (3)

فالناقة في هذه الابيات هي اداة الخلاص من زمان الفقد المشؤوم، لأنها الزمن المتحرك الذى يخرج الذات الشاعرة من مكان الهلاك الى مكان الحياة، ومن الزمن الميت الى الزمن الحي المتحرك، ولذلك كانت الزمان الذى يتسلى به الشاعر من همومه.

يقول كثير عزة ايضا :(4).

فَدَعْ عنكَ سلمى إذا أَتى النأيُ دونها ... وأنتَ إمرؤ ماضٍ زَعمتَ جَليدُ

وسلِّ همومَ النَّفسِ إنَّ عِلاجَها ... إذا لم يَنَلْ بهنَّ شديدُ (5)

بِعَيْساءَ في دايَاتِها ودفوفِها ... وحارِكِها تحت الوَلِيِّ نُهُودُ (6)

وفي صدرها صَبٌّ إذا ما تدافعتْ ... وفي شَعْبِ بَينَ المنكبينِ سُنودُ

فحركة الناقة وماتحدثه من تجدد في المكان والزمان، تثير في نفس الشاعر الشعور بالفرح، وتبعد عنه أدران زمان الشقاء والحزن.والناقة كرمز لزمان تسلية هموم النفس قديم في الشعر العربي .

يقول طرفه بن العبد:

وإنّي لأمضي الهمَّ عند اختِضاره ... بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وتغتَدِي (7)

واذا كانت الناقة تمثل في الخطاب الشعرى العذرى زمن الحركة والتجدد فهي كذلك تمثل زمن النجاة من الموت، فبواسطتها يخرج الشاعر من دائرة زمان الهلاك والموت الى بَرّ زمان الحياة . فهي تخرج الشاعر من زمان إلى زمان .

---

1 ـ كثير عزة ديوانه ص : 145

2 ـ يستن: يجرى ويمضي ـ الحسرى: الابل التي أعيت فسقطت على الطريق .

3 ـ الجرجوج: الناقة الطويلة وقيل الضامرة ـ العنف من الرملة ـ السبت السير السريع

4 ـ ديوانه السابق ص : 195/196

5 ـ نبل به: رفق ـ بهن : أي هموم النفس .

6 ـ الدأيات: فقار الكاهل من البعير خاصة . ـ الحارك: عظم مشرف من جانبي الكاهل. الولي: جمع ولية مايوضع تحت الرحل ـ نهود: ارتفاع .

7 ـ طرفه بن العبد ديوانه ص : 22

يقول جميل بثينة :

أَتانيَ عن مَروانَ بالغَيبِ أَنَّهُ مُقِيدُ دمِي أَوْقاطِعُ من لِسانِيَا

ففي العيسِ منجاةٌ وفي الأَرضِ مذهَبٌ إِذَا ما نحنُ وفَّعنَا لَهُنَّ المَثانِيَا (1)

فالناقة هنا عند جميل بثينة تمثل زمن النجاة (ففهي العيس منجاة ....) وبذلك ((فهي الوجه الاستشرافي للحياة ، وهي مُحتوى الحياة المشرقة))(2) وهكذا فالناقة في ذهن الشاعر ترتبط بالحياة والقدر على مواجهة التحديات ، فهي القوى التي يواجه بها المصائب والمشاكل والهموم. لذلك كانت ((الرمز الذي يستوعب حياته))(3).

يقول مجنون ليلى: ().

أَظنُ هَواها تارِكِي بمَضَلَّةٍ مِنَ الأَرضِ لامالٌ لديَّ ولا أَهْلُ

ولا أَحدٌ أَفضي إِليه وَصِيَّتِي ولا صاحبٌ إِلاَّ المطيَّةُ والرَّحْلُ (4)

فالناقة هي الكائن الذي يلازم الشاعر العذري في حياته،لانها تمثل الزمان المتجدد والمتحرك الذي يخرجه من رتابه وثقل زمان الفقد.

الغزال والزمان الإرتدادي :

يعتبر الغزال من الكائنات التي كان لها الأثر الكبير في حياة الانسان العربي، فقد كان العرب ((مغرمين بتشبيه النساء الجميلات بالغزال))(5) لتوفره على مسحة جمالية قلّما نجدها في الحيوانات الأخرى.

فالغزال من أجمل حيوانات الصحراء ومن أشدها نفورا (6). ولذلك كان الغزال في الخطاب الشعري العذري من الكائنات التي تحمل دلالات جمالية وزمانية . فهو النموذج الجمالي للذات المحبوبة :

يقول كثير عزة :

1- جميل بثينة دثوانه ص : 119/118

2- اسطنبول ناصر تداعي الوعي في الشعر الجاهلي (مخطوط رسالة ماجيستير نوقشت سنة : 1985 معهد الادب واللغة العربية جامعة وهران ص333

3- د. مصطفى ناصف دراسة الأدب العربي ص : 250

4- مجنون ليلى ديوانه ص : 169

5- د. محمد عبد المعيد خان الأساطير والخرافات عند العرب دار الحداثة ط 4/ 82 بيروت ص : 133

6- ينظر القزويني عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات مكتبة مصطفى اليابي الجلبي مصر ط 3/ 56 ص : 226

سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ ظبيةٍ يستنيمها أَغنُّ البُغامِ أَعيسُ اللَّوْنِ راشِحُ (1)

فالغزال هو الحيوان الذى يملأ المكان من حول الشاعر جمالا وحسنا ، ومن خلال صورته الجميلة تنعكس له صورة المحبوبة الغائبة :

يقول مجنون ليلى:

أخذت محاسن كلِّ ما ضَنَّتْ محاسنُه بحُسْنِيهْ

كادَ الغزالُ يكونُها لولا الشَّوَى ونُشُوزُ قَرْنِيهْ (2)

فالغزال هو النموذج الجمالي الذى يمثل المحبوبة الغائبة في نظر الشاعر العذرى، وبعبارة أخرى هو المعادل الموضوعي للكائن الغائب ولذلك فظهوره أمام الشاعر لم يعد إمتلاء للمكان المقفر فقط، بل له دلالته الجمالية الزمانية التي يَمْتَحُ منها الشاعر العذري الفضاءات الحياتية لتحس مواطن الجمال للذات الغائبة .

يقول مجنون ليلى ايضا :

أياشبه ليلى لاتُراعي فإنني لك اليوم من بين الوحوش صديقُ

وياشبه ليلى أَقْصِرِ الخطوَ إنني بقربك إن ساعَفْتِني لَخَلِيقُ

وياشبه ليلى ردَّ قلبي فإنه له خفقان دائم وبُروقُ

وياشبهها اذكرْت من ليس ناسيا وأشعلت نيرانا لهنَّ حريقُ

وياشبه ليلى لوتلبَّثتِ ساعة لعلَّ فؤادي من جَواه يُفيقُ

وياشبه ليلى لن تزال بروضة عليك سحائب دائم وبُروقُ (3)

فلحظة ظهور الغزال بالمكان يخضع خيال الشاعر لعملية تفكيك اللحظات الزمانية بين ماضي اللقاء بالذات المحبوبة، وحاضر اللقاء بالكائن المعادل. ومن هنا تقوم الذاكرة بعملية مزاوجة مابين مشهدين لهما دلالتهما الزمكانية، إذ تتجه بإسقاط اللحظات الزمانية، والمشاهد المكانية على اللحظة المعاينة في الواقع

1- كثير عزة ديوانه ص : 186

- أعيس اللون: أبيض - الراشح: ولد الظبية إذا أخذ يستجمع قوته .

2- مجنون ليلى ديوانه ص : 218

3- المصدر نفسة ص : 162

المكاني ، وبذلك يتم اسقاط الحيواني على الانساني.(اذكرت من ليس ناسيا ..... وأشعلت نيرانا لهن حريق ....) فالغزال في الخطاب الشعرى العذرى له دلالة التشبث والتمسك والقبض على اللحظة الزمانية المفرحة المغبطة، والتي توحي بدورها بالمعاينة الجمالية وانتقاء من ماضي الشاعر ماينطبق معها ، وبالتالي فالزمان هنا هو زمان جمالي إرتدادى ، أي إرتداد الذات الشاعرة إلى زمان سعادتها لتعيش لحظات الفرح المنصرم، والذى لايزال عالقا بالذاكرة وتصر على بقائه لأنه هو الزاد الذى تواجه به قلق الحاضر .

يقول مجنون ليلى ايضا :

أَلاَ لَيْتَنا كُنَّا غَزالَيْنِ نَرْتَعِي رِيَاضًا مِنَ الحَوْذانِ في بلَدٍ قَفْرِ (1)

إن أمنية الشاعر تعرب على أن الغزال هو رمز للبرهة الزمانية المفرحة التي يتطلع إليها ويتمنى بلوغها بعدما أرهقه زمن الفقد والحرمان .

وهكذا نجد أن الغزال في الخطاب الشعرى العذرى رمز للزمان الحي المتجدد الذي تتوق إليه نفس الشاعر وتتمنى بلوغه. إلى جانب دلالته على المثال الجمالي الذى تنجذب لرؤيته كل ذات إنسانية تهوى الجمال وتتعشقه. واحتلال الغزال لهذه المكانة لم يكن مصادفة بل لأن الغزال كان عند العرب من الحيوانات المقدسة (2).

الغراب وإنتهاء زمان التجمع:

يعتبر الغراب من الكائنات التي ارتبطت في ذاكرة الإنسان منذ غابر الأزمان بالشؤم والفقد والغربة . لأن أول ظهور له في حياة الإنسان إرتبط بأول فقد وقع على الأرض وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك(3) . ومنذ ذلك التاريخ والغراب رمز لزمن الفقد والغربة (4).

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه ص : 126

ـ الحوذان: نبت يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء

2 ـ د. علي البطل الصورة في الشعر العربي دار الأندلس بيروت ط 3/82 ص : 75

3 ـ ينظر سورة المائدة الآية :31 قوله تعالي: فبعث اللّهُ غُرابا يَبْحَثُ في الارضِ ليُرِيَهُ كيفَ يُوَارِي سوءَةَ أخيهِ قَالَ يَا وَيْلَتِي أعَجَزْتُ أنْ أكُونَ مثل هَذا الغُرابِ فأُوَارِيَ سوءَةَ أخي فأصبح مِنَ النَّادِمين)).

4 ـ ينظر الجاحظ كتاب الحيوان ج :2تح: عبدالسلام هارون دار الكتاب العربي بيروت ط 3/1969 ص : 316

وهكذا فالغراب في الخطاب الشعري العذري لايخرج عن هذا المفهوم، حيث نجد أن الشاعر العذري ينظر للغراب على أنه رمز لزمن التشتت والتفرق وإنتهاء التجمع وبسبب ذلك نشأت عداوة الشاعر العذري لهذا الطائر. فعند ظهوره أوسماع صوته يحس الشاعر بإنكسار زمن الفرح والعشرة، وحلول زمن القلق والحزن.

يقول جميل بثينة:

رحلَ الخَليطُ جمالَهم بسوادِ ... وحَدا على إثرِ الحَبيبةِ حَادِ

ما إن شعرْتُ ولا علمتُ بهينهم ... حتى سمعتُ به الغُرابَ يُنادِي

لَمَّا رأيتُ البينَ قلتُ لصَاحِبي ... صَدَعَتْ مُصِدّعَةُ القلوب فُؤادِي

بَانوا وغُودِرَ في الدِّيارِ مُتيَّمٌ ... كَلِفٌ بذكرِكِ يا بُثينَةُ صَادِ (1)

فظهور الغراب له دلالة محسوسة وحركية تتشخص في الرحلة وتشتت الشمل بعد التجمع. ومن ثم فهو رمز لزمان إنتهاء التجمع وخلو المكان من الحركة، فنعيق الغراب هو إذان بحلول زمان الحزن واليأس وعذاب الذات العاشقة :

يقول مجنون ليلى:

أَلا يَا غُرابَ البَيْنِ هَيَّجْتَ لَوْعَتِي ... فَوَيْحَكَ خَبِّرْنِي بِمَا أَنْتَ تَصْرُخُ

أَبِالْبَيْنِ مِنْ لَيلَى، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا ... فَلا زَالَ عَظْمٌ مِنْ جَناحِكَ يُفْسَخُ

وَلا زَالَ رَامٍ فِيكَ فَوْقَ سَهْمَهُ ... فَلا أَنتَ في عُشٍّ وَلا أَنْتَ تُفْرَخُ

وَلا زِلْتَ عن عَذْبِ المِيَاهِ مُنَفَّرًا ... وَوَكْرُكَ مَهْدُومًا وَبَيْضُكَ يُرْضَخُ

فَإِن طِرْتَ أَرْدَتْكَ الحُتُوفُ وَإِنْ تَقَعْ ... تَقَيَّضَ ثُعْبانٌ بِوَجْهِكَ يَنْفُخُ

وَعِشْتَ قَبْلَ الْمَوْتِ لَحْمُكَ مُشْرَحًا ... عَلَى حَرِّ جَمْرِ النَّارِ يُشْوَى وَيُطْبَخُ

وَلا زِلْتَ في شَرِّ العَذابِ مُخَلَّدًا ... وَرِيشُكَ مَنْتُوفٌ وَلَحْمُكَ يُشْدَخُ (2)

إن رغبة المجنون في تسليط أشد أنواع العذاب على الغراب، توحي بنيته في كتم اللحظة الزمانية الموحية بالتشتت ودفع الآتي من وقع الرحلة، وبذلك عبّر عن عداوته الشديدة للغراب، والتي هي في حقيقة الأمر عداوة لزمن الفقد والرحلة.

---

1 - جميل بثينة ديوانه ص : 37

2 - مجنون ليلى ديوانه ص : 78

يقول جميل بثينة :

ألا ياغُرابَ البينِ فيمَ تَصيحُ ؟ فصوتُكَ مَشنيٌ إليَّ قَبيحُ
وكلُّ غداةٍ لا أبالَكَ تَنْتَحي إليَّ فتَلقاني وأنتَ مُشيحُ
تحدثني أن لستُ لاَقٍ نعمةٍ بَعِدْتَ ولاَ أَمْسَى لَدَيكَ نَصيحُ ! (1)

تبين هذه الابيات بأن صوت الغراب قد إقترن بوجدان الشاعر، فصوته مرتبط باللحظة الزمانية الباعثة على الرحيل والفقد. فالزمن الغرابي إن صح هذا التعبير، هو زمن الشؤم الذي يخاف الشاعر حلوله، لأنه زمان زوال النعمة :

يقول مجنون ليلى:

عشيةَ مالِي حِيلةٌ غيرَ أنَّني بِلفظ الْحَصَا والخطِّ في الدَّارِ مُولَعُ
أخطُّ وأمحو كل ما قد خططتُه بدمْعِيَ والغِربانُ حَوْلِيَ وُقَّعُ (2)

إن إحساس الشاعر بوطأة اللحظة الزمانية (لحظة الرحيل والتشتت) ، ومعاناته من حدّتها واقتران الغراب بها ، كل ذلك جعله يحس بالغربة المكانية الزمانية فلا صديق ولا أنيس الا الغربان . وهكذا فالغراب في الخطاب الشعري العذري هو رمز لزمان الفقد والتشتت واحساس الذات الشاعرة بالغربة والوحشة. ولكن الغراب في الخطاب الشعري العذري ، والى جانب دلالته على زمن إنتهاء التجمع وهذا الغالب في النصوص العذرية - له دلالة زمانية أخرى مأخوذة من سواد لونه. فقد أخذ الشعراء ومنذ القديم من سواد لونه صورة مستعارة للدلالة على زمن الشباب وبقائه. ونفس النظرة كانت لدى الشاعر العذري :

يقول جميل بثينة :

أما كنتِ أبْصرتِني مَرَّةً لياليَ نحنُ بذِي جَهْوَرِ
لياليَ أنتم لنا جيرةٌ أَلا تَذكُرِينَ ؟ بَلى فَاذْكُرِي !
وإذْ أَنَا أَغْيَدُ غَضُّ الشَّبَابِ أَجُرُّ الرِّداءَ مع المِئْزَرِ
وإذْ لِمَّتِي كجَنَاحِ الغُرابِ تُرَجَّلُ بالمِسكِ والعَنْبَرِ (3)

---

1 - جميل بثينة ديوانه : ص : 24
2 - مجنون ليلى ديوانه : ص : 148
3 - المصدر نفسة ص : 49

فعلاقة الشاعر العذرى بالغراب في هذه الأبيات أصبحت علاقة تقارب بعدما كانت في السابق علاقة تنافر وعداوة، لأن الدلالة الزمانية له قد تغيرت، فبعد أن كان الغراب رمزا لزمان الفقد والرحيل أصبح رمزا لزمان الشباب والفتوة. ولكن وعلى الرغم من ذلك يبقى الغراب رمزا لزمان الرحيل وانتهاء التجمع، وتبقى العداوة بينه وبين الشاعر قائمة .

الحمام وزمان البكاء :

إذا كان الغراب قد إقترن في الخطاب الشعرى العذرى بزمان الرحيل وانهاء التجمع، فإن ذكر الحمام هو الأخر قد إقترن في هذا الخطاب بزمان البكاء والنحيب. ولذلك فالغراب والحمام كلاهما يثير حزن وبكاء الشاعر العذرى، إلا أن الدلالة الزمانية لكل منهما تختلف عن الآخر .

فزمن الغراب هو زمن خارجي يظهر من خلال الأثر المكاني الموجود خارج الذات الشاعرة من رحيل وتشتت للشمل. أما الحمام فهو مكاني زماني: مكاني ينم عن الإستقرار والخلوة للبث في إفراز كوامن الذات الداخلية، وزماني لأنه يوقظ شوق وحنين الشاعر إلى محبوبته:

يقول جميل بثينة :

أيَبْكي حمامُ الأيكِ من فَقد إلفِهِ ... وأصبِرُ ؟ مالي عن بُثينةَ من صبرِ !

ومالِيَ لاأبكي، وفي الأيكِ نائحٌ ... وقد فارقتني شَخْتةُ الكَشْحِ والخصرِ(1)

فصوت الحمام هو المعادل لتداعيات الشاعر العذرى، أي له دلالة التهيج الشعوري والإفراز الباطني ، فهو يوقظ اشتياق الشاعر، فيحنّ إلى محبوبته(ومالي لاأبكي وفي الأيك نائح ...) فصوت الحمام يثير إشتياقه ولوعته .

يقول مجنون ليلى:

لقد هتفَتْ في جُنْحِ لَيْلٍ حمامَةٌ ... على فَنَنٍ وَهْنًا وإنّي لَنَائِمُ

---

1 - جميل بثينة : ديوانه ص : 44

- الشختة: الدقيقة الظامرة .

فقلتُ اعْتِذارًا عند ذاك وإنّنـــي لِنَفْسِيَ فيمـا قد أتَيْتُ لَلَائِـمُ
أأَ زْعُمُ أنـي عاشِقٌ ذُو صَبابَـــةٍ بلَيْلَـى ولاأبْكِـى وتَبْكـى البَهائِـمُ
كَذَبْتُ وبَيْتِ اللّـهِ لوكُنْتُ عَاشقـًا لَمَا سَبَقَتْنِـي بِالبُكَاءِ الحمائِـمُ (1).

فمع سماع صوت الحمام يبدأ زمان البكان والنحيب ، وتبدأ الذات العاشقة فـي التخلص من ذلك التوتر الداخلي الذي كانت تعاني منه بسبب فقد المحبوبة. فبواسطة البكاء تخرج الذات العاشقة ماكانت تحس به من ضيق داخلي .

يقول مجنون ليـلى:

أَلَا قاتـل اللّهُ الحمامـةَ غـدوةً على الغُصْـنِ ماذا هيَّجت حين غنَّـتِ
تغنَّـتْ بلحـن أعجمـيٍّ فهيَّجـت هوايَ الذى بين الضُّلـوعِ أَجَنَّـتِ (2).

إن لغة الدعاء في البيتين السابقتين (ألا قاتل الله)، تعرب عن الإنفلات الزمني الذى لم يظفر به الشاعر لحظة الغداة. وهكذا فالحمام في الخطاب الشعرى العذرى هو معطى للتبليغ الوجداني الذى من خلاله يعبر الشاعر العذرى على شوقه لمحبوبته.

1- مجنون ليلـــى ديوانـــه ص : 186

2- المصدر نفسة ص : 69

الزمان من خلال رموز البقاء والفناء:

إن طبيعة الحياة البدوية التي كان يعيشها الشاعر العذري، تعتمد على التنقل الدائم من مكان الى آخر((فالصحراء تغير من وجهها تبعا لتغيرات الفصول. وتعطي في كل فصل وعدا جديدا بالخصب والاستقرار))(1). هذا التغير البيئوي جعله يعيش حياة متغيرة ، أدرك من خلالها ذلك التضاد الموجود في الكون بين الحياة والموت والخصب والجدب، والخير والشر. كما أدرك بأن كل مافي الوجود له بداية ونهاية، مما جعله ينفر من كل مايرمز للفناء والاندثار، ويقبل على كل مايرمز للحياة والبقاء .

وتبعا لذلك كان صراعه مع رموز الفناء لأنه كان يرى أن ((الحياة مهددة بالموت، والخصب مهدد بالجدب، والحب مهدد بالهجر وبأعين الرقباء))(2). وأن الحب والحياة متلازمان . فالحب هو إمتلاء بالحياة وإصرار على بقائها متجددة، تواجه الفناء والإندثار. ولذلك جاء الخطاب الشعري العذري محملا بالكثير من الرموز الدالة على البقاء أو على الفناء.

أ ـ الزمان من خلال رموز البقاء.

ـ الشباب :

تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل في حياة الإنسان، لأنها مرحلة العمر الحقيقي للإنسان، لإرتباطها بالنمو والنشاط والحركة. فالشباب هو رمز لزمن العمر المتجدد، وأمنية الإنسان في هذا الوجود هي أن يبقى شابا ولايلحقه الشيب و الكبر، لأن من ذهب شبابه أفلت حياته .

وقد قال قديما ابوعمر وبن العلاء ((مابكت العرب شيئا مابكت على الشباب، ومابلغت به مايستحقه))(3). والشاعر العذري أكثر من غيره تشبثا بفترة الشباب لأن أجمل أيام عمره ـ أيام الشباب والحب ـ عرفها أثناء تلك الفترة، لذلك كان حنينه قويا إليها .

1ـ د. محمد المنسي قنديل لحظات من الزمن العربي مجلة العربي عدد301/ 83 ص : 68

2ـ عبدالإله الصائغ الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام وزارة الثقافة والاعلام العراق 1982 ص : 133

3ـ ابن عبدربه الاندلسي العقد الفريد ج: 3 شرح وضبط احمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط 2/1953 ص : 46

يقول مجنون ليلـــى:

تعَلَّقتُ لَيْلَى وهْـيَ غِـرٌّ صغيـــرةٌ ولم يَبْدُ للأَتراب من ثَدْيها حَجْـــمُ

صَغِيرَيْنِ نَرْعَي البَهْمَ يالَيْـتَ أَنَّنَـا إلى اليومِ لَمْ نَكْبَر ولم تَكْبَرِ البَهْمُ(1)

إن أمنية الشاعر العذرى هي أن تعود به الأيام إلى فترة الشباب، فرغبـــة المجنون في البيتين السابقين هي شد الزمن المفلت منه للظفر بالبرهة الزمنيـــة اليافعة في عمر الطفولة، حيث أن ((الحنين الى الطفولة شاهد على أن المرء في حاجة دائما إلى استرجاع ماضيه واستعادة ذكريات صباه، وكأنما هو يشعر بأن هـذا الماضي نفسه هو جوهر وجوده))(2). فتحسر المجنون عن زمنه الأول (ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ...) يدل عما أصبح يحس به من مرارة وحزن في حاضره .

فهو لايرى الحياة إلامن خلال شبابه، وأن فقد الشباب معناه فقد الصلة بالحيـــاة وبالحب ، فالشباب هو فترة الحب والإقبال على الحياة والعطاء.

يقول كثيـــر عـزة :

وأنيَ لم أعلمْ ولم أَجدِ الصِّبـــا يُلائِمُـــهُ إلاَّ الشبـــابَ قريـــــنُ

وأنَّ بياضَ الرَّأسِ يُعقبُ بالنُّهَـى ولكنَّ أَطلالَ الشَّبـــابِ تُزيـــــنُ(3)

فزمن الشباب هو الملائم للحب، ومن ضيع الشباب ضيع ذلك، لأن الشيب هو عـــدو العشاق ، يفقدهم القدرة على العطاء والإمتلاء بالحياة، ومن ثم فالزمان لـــم يصبح بالنسبة للشاعر العذري مجرد أيام وليال تمر، وإنما هو عدو يتربص بـــه في كل لحظة ويتعقبه في كل مكان يحل به. ولذلك فهو يتحسر عن ماضيه الذى ضـــاع منه لأنه يمثل عمره الحقيقي في هذه الحياة، كما أنه يمثل قوته وفتوتـــه.

يقول جميل بثينة :

إنَّ المنازلَ هَيَّجتْ أَطْـرَابِـــي واستعْجَمَـــتْ آياتُها بِجوابِـــي

قَفْـرًا تلوحُ بِذِي اللُّجَيْنِ كأَنَّهـا أنضاءُ رسمٍ أَوْسطورُ كتـــــابِ

---

1 ـ مجنـــون ليلى ديـــوانـــه ص : 186

2 ـ د. زكريا ابراهيم الزمان بين الإتصال والإنفصال مجلة العربي عدد212 /1976 ص:139

3 ـ كثير عزة ديوانه ص:174

لمّا وقفتُ بها القلوصَ تبلمـــــادرتْ مني الدموعُ لفُرقةِ الأحبـــــــابِ
وذكرتُ عصـــرًا يابُثينةُ شاقنـــــــي وذكرتُ أيّامي وشَرخَ شبابِـــــــي(1)

إن وقوف الشاعر على أطلال محبوبته، هوفحقيقة الأمر وقوف على حقيقة فعل الزمان في المكان وفي الذات الانسانية .

فوقوف جميل بثينة على أطلال محبوبته في الأبيات السابقة، هو في نفس الوقت وقوف على أطلال شبابه، الذى ضاع منه الى غير رجعة(وذكرت أيامي وشرح شبابـــي ...) فالتذكر أيقظ فيه الحنين الى أيام الشباب ((ليستعيد بذاكرته مامر له فـــي ريق العمر وانبلاج الشباب من لذه سائغة واغتباط أمين))(2). ففترة الشبـــــاب هي فترة الامتلاء بالحياة ومن ثم فهي فترة الزمان المرغوب فيه ((وهنا نلحـــظ أهمية الزمن المراد على الزمن المعاش))(3). فالزمان الذى يريده الشاعر هـــو زمان الشباب والحب والطفولة، بينما الزمان الذى يواجهه في حاضره هو غير ذلك، ولذلك كثر حنينه الى أيام شبابه

يقول جميل بثينـــــة :

الا ليتَ ريعانَ الشّبابِ جَديـــــدُ ودَهْـرًا تولّـى يابُثَيْنَ يَعـــــودُ
فَنَبْقَى كَمَا كُنّا نَكونُ وأنتُـــم قريبٌ وإذْمَا ماتَبْذُلِينَ زَهِيـــــدُ(4)

إن حنين الشاعر لريعان شبابه، يبين مدى الضيق الذى أصبح يحس به في حاضـــره . وعلى الرغم من أنه يدرك بأن مافات مات، وأن فترة الشباب إذا انتهت لاتعـــود أبدا، الا انه بقى متشبثا بها لان تلك الفترة هي زمنه الحقيقي الذى لايغيـــب عن ذاكرته أبدا .

فالشباب يظل((في مخيلة كل الشعراء هو المقصد وهو الغاية، لدرجة جعلتهـــم يتمثلونه في كل مناسبة))(5). فالشباب هو العمر الذى يعتز به الشاعر طول حياتـــه ويعمل على المحافظة عليه حيّـًا متجددًا في ذاكرته .

1- جميل بثينـــة : ديوانـــه : ص : 17

2- ابوالقاسم الشابي الخيال الشعري عند العرب الشركة القومية للنشر والتوزيع تونس ص : 47

3- غاستون باشلار جدلية الزمن تر/ خليل احمد خليل ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص : 57

4- المصدر نفسة ديوانـــه : ص : 30

5- احمد طاهر حسنين البعد الزمني في اللغة والادب مجلة ألف العدد : 9 /1989ص :92

2 ـ الخصـــب:

يعتبر الخصب من أكثر الرموز دلالة على البقاء لإرتباطه بالماء الذى هو عنصر الحياة وسبب وجودها (1). فالخصب هو رمز الحياة والبقاء، وهو نقيض الجدب الذ ى هو رمز الموت والفناء وزوال الحياة .

فإرتباط الشاعر العذرى بالخصب يعني إرتباطه بالحياة والبقاء، فعن الخصـــب تتولد الحياة والإستقرار والأمن والسعادة :

يقول مجنون ليلـــي:

يذكّر نـــي للوصل أيامنا الأُولـــى مررنـــا علينا والزمانُ وَريـــقُ

أردُّ سواءَ الطرف عنكِ ومالـــــه على أحد إلاّ عليك طريـــــقُ (2)

فمظاهر الخصب ترتبط في ذاكرة الشاعر بتلك الصورة الجميلة للحياة، صورة الإمتلاء بجمال الكون وروعته. تلك الصورة التي توقظ فيه حس الإرتباط بالبقاء. لذلك فهو لايتذكر من أيام عمره إلا تلك الأيام المرتبطة بالخصب (أيامنا الأولى... مررنا علينا والزمان وريق)لأنها أيام السعادة والهناء ولذة الحياة. ودلالة الخصـــب على الحياة جعل الشاعر العذرى يربط بينه وبين محبوبته :

يقول جميل بثينـــة :

بثغرٍ قد سُقينَ المسْكَ منـــــهُ مَساويكُ البَشـــامِ ومن غُـــــروبِ

ومن مَجرى غَوَاربِ أُقْحُـــــوَانٍ شَتِيـــتِ النَّبْتِ في عامٍ خَصِيـــبِ(3).

فالخصب والمحبوبة مرتبطان في ذاكرة الشاعر، لأن كل منهما يمثل الحياة، ويمثل زمان السعادة . ولذلك أكثر الشاعر العذرى من الدعاء بالسقيا لمكان تواجـــد المحبوبة.

يقول مجنون ليلـى:

1ـ ينظر القرآن الكريم سورة الأنبياء الاية :30 قوله تعالي:((وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)).

2ـ مجنـــون ليلـــى ديوانه ص : 163

3ـ جميل بثينـــة ديوانه ص : 182

سقى الله أرضا أهلُ ليلى تَحُلُّها وجاد عليها الغيثُ وهو سَكُوبُ
ليخضَّر مرعاها ويُخْصِبَ أهلَها ويَنْمِي بها ذاكَ المَحلُّ خصيبُ (1).

إن لغة الدعاء لدى الشاعر هنا، تعرب عن أمنيته في دوام خصوبه المكان ليدوم استقرار المحبوبة فتزدهر حياته وينعم بلذة اللقاء. إن زمان الخصب هو زمان الحياة، ولذلك أكثر الشاعر العذرى من طلب الغيث لأن بدونه لايكون هناك خصب أوحياة .

يقولكثير عزة :

وإنّي لأستهدي السحائبَ نحوها من المنزلِ الأدنى فَتُسْرِى وتُسْرِعُ (2)

فطلب الغيث لمكان المحبوبة، هو طلب للحياة وزمان السعادة والبقاء، فحيث يكون الخصب تكون الحياة وزمان البقاء، ومن ثم فالخصب هو أكثر الرموز دلالة على زمان البقاء والحياة .

3 ـ الجديد:

إن صراع الشاعر العذرى مع الزمان وإدراكه لحقيقة فعله في كل مايوجد في هذا الكون، جعله يتطلعُ دائما إلى الجديد حتى لايسحقه زمان الفناء بسكونيته. فالجديد في نظر الشاعر يعني الحياة والبقاء ودوام الشباب. والقديم يعني الموت والفناء وسكونية الزمان .

والإنسان بطبعه يحب الجديد لأنه مقترن بالحياة والفرح، ويكره القديم لأنه يقترن بالموت والفناء.

يقول جميل بثينة

ألا ليتَ ريعانَ الشَّبابِ جَديدُ ودهرًا تولّى يابُثَيْنَ يَعودُ
فَنَبْقى كما كُنّا نكونُ وأنتُم قَريبٌ وإذْ ما تَبْذُلينَ زَهيدُ (3)

إن توقان الشاعر إلى أبدية الحضور الزمني في فترة الشباب (ألا ليت ريعان الشباب جديد ...) يمثل أرقى الإحساس بوطأة الزمن على الشباب.فجميل بثينة يطرح تلك المقابلة بين الشباب والدهر .

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص : 46
2 ـ كثير عزة ديوانه: ص : 406
3 ـ جميل بثينة ديوانه: ص : 30

فالدهر هو الحجم الزمني الذى يقابل ويمثل فترة الشباب ، كما أنه الحجم الذى يمثل كوامن الذات اتجاه استمرارية الشباب ، والأمنية المضمرة التي يتـــوق إليها الشاعر لكي يحياها بكل ما تحمل من استمرار أو امتداد .

إن الدهر يمثل الإطار الزمني بكل مايحمله من عطاءات أومن لحظات عاطفية لكـــي يتمتع بها ، لذلك يتمنى الشاعر بقاء اللحظة الزمنية المفرحة متجددة (فنبقـــى كماكنا ...) وهذه الأمنية تعرب عن بقاء زمن الشباب على حالة متجدد الزمـــان.

ولكن الزمان المعروف بجريانه الدائم لايترك شيئا على حالة ، بل يبدل ويغيـــر.

يقول جميل بثينـــة ايضا :

وأفنيتُ عُمـــرِي بانتظارِيَ وَعْدَهـــــا وأبلَيتُ فِيها الدَّهْرَ وَهوَ جَدِيدُ (1)

إنّها الحقيقة التي يعرفها كل إنسان، فكل جديد لابد وأن يصبح في يوم من الأيـــام قديما . فالزمان أعظم من أن يقهر أويتراجع فهودائم الجريان إلى الأمام . وإذا كان الدهر كعمر زمني يفوق العمر الزمني للشاعر، فإن الشاعر قد إستخدمه فـــي البيت السابق الذكر ليدلل به على عمق الوطأة النفسية التي أصبح يعاني منهـــا.

وقوله (أفنيت ـ أبليت ...) يوحي بالمعاناة التي قدمها من أجل حبه لمحبوبته.

ولكن الدهر يظل في هذا الطرح له بعده الحسي ، وبالتالي يصبح الزمن له معانيـــه الحسية التي تفوق وتتجاوز المعاينة المجردة في تعداده .

إن رغبة الشاعر العذرى في تجديد زمانه قوية، لأنه قد أدرك من خلال تجربيتـــــه في الحياة بأن الشئ الذى لايتجدد يموت ويندثر. فطلب الجديد هوطلب للحيـــاة وذلك ماكان يحرص عليه الشاعر العذرى . ((وذلك هو جوهر كل شعر عظيم فـــي الحب))(2). فالحب جديد والشباب جديد لأنهما يقترنان بالسرور والفرح والامتـــلاء بالحياة .

4 ـ العيـــش:

1ـ جميل بثينـــة ديوانه: ص : 31

2ـ أ دونيـــس مقدمـــة للعشر العربي دار العودة بيروت ط 3/ 1979 ص : 23

إذا كان الجديد هو أحد الرموز الدالة على زمان البقاء لأنه نقيض القديم فإن العيش هو كذلك في الخطاب الشعري العذري رمز لزمان البقاء والحياة ونقيض للموت والفناء .

يقول كثير عزة

فلا عيشَ الا مِثْلُ عيشٍ مضى لنا مصيفًا أقَمْنا فيهِ مِنْ بعْدِ مَرْبَعِ(1)

ويقول مجنون ليلى:

تَذكَّرْتُ وَصْلَ النَّاعِجيَّاتِ بِالضُّحَى وَلذَّةَ عَيْشٍ قد تَوَلَّى نَعِيمُهَا(2)

فالشاعر العذري المسكون بالعشق ، لايرى من زمانه إلا ذلك الزمان المرتبط بلذة الحياة ونعيمها ، فهو لم يعرف سعادة العيش إلا في تلك الفترة من حياته ، وتعلقه بذلك الزمان المنصرم الذي يمثل في نظره الحياة والسعادة ، جعله يربط بينه وبين المحبوبة .

يقول جميل بثينة:

وَمَنْ يُعطَ في الدنيا قرينًا كمِثلِها فذلكَ في عيشِ الحَياةِ رَشِيدُ (3)

ويقول كثير عزة :

هي العيشُ ما لاقتكَ يومًا بودّها وموتٌ إذا لاقاكَ منها إزْورارُها(4).

فالمحبوبة في نظر الشاعر العذري هي الحياة ، والظفر بها هو ظفر بزمان العيش السعيد. ولذلك فالمحبوبة هي زمان الفرح الذي ينسي الشاعر هموم زمان القحط والحرمان. وهكذا فالعيش في الخطاب الشعري هو رمز لزمان الحياة.

الزمان من خلال رموز الفناء :

==========

1- الشيب:

1- كثير عزة ديوانه ص : 410

2- مجنون ليلي ديوانه ص : 195

3- جميل بثينة ديوانه ص : 32

4- المصدر نفسه ص : 430

الشيب هو أحد الرموز الدالة على الفناء حيث أنه ((يرتبط في وجدان الناس بالموت، وهم يعدونه بداية الطريق نحو المنية))(1). فالشيب هو المظهر الخارجي لفعل الزمن في الذات، كما أنه علامة على زمن الضعف والوهن (2). وصورة لجدب الذات وأفول شبابها، وهو بذلك يقابل زمن الطلل لأن كلاهما يدل على زوال الحياة، وغياب وجهها المشرق. فالشيب هو الفترة الزمنية التي تحرك الكوامن الداخلية للذات وتدفعها إلى تحس فعل الزمان فيها.

يقول كثير عزة:

سَبَتْنِي إذا شبابي لم يُعصَّبْ ... وإذْلا يَسْتَبِلُّ لها قَتيلُ

فلم يَمْلَلْ مودَّتها غُلاما ... وقَدْ يَنْسى ويطرَفُ الملولُ

فأدركَكَ المشيبُ على هواها ... فلا شيبُ نهاكَ ولا ذهولُ (3)

فحلول الشيب بالذات العذرية يعطل حركتها مع الخارج، ويدفعها إلى تحس كيانها الداخلي، فيزيد ذلك من قلقها وحزنها على ماضيعته من شبابها وأيام سعادتها، ويدفعها ذلك الإحساس إلى مقاومة فعل الزمن فيها، فتلجأ إلى التخضيب محاولة منها تجديد ما أبلاه الزمن، وإبعاد خطر الشيب الذى أصبح يهدد كيانها بالفناء ويشعرها بأفول حياتها.

يقول جميل بثينة:

تقولُ بُثينَةُ لَمَّا رَأَتْ ... فُنونًا مِنَ الشَّعَرِ الأَحْمَرِ

كَبرتَ جميلُ وأَودى الشَّبا ... بُ فقلتُ بُثينَ أَلاقاصُرِي!

أتَنسَيْنَ أيَّامَنَا باللِّوَى ... وأيّامَنا بذوى الأجفَرِ؟

أماكنتِ أبصرتِنِي مَرَّةً ... لياليَ نحنُ بذي جَهْوَرِ

لياليَ أنتم لنا جِيرةٌ ... أَلَا تذكُرِينَ ؟ بَلى فاذكُرِي!

1- د. فاطمة محجوب قضية الزمن في الشعر العربي دار المعارف مصر ص: 50

2- ينظر القرآن الكريم: سورة مريم الآية 4 قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)).

3- كثير عزة ديوانه: ص: 119

- لم يعصب: لم يستهلك - يستبل: ينال الإبلال وهو الشفاء

- يطرف: يمل ويسأم - الذهول: السلو والنسيان.

وَإِذْ أنا أُغْيَدُ غَضُّ الشَّبَابِ ... أَجُرُّ الرِّداءَ مَعَ المِئْزَرِ

وَإِذْ لِمَتِي كَجَنَاحِ الغُرَابِ ... تُرَجَّلُ بالمِسْكِ والعَنْبَرِ

فَغَيَّرَ ذلك ما تَعلمِينَ ... تَغَيُّرَ ذا الزَّمَنِ المُنْكَرِ

وأنتِ كَلُؤْلُؤَةِ المرزُبَانِ ... بماءِ شبابِكِ لم تُعصَرِي

قريبانِ مَرْبَعُنَا واحِدٌ ... فكيفَ كَبِرْتُ ولم تَكْبُرِي؟(1)

فالتخضيب هو سلاح الشاعر الذى يحاول بواسطته إخفاء فعل الزمان في ذاته، وتجديد شبابه أمام محبوبته، لأنه يعلم مدى تعلق المرأة بالشباب فهي ((لاتحب إلا الشباب ولاترى في الحياة إلا الشباب، فإذا ماولّى الشباب ولتِه، وتلك حقيقة أزلية وحقيقة قاسية))(2).

وإدراك الشاعر العذرى لهذه الحقيقة هو الذى جعله يلجأ إلى تخضيب شعره، إلاّ أنّ المحبوبة التي تمثل في نظره الشباب والجمال المتجدد، تضعه أمام واقعه الحقيقي الذى أصبح يعيشه. فالمحبوبة هي ماضيه وحاضره: ماضيه الذي يمثل شبابه وأيام سروره، وحاضره الذى يكشف عن كبره وزوال شبابه.

ومن ثم فالمحبوبة هي الزمان الثابت الذى لايتغير ولايتبدل، وإنّما هو باق على حاله الأول فقول بثينة(كبرت جميل وأودى الشباب ....) جعل الشاعر يحس بمرارة حاضره، ولم يجد مخرجا، إلاّ بالهروب إلى الماضي يحتمي به فهو ((يقدم نفسه اليوم في صوره الأمس لكي ينفي عن نفسه الضعف الحالي، فالزمان الحقيقي لديه ليس زمانا مستمرا، قدرماهو زمان فائت استمر حقبة))(3).

فالماضي هو زمان الفرح لأنه زمان الشباب والحب. وقول الشاعر (فقلت بثينة ألا فاقصري....) يعرب عمّا أصبح يحس به من غبن وحزن عندما واجهته محبوبته بالحقيقة. كما أنه مؤشر على الوطأة الداخلية التي أملاها الشيب على الذات.

فالشيب قد احدث عدم تكافؤ بين الطرفين في الحيز الزمني، فالمرأة أهم ماهو

1- جميل بثينة: ديوانه: ص: 50/49

2- د. صلاح عبد الحافظ الزمان والمكان واثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره: ص: 333

3- المرجع نفسه: ص: 335

محبب إليها الشباب، ولاترى في الشيب إلاّ رمزا مبعدا له . فبثينة ترى جميل في وضع آخر، غير الذى كان عليه أيام شبابه. أي أنّها تراه ((كان)) وليس ((كائنا)) فهو ماضي وليس حاضرا .

إن الذات العذرية لحظة إحساسها بثقل الشيب تتوزع بين زمنين متضادين: زمن خارجي ساكن، وزمن داخلي متحرك. فسكونية الزمن الخارجي جاءت من إحساس الشاعر بالضعف لأنه في هذه المرحلة تتعطل قواه الذاتية في الخارج لِمَا يلحق ذاته من ضعف بدني .

أما حركية الزمن الداخلي نتيجة ركون الذات الشاعرة إلى داخلها وإنفتاحها على الخيال ((ففي منطقة الخيال المطلق نظل شبابا حتي سن متأخر في حياتنا))(1).

فجميل بثينة عندما واجه المثير الخارجي (المحبوبة) إرتدّ الى داخله، لأنه فقد إمكانية الحضور في الخارج . فالشباب إمكانية زمنية لها فعلها في الخارج، وعندما ينضب فعله يركن الشاعر إلى ماضيه ليثبت ذاته أمام محبوبته ، ويكون سبيله إلى ذلك الخيال حيث أن ((الخيال هو القوة المحركة))(2). فهو الذى يحرك العالم الداخلي للشاعر ويدفعه إلى استحضار تلك الأيام السعيدة ، لمواجهة زمن الغبن الذى أصبح يعاني من ثقله .

أتنسين أيّامنا باللِّوَى ... وأيّامنا بذوي الأجفرِ ؟
أما كنت ابصرتني مرة ... ليالي نحن بذى جَهْورِ
ليالي أنتم لنا جيرة ... ألا تذكرين ؟ بلي فاذكرِى
وَإذْ أنَا أغْيَدُ غضُّ الشباب ... أجرّ الرداء مع المئزرِ
وإذْ لمّتي كجناح الغراب ... تُرجَّلُ بالمسكِ والعَنْبَرِ

إنّ أيام الشباب هي الزمن الحقيقي للشاعر، ولذلك فهو يقدم نفسه في صورة الأمس ويريد من محبوبته أن تعترف له بذلك، بل يطلب منها أن لاتنظر إلى ماهو عليه اليوم ولكن يجب أن تنظر إلى ماكان عليه بالأمس (لاتذكرين؟ بلى فاذكرى .) فالإلحاح على

---

1 - غاستون باشلار جماليات المكان ص : 69

2 - ألن تين دراسات في النقد تر: عبدالرحمن باغي مكتبة المعارف بيروت ط 2/ 80 ص : 45

طلب التذكر يبين مدى الغبن الذى أصبح يحس به الشاعر أمام محبوبته، بسبب مالحق ذاته من جراء مرور الأيام والليالي، ولذلك فهو لايريد أن يعترف بحاضره الحقيقي ، لأنه يرى أن عمره الحقيقي هو ماضيه .

ولكن على الرغم من إحساسه بالهزيمة أمام فعل الزمان فيه فإنه يعترف بتلك الحقيقة التي لاتغيب عن ذهن الإنسان في هذا الوجود ، ألا وهي قدرة الزمان على تغيير الأشياء .

فَغَيَّرَ ذلك ما تَعلمِينَ تَغَيُّرَ ذَا الزَّمَنِ المُنْكَرِ

فالزمان هو القوة القادرة على إحداث التغيير في كل مايوجد في هذا الوجود ولكن الشاعر العذرى ورغم ادراكه لذلك إلا أنّه يستثني محبوبته ، فهو يمنحها ((القدرة المذهلة على الهروب من الزمان، والإحتفاظ بالشباب الخالد))(1) وكأنها هي التي تتصرف في الزمان وتسيره كما تشاء وكيف ما تريد.

وأنتِ كلؤ لُؤَةِ المرزُبانِ بِماءِ شبابِكِ لَمْ تُعصِرِي

قريبانِ مَربَعُنا واحِدٌ فكيف كَبِرْتُ ولم تَكْبَرِي؟

فالمقارنة هنا بين الشاعر ومحبوبته هي مقارنة زمانية. وكأن جميل هنا يريد أن يقول لبثينة لقد مضى زماني ، ولكن زمانك يا بثينة لايزال جديدا كما هو لم يتغير .

وهكذا ((فزمن جميل هو هذا الزمن القاهر المفروض من الخارج، والذي يفتت ويغير، وهو زمن يتساوق مع الآلام التي يعيشها جميل ، إنه زمن العبء. إنه زمن الماضي. أما زمن بثينة فلم يأت بعد. كأنه يتحرك متجها إليها من نقطة بعيدة . لذلك فهي لاتنوء تحت أعباء الزمن الماضي ، وهي لذلك لاتتغيّر ولاتكبر إنّما تظل في فتوة دائمة))(2).

1- طاهر لبيب سوسيولوجية الغزل العربي ص : 116

2- أونيس (على احمد سعيد) الثابت والمتحول ج : 1 دار العودة بيروت ط 1/ 1980 ص : 236/235

فالمحبوبة في نظر الشاعر العذري هي الزمان ولذلك فهي دائمة الشباب أما هو فانه معرض لحكم الزمان، يعيش تحت رحمته . لذلك يبقى سؤ اله يتكرر دائما (فكيف كبرت ولم تكبرى ؟....) . إن هذا السؤ ال يحمل بين طياته تلك الغيبة الكامنة في نفسية الشاعر والمتمثلة في ذلك الحنين الدائم إلى أيام الشباب ، والنفور من الشيب الذى يحرمه من لذة الاستمتاع بالحياة ، كما استمتع بها أيام الشباب والفتوة .

2-الجدب

إذا كان الخصب هو الرمز الدال على الحياة والبقاء، فالجدب هو الرمز الدال على الموت والفناء. ومن ثم فزمن الجدب هو الزمن النقيض لزمن الحياة. ولذلك فصورة الجدب تثير في ذات الشاعر الإحساس بالنهاية والإندثار وفقد الصلة بالحياة . إن الجدب أكثر ما يتمثل في الخطاب الشعرى العذرى يتمثل في الطلل. فالطلل هو خلاصة الجدب الشاخص في المكان أمام الشاعر والدال على زوال الحياة من المكان .

يقول جميل بثينة .

عرفتُ مَصِيفَ الحَيِّ والمُتربَّعا ... كما خطَّتِ الكَفُّ الكِتابَ المُرجَّعَا

مَعارِفُ أطلالٍ لِبَثنَةَ أصبَحَتْ ... مَعارِفُها قَفْرًا من الحيِّ بَلقعا (1)

فالشاعر في هذين البيتين يتعرض إلى صورة المكان الماثلة أمامه، بعدما غيّر الجدب ملامحه . فأصبح مكانا قفرا ساكنا ، وغابت عنه حركة الحياة. ومن ذلك فالجدب هو رمز لزمان زوال الحياة من المكان . فجدب المكان معناه نهاية الحياة به .

يقول مجنون ليلى

شجتنى وأبلتنى منازلُ دُرَّسُ ... أُسَائِلها عمَّن عَهِدْتُ وتَخْرَسُ

وعهدي بِهَا محفوفة ببدائع ... تَحُلُّ بمغناها بُدورٌ وأَشمسُ (2)

1- جميل بثينة ديوانه : ص : 62/61

2 - مجنون ليلى ديوانه : ص : 134

فالشاعر يبين في هذين البيتين بأن مظاهر الجدب قد إكتست المكان، وغيرت ملامحه فبعد أن كانت عامرا بالحركة والحياة أصبح يخيّم عليه الموت والسكون .

وهذا التغير الذي حل بالمكان جعل الشاعر يحس بالوحشة والغربة ، فلا أنيس ولا رفيق ولا من يجيب عن سؤاله (أسائلها عمن عهدت وتخرس ...) وهذه الصورة لحاضر المكان دفعته إلى استحضار زمن الماضي حيث أن ((صورة الخراب تثابر على مثول الزمن بين ثناياها))(1). فوجه المكان المرتبط بالحياة لايزال عالقا بذاكرة الشاعر.

وعهدي بها محفوفة ببدائع تَحُلُّ بمغناها بدورٌ وأشمسُ

فالصورة الماضية للمكان ، صورة الحياة والحركة والحب لايمكنها أن تغيب عن ذاكرة الشاعر لأنها تمثل زمن الحياة بخصبها وجمالها . والشاعر هنا يواجه زمانين: الحاضر حيث المكان تحت سيطرة زمن الفناء والجدب (منازل درس).والماضي عندما كان هذا المكان مملوءً بالحياة والحركة والخصب والجمال والسعادة (وعهدي بها محفوفة ببدائع).وزمن الشاعر هو الزمن الثاني لأنه زمن الحياة، أما الزمن الأول فهو زمن الموت .

يقول كثير عزة :

غشيتُ لليلى بالبَرُودِ مساكنًا تَقادَمْنَ فاستنَّتْ عليها الأعاصرُ

وأوحَشْنَ بعد الحيّ إلا مسكنًا يُرَيْنَ حديثاتٍ وهنَّ دَوائِرُ

وكانت إذا أخلت وأمرعَ ربْعُها يكونُ عليها من صديقِكَ حاضرُ

فقد حفَّ منها الحيُّ بعد إقامة فما إنْ بها الا الرياحُ العوائِرُ

كأن لم يُدَمِّنْها أنيس ولم يكن لها بعدَ أيّامِ الهدَ مْلَةِ عامِرُ(2)

ولم يعتلجْ في حاضِرٍ متجاورٍ قفا الغَضْيِ من وادي العُشيرَةِ سامرُ

يتعرض الشاعر في الأبيات السابقة إلى صورة المكان الماثلة أمامه، بعد أن داهمة الجدب ، وأزال ماكان به من خصب وحياة . ولذلك فالشاعر هنا يقف على نقيض الحياة التي كانت وإنتهت ، وقد عهد فيها أسباب البقاء والتمتع بالمحبوبة .

1- يوسف اليوسف مقالات في الشعر الجاهلي وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق 1978 ص :166

2- كثير عزة ديوانه ص :371/ 372

- الهدملة: الدّهر الذي لايتوقف عليه الطول التقادم

- الاعتلاج: المصارعة والممارسة والمغالبة . - الغضي: جبيل صغير - ذو العشيرة: اسم مكان

إن المظهر المقفر الماثل أمام الشاعر قد شل الحركة التي كانت به. وقد عبرعن ذلك في أشكال تعبيرية زمنية مناسبة للجدب مثل الأفعال التالية (تقادمن - أوحشن - لم يدمنها ...). إن هذه المظاهر الدالة على أفول الحياة من المكان زادت من خوف الشاعر واحساسه بالغربة والضياع حيث أن ((المحافظة على الحياة بقوة عنيفة تقضي على كل اتزان فكرى وحركي وتجعل الشخص يشعر بالتهديد المستمر ويؤدى به ذلك إلى عدم الإستقرار ، ويكون الخوف من الموت الكامن في كل نفس موجها الفكر والنشاط النفسي إلى القرار السلبي والايجابي))(1). إن إحساس الشاعر بالقلق والحزن جاء نتيجة غياب الوجه الحياتي للمكان من جهة وغياب الحضور الحقيقي للذات المحبوبة من جهة أخرى.

ومن ذلك فالجدب هو رمز للزمن المدمر الذى يزيل الحياة من المكان، ويمحو كل مظاهر الخصب التي كانت قائمة به . وهكذا فمن مظاهر الجدب يتولد الخوف من الموت وزوال الحياة ، ويدفع الشاعر إلى التشبث بالحياة أكثر.

3- القدم والبلى:

ومن الرموز الدالة على الفناء في الخطاب الشعرى العذرى نجد القدم والبلى. فتحول الزمان من حال إلى حال لايترك الأشياء على حالها بل يبدلها ويغير فيها ، فما كان حاضرا يصبح ماضيا و وماكان جديدا يصبح قديما ، وبقدم الشئ يفقد صلته بالحياة.

يقول كثير عزة:

غشيتُ لليلى بالبَرودِ مساكنا ... تَقادَمْنَ فاستنَّت عليها الأعاصرُ

وأوحَشْنَ بعد الحيِّ الآهلاتِ ... يُرَيْنَ حديثاتٍ وهنَّ دواثِرُ(2)

فمساكن المحبوبة- والتي كانت آهلة بالحياة - قد تبدلت وتغيرت ولحقها القدم ، فأصبحت موحشة تنفخ فيها الأعاصر وكأنّ الحياة لم تعرف فيها في يوم من الأيام .

1- د. ابو مدين الشافعي الصراع النفسي دار الفكر العربي القاهرة/ 1950ص : 45/ 46

2- كثير عزة ديوانه: ص : 371

إن القديم في نظر الشاعر العذري هو أحد الرموز الدالة على الفناء والموت وزوال الحياة، وهو مثله مثل البلى الذي يلحق الأشياء فينهي صلتها بالحياة .

يقول جميل بثينة :

خليليَّ عُوجا بالمحلَّةِ من جُمْلِ ... وأترابِها بين الأُجَيْفرِ فالخَيْلِ

نَقِفْ بمَغانٍ قد مَحا رَسمَها البِلى ... تُعاقِبُها الأيّامُ بالرّيحِ والوَبْلِ (1)

فالبلى هو رمز لزمن الفناء الذي يمحو الأشياء من الوجود ، وبذلك فهو نقيض التجدد والحياة .

إن الحياة التي كانت قائمة بالمكان قد أزالها البلى - الذي حل به - من الوجود (نقف بمغان قد محا رسمها البلى) فأصبحت خرابا يخيم عليه سكون الفناء بعد أن ودع الحياة وسكنه الموت .

4- الدهر :

ليس هناك فرق واضح بين الدهر والزمن في موروث الشعر العربي القديم (2). فالدهر هو الزمن عند الشاعر الجاهلي. فقد كان شعراء ذلك العصر ((ينسبون إلى الدهر عامة ما يكرهون من فرقة أو فقر أو موت ونحو ذلك))(3). وهذا المفهوم للدّهر بقي كما هو تقريبا عند الشاعر العذري، فالدهر في نظره يرتبط بالقهر والظلم والفناء، وإنه هو الذي يقف وراء كل المصائب التي يتعرض لها الشاعر في حياته.

يقول مجنون ليلى

أيا ليلَ زِنْدُ البَيْنِ يقدَحُ في صَدْري ... ونارُ الأسَى ترمي فُؤادِيَ بالجمْرِ

أَبَى حَدثانُ الدَّهرِ إلاّ تَفَتُّتاً ... وأَبَّى هَوًى يَبْقَى على حَدَثِ الدَّهْرِ

تَعَزَّ فإنَّ الدَّهرَ يَجْرَحُ في الصَّفا ... ويقدَح بالعُصْرَيْنِ في الجبلِ الوَعْرِ (4)

---

1 - جميل بثينة : ديوانه ص : 88

2- ينظر أبو هلال العسكري الفروق في اللغة دار الأفاق الجديدة بيروت ط 3/ 79 ص: 263 فقد جاء فيه أن(الفرق بين الدهر والمدة أن الدهر جمع أوقات متوالية مختلفة كانت أو غير مختلفة ولهذا يقال الشتاء مدة ولا يقال دهر لتساوي أوقاته في برد الهواء وغير ذلك من صفاته، ويقال للسنين دهر لأن أوقاتها مختلفة في الحرّ والبرد وغير ذلك)

3- مصطفى عبد اللطيف جياووك الحياة والموت في الشعر الجاهلي وزارة الإعلام العراق: 77 ص : 91

4- مجنون ليلى: ديوانه: ص: 117/116

ويقول ايضـا :

وتالله إنّ الدّهرَ في ذاتِ بيننـا ... عليَّ لها في كلِّ حالٍ لَجائِـرُ (1)

ويقول كثير عزة :

سيهلِكُ في الدُّنيا شفيقٌ عليكُـمُ ... إذا غالَهُ من حادثِ الدّهر غائلُـهْ (2)

فهذه الأبيات تبين مدى إحساس الشاعر العذري بوطأة الدهر وظلمه له وتسلطه عليه واحداثه الفواجع به . والتعابير التالية تدل على ذلك (أبى حدثان الدهر إلاّ تمتتا).(تعزَّ فإنّ الدّهر يجرح في الصفا). (إنّ الدّهر ... علي لها في كل حال لجائر).(إذا غاله من حادث حادث الدّهر غائله). وهكذا فالدّهر في نظره يرتبط بالقسوة والظلم والقهر وأنه هو سبب كل النوازل والمصائب والغوائل التي تصيبه ، وبذلك أدرك بأن ((الزمن القاتل الذى يهدم الكل ، عواطف وأشياء ، إنّما هو الدّهر))(3). فهو القدر المسلط على رقاب العباد لاينجو منه أحد .

يقول كثير عزة :

فأصبحتُ مما أحْـدثَ الدّهرُ خاشعًا ... وكنتُ لريـبِ الدّهرِ لاأتخشّـعُ (4)

وها هي حقيقة الدهر تظهر للشاعر بعدما خفت عنه أيام الماضي السعيد ، حيث كان كل ما يرغب فيه ميسورًا ومحققا ، وها هو فجأة ينقلب عليه ويكشف عن وجهه القبيح ، فتتدافع المحن على الشاعر العاشق لتبرح به ، وأصبح يحس وكأن الدهر يقف له بالمرصاد لايغفل عنه لحظة ، بل يراقبه في حركاته وسكناته .

يقول مجنون ليلى :

ألا أيُّها البيت الذى لا أزوره ... وهجرانهُ مني إليه ذنوبُ

هجرتك مُشتاقا وزرتك خائفا ... وفيك عليَّ الدهرَ منك رقيبُ (5)

فالدّهر في نظر الشاعر هو الذى يقف وراء معاناته ، وهو الذى يحرمه من محبوبته . وبذلك يحرمه من زمان المتعة والهناء .

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص : 99

2 ـ كثير عزة ديوانه: ص : 420

3 ـ ج ـك ـ قادية الغزل عند العرب ج1 تر/ ابراهيم الكيلا ني وزارة الثقافة والارشاد القومي سوريا ص : 67

4 ـ كثير عزة ديوانه: ص : 405

5 ـ مجنون ليلي ديوانه: ص : 43

الفصل الخامس :

التدرج الزمني داخل القصيدة العذرية

يعد الشاعر العذري أكثر من غيره إحساسا بالزمان ، وادراكا لفعله في ذاته وفيما يحيط به، لأن((الشعور بالزمان يبلغ أوجه في الحب))(1). فالشاعر العذري شاعر مسكون بالحب منغرس فيه، لاتستقيم حياته بدونه يعيش حالة من الشوق الدائم لذات المحبوبة، لذلك كان زمانه زمان الخبرة الخاضع لحركة النفس، زمان تلونه الذات بالوانها، يتوزع داخلها بطريقة غير متكافئة تبعا للحالة التي تكون عليها من فرح أو حزن ، ومن ثم فمرّة تحس بطول الزمان ومرّة تحس بقصره: فهي تحس بقصر الزمان لحظة اللقاء، لأن الحضور المادي للمحبوبة ، وما يرافقه من شعور عاطفي لايمكن للذات العاشقة أن تقاومه في تلك اللحظة ولذلك يغيب إنشغالها بلحظات الزمان، فتحس بسرعته وقصره ، لأن اللقاء لم يخفف من ظمأ الذات. فالذات الإنسانية تحس دائما بقصر زمان السعادة لأنها تخاف زوال المتعة الآنية التي تنعم فيها. فقد ترسب في لاشعور الإنسان منذ أن فقد عالم الفردوس، الخوف من ضياع زمان الفرح والسرور. ولذلك فالشاعر العذري أثناء لحظة اللقاء يحاول تجميد اللحظات الزمانية حتى لاتنفلت منه وتغيب في ركام الماضي وتأخذ معها لذة اللقاء. ولكن هيهات أن يتم لها ذلك فزمان الفرح يتسم بسرعة الزوال. أما الإحساس بطول زمان الفقد، فيرجع إلى شعور الذات العاشقة بالفراغ والغربة والوحشة بسبب الغياب المادي للمحبوبة . ولذلك فالزمان الذي يهيمن على ذاكرة الشاعر العذري، هو زمان اللقاء، لأن العذري يتوق دائما إلى تلك اللحظة المفرحة الغائبة في رحم المستقبل والتي يأمل أن ينعم فيها بالمحبوبة في غفلة الوشاة والرقباء. وهكذا فالشاعر العذري يعيش زمانين ، زمان اللقاء وزمان الفقد.

1 ـ زمان اللقاء :

يعيش الشاعر العذري في واقعه الحياتي بين زمانين متضادين، أحدهما يربطه بالحياة وبالمحبوبة، والآخر يبعده عن الحياة ويربطه بالموت. فالأول هو زمان اللقاء، والثاني هو زمان الفقد. والذات العذرية ألصق بزمان اللقاء لأنه أثمن زمان لديها ، بل هو الزمان الحقيقي الذي تحس فيه الذات الشاعرة بوجودها في الحياة ، فزمان اللقاء هو الزمان الإيجابي الذي ترغب فيه الذات العذرية وتتمنى حلوله.

---

1 ـ د . عبدالرحمن بدوي الموت والعبقرية وكالة المطبوعات الكويت ص : 43

يقول كثير عزة (1).

وَأنتِ المُنَى يا أُمَّ عمرٍو لو أنَّنا ... نَنالُكِ أو تُدْنِي نواكِ الصَّفائِفُ (2)

لأصبحتُ خلوًا من همومٍ وما سرتْ ... عليَّ خيالاتُ الحَبيبِ الطوارقُ.

فالمحبوبة هي زمان الشاعر العذري الذي يبحث عنه في حياته ، إن ظفر بها ظفر بالحياة ومتعها ، وإن فقدها فقد الحياة. ومن ثم فحياته لاتستقيم بعيدا عن المحبوبة. ولذلك فزمان اللقاء ، هو الزمان الذي تتخلص فيه الذات من هموم زمان الفقد الذي يعذبها ويحول أيامها إلى جحيم لايطاق .

يقول جميل بثينة :

حلفْتُ لِكيما تَعْلَمِينيَ صادقًا ... وَلصِّدقُ خيرٌ في الأُمورِ وأَنْجَحُ

لَتَكليمُ يومٍ من بُثَينَةَ واحدٍ ... أَلَذُّ من الدُّنْيا لَدَيَّ وأَمْلَحُ

مِن الدَّهرِ لو أَخْلُو بِكُنَّ وإنَّما ... أعالِجُ قَلْبًا طامحا حيثُ يَطمَحُ (3)

إن لحظة الظفر بالمحبوبة ، هي لحظة الإنتصار على الزمان ،لأن نشوة اللقاء لاتتحقق إلا بمعزل عن الزمان الوتمثل في الرقباء والوشاة . فالأبيات السابقة تبين بأن حياة الشاعر العذري لاتعرف طعم السعادة والهناء إلا لحظة اللقاء بالمحبوبة ، ففي تلك اللحظة ينسى الشاعر همومه وأحزانه ، ويعيش برهة زمان الفرح التي تنقله إلى خارج دائرة حكم الزمان . إن الذات العذرية أثناء لحظة اللقاء تغيب عن دائرة الزمان المحكوم بالدورة الفلكية ، وتعيش زمنا نفسيا لاقياس له. لذلك كان الحجم الزمني لتلك اللحظة السعيدة يساوي عند الشاعر دهرا بأكمله. أمّا زمان الفقدفلا فائدة فيه وإن طال، لأنه زمان موسوم بالقهر والظلم والشقاء. ومن ثم كان الفرق بينه وبين زمان اللقاء ، فلحظة اللقاء وإن قصرت فهي أثمن عند الشاعر لأنها لحظة إرتباط بالحياة.

---

1 ـ كثير عزة ديوانه: ص: 415 / 416

2 ـ الصفائف: صوارف الخطوب وحوادثها .

3 ـ جميل بثينة : ديوانه: ص : 21

يقول مجنون ليلي :(1).

الله يعلم أن النفس هالكـــــة بالياًس منك ولكنّـــي أُعَنّيهـَـا (2)

مَنّيْتُكِ النفسَ حتي قد أضرَّ بهـــا واستيقنَتْ خُلْفًا مما أُمَنّيهـَـا (3)

وساعةً مِنْكِ ألْهُوهَا وإنْ قَصُرَتْ أَشْهى إليَّ من الدنيا ومافيهـَـا

فالشاعر العذري لايحس بإرتباطه بالحياة إلا لحظة التمتع بالمحبوبة، ومن ثـــم فزمان العذري هو زمان عشقي محكوم بتلك العلاقة الوثيقة بين الشاعر ومحبوبتـــه، ولذلك فزمان اللقاء زمان حيّ وإن قلّ، أمّا زمان الفراق فهو زمان ميّت وإن طال.

يقول مجنون ليلي :

وإنّـي وإن لم أَتِ ليلـى وأَهْلَهـا لبَاكٍ بُكَا طِفْـلٍ عليه التَّمائِـــمُ

بُكًا لَيْسَ بالنَّـزْرِ القليل ودائـــمٌ كما الهَجْرُ من لَيْلـى على الدَّهْرِ دَائِمُ (4)

إن تعلق الشاعر العذري بمحبوبته إلى درجة التقديس والارتباط الطفولي، جعلـه يرى في لقائها السعادة وبعدها الشقاء. ولذلك فضياع المحبوبة في نظره لايقـــل عن ضياع الحياة ونعيمها. وتعطش الشاعر للحظة اللقاء هو الذي جعله دائم الشكوى من طول زمان الفقد.

يقول جميل بثينـــة :

يطولُ اليومُ إن شَحطَـــتْ نَواهـا وحَوْلٌ نَلتقي فيـــهِ قَصيـــرُ

وقالوا: لايَضيرُكَ نَأيُ شهـــرٍ فَقلتُ لصاحبيّ : فَمَنْ يَضيـــرُ (5)

يقول كثيـــر عزة :

وكنت إذا ماجئتُهـــا بعد هجـــرةٍ تقاصرَ يومَيْذٍ نهاري وأُغيمَـــا (6).

تبين الأبيات السابقة تلك المفارقة الواضحة بين زمان اللقاء وزمان الفقـــد في نظر الشاعر العذري، فإن كان الأول قصيرا، فالثاني طويل، وهذا التحول فـي الإحساس بالزمان وتغيراته راجع إلى مايواجهه الشاعر العذري من حرمان وبعـــد

1- مجنون ليلـــى : ديوانه: ص : 224

2- أعنيها: أكلفها مايشق عليها 3- خلفا جمع خليف وهو المخالف للعهد.

4- المصدر نفسه : ص : 185

5- جميل بثينـــة : ديوانه: ص : 54

6- كثيـــر عـــزة : ديوانه: ص : 135

عاطفي ومكاني له لذلك أصبح يحس بأن زمان الفقد هو زمان طويل لاينتهي.(يطول اليوم إن شطت نواها ...) إن لحظة الضجر والحزن تبدو دائما طويلة، بينما لحظة الفرح والسرور تبدو قصيرة، ماتكاد تبدأحتي تنتهي .(وحول نلتقي فيه قصير...)(تقاصر يوميذ نهارى وأغيما...). وذلك لأن ((اللحظة التي نخشي أن تنتهي حالا تبدو لنا قصيرة، أما اللحظة التي نرجو إنتهاءها ونتوقعه بفارغ الصبر فإنها تبدولنا طويلة))(1). فخوف الشاعر من إنقضاء زمان اللقاء هو الذى جعله يحس في قرارة نفسه بأن زمان اللقاء قصير، وأن الزمان أثناءه يسير بسرعة أكبر من سيره أثناء زمان الفقد. وهكذا نجد أن الشاعر العذري يحس زمان لقائه بمحبوبته حتي ولوكان طويلا ، لأن شعوره بالحضور المادى للمحبوبة في تلك اللحظة ، أكبر من التعداد الزمني لليوم أوالشهر أو الحول، فعاطفة الشاعر إتجاه محبوبته لاتقدر معنى للزمان لحظة اللقاء، فلحظة الوجود العاطفي هي أكبر من لحظة الوجود الزمني، وهي مايمكن أن نسميه بلحظة الامتلاء الشعورى التي يتكسر فيها مدلول الزمان. ((إن الحب يخرس دقات الساعة، والسعادة توقف الزمن، إنّها حالة من الغفلة البريئة))(2). ومن ثم فاللقاء بالمحبوبة يغيب الإحساس بالزمان، في حين أن الفقد يعطي للزمان دلالات شاسعة واسعة .

يقول مجنون ليلى:

ويوم كَحَسْوِ الطَّيْرِ بِتْنا نَنوشُه على شُعَبِ الأَكْوَارِ واللَّيْلُ غَاسِقُ(3).

إن الشاعر العذرى يحس دائما بقصر لحظة اللقاء، مما يحرمه متعة اللقاء. وذلك لأن تقديره للزمن أثناء حضور المحبوبة هو تقدير عاطفي يقوم على اللذة، ولايقدر تقديرا عقليا تجريديا ((فالزمن يتلون هنا بلون الحالة الوجدانية التي تستولي علينا ، ومن ثم يمكن أن نتوهم اللحظة الواحدة زمنا ممدودا لاحدود له، فقد يتحول - داخل وعينا - كَمٌّ من الدقائق المعدودة إلى ساعات طويلة - - ونتصور يوما كاملا وكأنه بضعةساعات قليلة . . وعلى هذا يمكن أن نلمس حركة الزمن في ضوء مانسقطه علىٰ مجرى الأحداث من حالات شعورية ولاشعورية))(4).

1- يوسف مراد مبادى علم النفس العام دار المعارف :7 مصر ص : 255

2- سمير الحاج شاهين لحظة الابدية المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 ص : 155

3- مجنون ليلى : ديوانه: ص : 161

- ننوشه: نتناوله - الأكوار: الرحال .

4 - سعيد عبدالعزيز: الزمن التراجيدى في الرواية المعاصرة مكتبة الانجلو المصرية القاهرة/ 70 ص : 36

إن لحظة اللقاء هي لحظة مشحونة بالعطاء، ومفعمة بوجود الذات المرغوب فيها، ولذلك فتقدير الشاعر العذري للزمان يختلف من زمان الحضور إلى زمان الغياب. ومن زمان الإمتلاء إلى زمان الفراغ. فأثناء غياب المحبوبة يعيش الشاعر لحظة تجاوز الوجود الفعلي للزمان وهنا يستبدل عالما بعالم. فالتقدير الزمني في قول المجنون (ويوم كحسو الطير ....) في البيت السابق الذكر، هو تقدير ذو قي لأن الواقع العاطفي للشاعر اتجاه المحبوبة يقتضي ذلك، فزمان تمتعه بالمحبوبة في تلك اللحظة كان قدرما يحتسيه الطير، وذلك هو المقدار الزمني ليوم الشاعر، كما أن الإحساس الدائم بالضيق الزمني لحظة الحضور هو ناتج عن تخوف الشاعر من سرعته وانصرامه وإنقطاعه بسبب ملاحقة زمان الفقد له .

يقول جميل بثينة :

أراني لا ألقى بُثينةَ مرّةً من الدّهرِ إلا خائفًا أوْ على رَحْلِ (1)

فلحظة اللقاء وإن كانت قصيرة فهي محفوفة بالمخاطر والمهالك وعدم الأمن. ولذلك فخوف الشاعر العذري جاء من سيطرة زمان الغير، زمان الوشاة والرقباء ، في حين غلب زمان الشاعر . ولكن وعلى الرغم من ذلك فالشاعر العذري دائم التطلع لتلك اللحظة المفرحة ، والتي يأمل أن يجود عليه الزمان بها في يوم من الأيام .

يقول كثيرعزة :

إذا دبران منك يومًا لقيتُهُ أُؤَمّلُ أنْ ألْقاكِ بَعْدُ بأسْعُدِ (2)

إن تعلق الشاعر العذري بلحظة اللقاء جعله يتشبث حتي بتلا يبب زمان النّحس لعله يفتك من لحظاته، لحظة يتمتع فيها بلقاء المحبوبة . فالدبران وهو ((من أشهر النجوم التي يتشاءم بها عند العرب))(3). يأمل الشاعر فيه خيرا ، وأن يكون طلوعه يبشر بلقاء سعيد بعد أفوله.

الزمن الحاضر :

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه: ص : 78

2 ـ كثير عزة ديوانه: ص : 435

3 ـ د. يحي عبد الامير شامي النجوم في الشعر العربي القديم دار الافاق الجديدة بيروت ط 1/1982 . ص : 71

1 - الزمـــن الحاضـــر :

إذا كان زمان الشاعر العذري هو زمان اللقاء، وأنه الزمان الفقد هو الزمـــان المناقض له في العلاقة، ومن خلال هذا المنظور كان تعامله مع الأنات الزمانيـــة (حاضر وماضي ومستقبل) وهكذا فالنصوص الشعرية العذرية تبين بأن الشاعـــر العذري يلتفت إلى حاضره إحساسه بزمان الخواء المفرغ من كل أسباب التواصـــل بالذات المحبوبة .

إن الزمان الحاضر هو الزمان الآني الذي تعيشه الذات ، وترتبط من خلاله بالوجود الحياتي . لذلك فهو الزمان الحقيقي الذي تحس أثناءه الذات بصراعها مـــع الزمان وتدرك حقيقته. فالماضي قد إنتهى ولايمكنه أن يعود ، والمستقبل غائـــب في رحم المجهول لاتدري مايخبؤه لها وبماذا سيواجهها .

يقول مجنون ليلـــى

خرجتُ فلـــم أظفرْ وعُدْتُ فلم أفُـــزْ ... بِنَيْـــلٍ كـــلا اليَوْمَيْـــنِ يومُ بَـــلاءِ

فياحسرتـــي ما أشبهَ اليأسَ بالغنـــى ... وإن لم يكونا عِنْدنا بِسَـــــواءِ(1)

فحاضر الشاعر العذري قد أصبح زمنا للحزن والألم لأنه خال من متعة اللقاء. ومادام اللقاء لم يتحقق فيه، مادامت الذات تحس فيه بالقلق والحزن لأن ((الرغبة غيـــر المشبعة تسبب الألم))(2).

يقول مجنون ليلـــى:

متى يشتفـــي مِنْكِ الفؤادُ المُعَـــذَّبُ ... وسَهْمُ المنايا من وصالِكِ أَقْـــرَبُ

فَبُعْدٌ وَوَجْدٌ واشتِياقٌ ورَجْفَـــــةٌ ... فلا أَنتِ تُدنينـــي ولا أَنَا أُقْـــرَبُ

كَعصفورةٍ في كَفِّ طِفْلٍ يَزُمُّهَـــــا ... تذوقُ حياضَ الموتِ والطفـــلُ يلْعَـــبُ

فلا الطفلُ ذو عقْـــلٍ يَرِقُّ لما بهـــا ... ولا الطيرُ ذو ريشٍ يطير فيذهَـــبُ

ولي ألْفُ وجْـهٍ قد عرفتُ طريقَـــه ... ولَكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهَـــبُ (3)

ففي هذه الأبيات يكشف الشاعر عما أصبح يعانيه في حاضره من ألم البعد وحرقـــة

---

1 - مجنون ليلـــى: ديوانـــه : ص : 37

2 - برتراند رسل تاريخ الفلسفة الغربية ج:3تر / د. محمد فتحي الشنيطـــي الهيئة المصرية العامة للكتاب:77 ص : 388

3 - المصدر نفسة : ص : 38

الشوق . (فلا انت تدنيني ولا أنا أقرب) ، إلا أن حنين الشوق يبقى يشد الشاعر إلى محبوبته ويوقظ رغبة اللقاء في نفسه لأن ((الشوق أثر من أثار المحبة ، وحكم من أحكامها ، فإنه سفر القلب إلى المحبوب في كل حال))(1). ومن ثم فإحساس الشاعر بوطأة المعانات الداخلية هو الذى دفعه إلى نسج تلك الصورة المأساوية التي تكشف عن حالته لحظة فقده لمحبوبته وحرمانه من متعة اللقاء بها . لأن : ((السعداء لايحسون بمضي الساعات أما الأشقياء فإنهم يتحملون أبدية من العذاب المقيم))(2). ولكن حاضر الشاعر العذرى ليس دائما على هذه الصورة المأساوية . بل يحوله الشاعر إلى زمان للقاء والمتعة . ومن خلال تلك الأوصاف التي يصف بها محبوبته .

يقول مجنون ليلى (3).

بَيْضاءُ باكَرَها النَّعِيمُ كأنَّها ... قمرٌ توسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أسْوَدِ

مَوْسُومةٌ بالحسْنِ ذاتُ حَواسِدٍ ... إنَّ الحِسانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ

وترى مَدامِعُها تَرَقْرَقَ مُقْلَةٍ ... سَوْداءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوادِ الإثمِدِ

خَوْدٌ إذَا كَثُرَ الكَلامُ تَعَوَّذَتْ ... بحِمَى الحَياءِ وإنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ (4).

يقول جميل بثينة :

غَرَّاءُ مِبْسامٌ كأنَّ حديثَها ... دُرٌّ تحدَّرَ نَظمُهُ منثورُ

مطاوِطَةُ المتنين مُمَرَةُ الحشا ... ريَّا الروادفِ خَلقُها مَمكُورُ

لاحُسْنُها حُسْنٌ ولا كدلالها ... دَلٌّ ولا كوقارها توقيرُ (5)

فهذا الوصف الدقيق لجمال المحبوبة ، يكشف عن إنتقال الشاعر من حاضر خال من متعة اللقاء إلى حاضر آخر جديد مملوء بالحياة ونشوة اللقاء فالشاعر يصف محبوبته وكأنها ماثلة أمام عينيه يتمتع بجمالها وحسنها ، وبذلك حوّل حاضره من زمن للحزن والألم إلى زمن المتعة والفرح . أي أنه قام بعملية إخصاب للزمن

---

1 ـ ابن قيم الجوزية مدارج السالكين ج:3 دار الكتب العلمية بيروت ط1/ 83 ص 54

2 ـ نيقولابي برديائف العزلة والمجتمع ص : 194

3 ـ مجنون ليلى ديوانه : ص :93/92

4 ـ خود: الفتاة الحسنة الخلق الخابة ـ تقصد : تتوسط ولم تجاوز الحد .

5 ـ جميل بثينة : ديوانه : ص : 50

بفعل تجميل المرأة واستحضارها في زمن وهمي تَمْثُلُ فيه المحبوبة أمام الشاعر فيشكو إليها تباريحَ الهوى. وهو بهذا يخلق لنفسه زمنا يتم فيه اللقاء بعد أن عز حاضره بلقاء المحبوبة. وبمعايشته لهذا الزمن الجديد تشرق الحياة في نفسه فيندفع للتغني بجمال محبوبته ، محاولا بذلك توقيف سير الزمن حتي لايُذْهِب ذلك الجمال .

إن ((حس الحاضر هوالذى يخلق القيمة الإنسانيّة ، ولكن هذا الحس يبعث القلق والاشمئزاز في نفس الإنسان في أحايين كثيرة . ومع ذلك فإن هذا الإشمئزاز ، وذلك القلق لايخلقان قيمة سالبة كل السلبية إذ أن رد الفعل الناتج عنهما عند الإنسان هوموسا يشكل جانبا من قيمة إيجابية لها كثير من الأهمية))(1).

يقول مجنون ليلى:

خذى بيدى ثم انهضى بي تَبَيَّنِي ... بي الضرّ إلا أننى أتَسَتَّرُ

فما حيلتي إن لم تكن لكِ رحمةٌ ... عليّ ولا لي عنكِ صَبْرٌ فأصْبِرُ

فواللّهِ ماقَصَّرْتُ فيما أظنُّهُ ... رضاك ولكني مُحِبٌّ مُكَفَّرُ

وليس الذى يجرى من العين ماؤها ... ولكنها نفس تذوب فَتَقْطُرُ (2).

فهذه الأبيات تبين بأن حاضر الشاعر لم يصبح زمنا مفرغا من سبل التواصل والتقارب بين الشاعر ومحبوبته. بل أصبح زمنا للتواصل والتوادد واستعطاف المحبوبة ومحاورتها وبذلك أستطاع الشاعر أن يزيح عن نفسه كآبة زمن الفقد العقيم ، ويطمئنها بزمن الحوار .

يقول كثير عزة (3).

تقول إبنةُ الضَّمْرِيّ مالك شاحبًا ... وقد تَنْبري للعينِ فيك المحاسنُ (4)

جفوتَ فما تهوى حديثَكَ أيِّمٌ ... ولا تجتديكَ الآنساتُ الحواضنُ (5)

فقلتُ لها بل أنتِ حَنَّةُ حَوْقَلٍ ... جَرى بالفِرى بيني وبينك طابنُ (6)

فصدّقتِهِ في كُلِّ حقٍّ وباطلٍ ... أتاكِ به ثمَّ الأحاديثِ خائنُ

1ـ خيرى الضامن التكوين الشعري منشورات عويدات ط 1/ 1958 ص :53

2ـ مجنون ليلى ديوانه: ص :105

3ـ كثير عزة ديوانه: ص : 379

4ـ تنبرى: تعترض 5ـ تجتديك : تطلب ماعندك .

6ـ الحنة: الزوجة ـ الحوقل: المسن ـ الفرى: جمع فرية وهي القول المفترى المختلق

ـ طابن: رفيق داهٍ خب عالم به .

فلغة الخطاب في الأبيات السابقة تكشف على أن حاضر الشاعر غدا زمنا للقـــاء والمحاورة. وأن زمن الفقد قد انزاح عن كاهلة لأن الشاعر العذري يمقت الزمـــن المفرغ من التواصل ويتشبث بزمن اللقاء. إن ارتباط الشاعر بزمان اللقاء والمتعة العشقية هو الذي جعله دائم الحنين إلى ماضيه ، ودائم التطلع إلى مستقبلـــه

2-الزمن الماضوي(الزمـــن الحنينـــي):

==========

عندما يحس الشاعر العذري بفراغ وجدب حاضره، وعدم تكيفه معه ، يهـــزه الحنين إلى الماضي . لأن الماضي بالنسبة له يمثل زمن السعادة والإمتلاء بالحيـــاة . فهو زمن الطفولة والشباب والتحرر من قيود المجتمع . فالشباب فيه قوة، والذات الإنسانيّة دائمة النزوع للقوة والفتوة:

يقول مجنون ليلـــى:

تَذكَّـــرْتُ لَيْلـــى والسِّنينَ الخَواليَـــا وَأيَّامَ لاتخْشَى علىاللَّهْوِ نَاهِيَـــا (1)

فماضي الشاعر العذري هو ماضي خصب خالد نجا من قبضة الزمان. لذلك فهو دائـــم الحضور والتجدد يلتمس منه الشاعر دفئ الحياة وحرارتها لحظة جدب زمان الحاضـــر. فالماضي يمتعه بالإمتلاء بالحياة ،وماضي الشاعر العذري هوالزمان الذي يحكـــم حياته لأنه زمان ميلاد العلاقة . ولذلك فهو الزمان المتحكم في الكيان الداخلـــي للذات العاشقة :

يقول جميل بثينـــة:

بينَما نَحْنُ بالأَراكِ مَعـــــًا إذ بَدا راكِبٌ علـــى جَمَلِيـــهْ

فتأطَّرْنَ ثُمَّ قُلْـــنَ لَهـــــا أكرمِيـــهِ حُيِّيتِ في نُزُلِيـــــهْ

فَظَلِلْنا بِنعمةٍ واتَّكأنـــــا وَشَرِبْنا الحَـــلالَ من قُلَلِيـــــهْ (2)

فاستحضار الماضي من طرف الشاعر هو في حقيقة الأمر استرجاع لسعادة عاشها أيـــام شبابه ولم تعد الآن حاضره ، ولكنها لاتزال عالقة بذاكرته كما هي ((فالماضـــي يأخذ صفة الإلحاح المستمر على عقل الشاعر))(3). فتقوم ذاكرته باستحضاره لمواجهة

---

1 ـ مجنون ليلـــى ديوانه: ص : 226

2 ـ جميـل بثينـــة ديوانه: ص : 85

3 ـ د. مصطفى ناصف. قراءة ثانية لشعرنا القديم ص : 55

الحاضر المفرغ من أسباب التواصل ، وللتخفيف من التوتر النفسي الذى أصبح يعاني منه في اللحظة الآنية .

فإستحضار الماضي هو نسيان للهموم ، وحنين لنعيم الشباب وجنات الحبيب وتأكيد لرغبة الشاعر في تجديد زمنه بعدما أصيب بالعقم لحظة الحاضر. وكأن الشاعر بعمله ذلك يريد أن يكبح جريان الزمن، ويرجعه إلى أيام المتعة والشباب والإطمئنان النفسي ((فإذا تذكر المرء تجارب ماضيه السارة فقد تنسيه حاضره المؤلم، وإذا هو يعيش في ماضيه وينغمس فيه إنغماسا يشعر معه بالسرور، ففي هذه الحالة يكون شعوره الوجداني الحاضر من نوع شعوره الوجداني الماضي))(1). ويسيطر ذلك الماضي المملوء بالمتعة العشقية على ذاكرة الشاعر .

فالذاكرة هي الوعاء الذى يحفظ الزمان من التفكك و((هي التي تستطيع وحدها أن تدرك السر الداخلي للزمان، وهي العامل الزماني للخلود))(2) فتخلّدُ الماضي في الحاضر وبذلك تحافظ على التواصل الزمني ، الذى ترغب فيه الذات . إن الماضي المستعاد يشعر الذات بالإنتصار على الحاضر المفرغ من روابط التواصل الحقيقي. أي أن الإنسان يعيش زمنا متواصلا في حياته .. فالماضي والمستقبل لاوجود لهما إلاّ في الحاضر ،لأن الحاضر هوالزمن الحقيقي الذى يعيشه الإنسان ويخبر من خلاله الزمان .

وإذا كان الإنسان يعلم أن ماضيه هو الزمن الحقيقي الذى عاشه فعلا في حياته، وأنه لايستطيع الإنفصال عن تاريخ حياته ، فإن ماضي الإنسان ليس ماضيا واحدا بل هو نوعان من الماضي ((الماضي الذى كان ولم يعدله وجود الآن، والماضي الحي الذى مازال باقيا . والذى يكون جزءا متكاملا مع حاضرنا . فالماضي الذى يعيش في ذاكرة الحاضر ماضي مختلف تماما .. هو ماضي قد تسامى وساعدت أفعالنا الإبداعية على إدخاله في حاضرنا إدخالا متكاملا . وليست الذاكرة مجرد إحتفاظ أو بعث للماضي ، وإنما تقتضي الذاكرة تجديدا خلاقا ، وتحويلا مبدعا للماضي))(3).

1- د/ عبد العزيز عتيق في النقد الادبي دار النهضة العربية ط 72/2 بيروت : ص 94

2- ينقولاى برديائف العزلة والمجتمع تر/ فؤاد كامل مكتبة النهضة المصرية: 1960 ص: 177

3- المرجع نفسة ص : 166/ 167

فالماضي الذى يعيش في الحاضر هو ماضى متميز ومطلق، وليس مثل ماكان عليه لحظة كان حاضرا ، لأن الذاكرة أعطت له أبعادا أخرى، كما هو الشأن بالنسبة للحاضر الذى سيصبح ماضيا في المستقبل، فهو الآن يملك خصوصياته غير الخصوصيات التي سيكون عليها عندما يصبح ماضيا في المستقبل .والشئ الهام في تعامل الإنسان مع الزمن هوأن ((الزمن في التجربة الإنسانية ديمومة واستمرار . البداية فيه لاتنفصل عن النهاية))(1).

إنّ إحتفاظ الشاعر العذرى بماضيه حيّا متجددا ، واستحضاره له كلّما أحسّ بالضيق والكآبة في حاضره ، إنّما يعبر عن نزعة إنسانية، لايمكنه التخلص منها .

فحاضر الإنسان لايبنى إلاّ على بقايا ماضيه، وأن اللحظات الزمنية التي تمرّ منه حياته لاتتلاشي في العدم بل تبقى حاضره في الذاكرة ((إن حاضرنا لايتردى في العدم كما هو الحال في حاضر البندول . إنه يسجل في العقل والأنسجة والدم في وقت واحد . ونحن نحتفظ في داخل أنفسنا بالعلاقات العضوية والاخلاطية والسيكولوجية لجميع حوادث حياتنا .))(2) فكل لحظة تمر من حياة الانسان تسجل في ذاكرته ويبقى محتفظا بها يستحضرها عندما يحتاج إليها فهي خالدة في ذاكرته . وهكذا نجد أن الذاكرة هي الوعاء الذى يحفظ فيه الشاعر أيام حياته التي مرت من عمره. ومن ثم كانت السجل الذى يحافظ على التواصل الزمني ، وبذلك فهي المتنفس الذى يتنفس من خلاله الشاعر عندما تحاصره الهموم ويحس بالغربة الزمنية والمكانية.

إن تحرر الذات من ضيق الحاضر يبعث الماضي من جديد وكأنّه لم يمت . والماضي في النص العذرى على نوعين :

1- ماضي دنيوى معيشي:

2- وماضي أزلي كان قبل بداية صراع الإنسان مع الزمن الدنيوى.

1 -فالماضي الدنيوى المعيشي هو الماضي الذى عاشه الشاعر ولايزال يحتفظ به في ذاكرته وعندما يستحضره تغمره السعادة، ويحس بأنه لايزال مرتبطا بالحياة.

يقول جميل بثينة :

مضى لي زمانٌ لوأخيّرُ بينه ... وبين حَياتي خالدًا آخِرَ الدَّهْرِ

لقلتُ ذَرُوني ساعةً وبُثينَةً ... على غَفْلةِ الواشينَ ثم أقطعوا عُمُرِى (3)

---

1 - د. عزالدين اسماعيل قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر دار الفكر العربي ص: 245

2 - الكسيس كاريل . الإنسان ذلك المجهول تر/ شفيق أسعد فريد مكتب المعارف ط 4/85 بيروت ص : 194

3 - جميل بثينة ديوانه: ص : 45

فالشاعر هنا يرى أن أيام ماضيه هي أخير أيام عمره، ولذلك أراد أن ينفلت من مشاعر الضيق والقلق التي أصبح يعاني منها في حاضره فلم يجد سبيلا لخلاصه من ذلك إلا بالرجوع إلى الماضي . فالماضي هو زمن الخلاص من ضيق الحاضر ، لأنه زمن السعادة والإمتلاء بالحياة . ومن ذلك فساعة واحدة يعشها الشاعر إلى جوار محبوبته في غفلة الوشاة والرقباء أخير من عمر كامل يعيشه محروما منها . وكأن الشاعر بطرحه هذا يريد أن يقول بأن ماضيه وإن كان قصيرا فهو أخير وأجمل من حاضره مهما كان طويلا. وهكذا ((فأثقل قيد للنفس هو الزمان الذى إنقضى أي الماضي ، الذى تحس إزاءه بأنها مشلولة عاجزة))(1) والذى لايمكنها أن تتخلص منه وإن حاولت ذلك . لأن الإنسان يعيش بماضيه وعلى أساسه يتعامل مع الحاضر والمستقبل، ولكن يقوى ارتباطه بالماضي كلّما تقدم في العمر، فماضيه هو شبابه :

يقول كثير عزة :

فلا عيشَ إلاّ مثلُ عيشٍ مَضَى لَنَا ... مَصِيفًا أقمنا فِيهِ من بَعْدِ مَرْبَعِ(2)

ويقول مجنون ليلى:

سقَى اللّهُ أيّامًا لنا لَيْسَ رُجْعَهَا ... وَسَقْيًا لَعَصْرِ العامِرِيّةِ مِنْ عَصْرِ

لياليَ أَعْطَيْتُ البِطالة مِقْوَدِي ... تَمُرُّ اللّيالِي والسُّنُونَ وَلا أَدْرِي (3).

فهذه الأبيات تضعنا أمام حقيقة يعتقدها الشاعر العذرى وهي أن أجمل أيام حياته هي تلك الأيام التي عاشها أيام شبابه . فالماضي هو زمن المتعة والحياة (فلا عيش إلا مثل عيش مضى لنا ...) و(سقى الله أيامنا لسنا رجعها ....) وهو الزمن الحقيقي في حياة الشاعر. والشاعر ((يعود إلى الماضي ، ولاشئ غير الماضي كلعبة مارسها الإنسان في كل مكان وزمان ليبعد عنه وطأة الحاضر والمستقبل ليهرب من ذاته، ليغذى النزيف الذى يجرى في شرايينه ويتخذ شكل ذكريات تلح عليه أن يموت في ظلالها ، فيتخلص من واقع متعب ومن مستقبل يتخيله مرعبا))(4) .

وهذا الحنين القوى الى الماضي يضعنا أمام حقيقة وجودية مفادها أن الحياة استمرار وتواصل، وليست فترات زمنية منفصلة عن بعضها البعض:

---

1 ـ د. فؤاد زكريا نيتشيه دار المعارف بمصر ط: 2 ص : 144

2 ـ كثير عزة ديوانه : ص : 410

3 ـ مجنون ليلى ديوانه : ص : 121

4 ـ جلال الخياط الشعر والزمن ص : 19

يقول كثير عزة :

وماأنس م الأشياء لاأنس رَدَّهـــا غَداةَ الشَّبا أجمالَها واحتمالَهـــا

وقد لفَّنا في أوّل الدَّهْرِ نعمـــةٌ فَعِشْنا زمانًا آمنيـــنَ انفِتالَهـا (1)

إن تشبث الشاعر بماضيه وتحسره عن ضياعه يبين بأن الإنسان يبقى دائم الحنيـــن إلى ((الطفولة)) الكامنة في أعماق ذاته وهو لايريد أن ينسى تلك الفترة مـــن عمره لأنها بالنسبة إليه ((دنيا حافلة بالذكريات لايمل الحديث عنها ، ولايفتـــأ يذكرها ويستر جعها في شوق جارف وحنين متصل وحسرة دائمة ولوعة لاتهدأ))(2).

فالشاعر يستعمل وعيه للتخلص من وطأة الزمان الحاضر والهروب إلى الماضي ليعيش سعادة أيام الشباب تلك السعادة التي لم يصبح لها وجودا الا في ذاكرة الشاعـــر

يقول مجنون ليلـــى:

سَأبْكِـي على مَافاتَ مِنّـي صَبابَـــةً وأنْدُبُ أيّامَ السُّرُورِ الذَّواهِـبِ (3)

فبكاء الشاعر عن ماضيه هو صورة لرثاء النفس بعندما ضيعت أجمل أيام عمرهـــا ، وأصبحت تواجه حاضرا مرا فقدت فيه لذة الحياة. لأن ((إنقضاء الزمن يصيب قلـــب الإنسان باليأس ويقعم نظراته بالحزن))(4). فانقضاء الزمن يشعر الشاعر بأن حياته تسير نحو نهايتها ، وأن كل لحظة تمر من عمره لاتعود ولايمكنه استرجاعها أو أن يعود هوإليها. وبذلك يدرك حقيقة وجوده، ويعلم بأن الايام السعيدة التي عاشهـــا في الماضي مع محبوبته لن تعود من جديد ، وأن الزمن لايسير إلى الوراء ولايتوقـــف وإنّما يسير دائما إلى الأمام وبسرعته المعتادة التي خلقه الله عليها. ولكـــن وعلى الرغم من ادراك الشاعر لذلك إلا أنه يبقى دائم الحنين إلى ماضيه يَـــوَدُّ لوعاد به الزمان إلى الوراء ليكمل رسالة حبّه . فالإنسان ((يظل دائما فـــي شوق إلى الطفولة وتحسر على الوقت الذى مضى يحاول عبثا التمسك بتلابيب العمـــر الهارب))(5). ولايعنى ذلك أن الشاعر قد بلغ درجة الضعف والانهيار أمام وطـــأة

---

1 ـ كثيـــر عزة ديوانه: ص : 76

2 ـ يوسف خليف ذو الرمة شاعر الحب والصحراء دار المعارف بمصر ص : 125

3 ـ مجنون ليلـــى ديوانه: ص : 60

4 ـ نيقولاى برايائف العزلة والمجتمع ص : 168

5 ـ سمير الحاج شاهين لحظة الأبدية المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1/80 بيروت . ص : 241

الزمن، وإنما من أجل بعث الإتزان في ذاته بعدما لحقها من جراء تحول الزمن وما أحدثه من تغير في الكون وفي ذاته والإنسان بطبيعته يهرب إلى ماضيه ليشعره بالإطمئنان ويبعد عنه الخوف .

والشاعر العذري هو بدوره لايريد أن يفرط في ماضيه لأنه زمان التمتع بالمحبوبة وزمان سعادة أيام الشباب . ولذلك يتحقق الحضور الدائم للماضي في حاضره، ومن خلال ذلك الترابط بين الماضي والحاضر تظهر لنا تلك الحقيقة الزمنية، والمتمثلة في أن الحاضر هو الزمن الحقيقي الذي تعيشه الذات الإنسانية، وهو الذي يربطها بالماضي ويصلها بالمستقبل. ففي الحاضر تستحضر الماضي وتحلم بالمستقبل .((والزمان المستعاد ليس محاولة لتفسير الماضي والمستقبل فحسب وإنما يمثل هذا العمل إنتصارا حقيقيا على شر الزمان))(1).

- الماضي الأزلي:

على الرغم من تشبث الشاعر العذري بماضيه الذي عاشه حقيقة ، إلا أنه لم يبق حبيس ذلك الماضي الدنيوي بل يتجاوز ذلك إلى ماضي أبعد منه، ماضي أزلي قبل أن يصاب الإنسان بزمان الفناء الدنيوي:

يقول جميل بثينة :

تعلق روحي روحَها قبلَ خَلقِنا ... ومن بعد ماكُنّا نِطافًا وفي المهدِ

فزاد كما زدنا فأصبحَ ناميا ... وليسَ إذَا متنا بِمُنتقَضِ العهدِ

ولكنّه باقٍ على كلِّ حالةٍ ... وزائِرُنا في ظُلْمَةِ الْقَبرِ واللَّحْدِ(2)

فالإرتباط الروحي بالماضي الأزلي هو وليد الثقافة الإسلامية ، وبذلك استطاع الشاعر العذري ان يتغلب على التفلك الزماني الذي يعيشه في واقعه الدنيوي ويعيش ديمومة زمان الحب .

فنظرة الشاعر إلى الماضي الازلي جاءت نتيجة تأثره بالقرآن الكريم وقوله (تعلق روحي روحها قبل خلقنا ....) يكشف عن بعد في الزمان حيث أن هذه النظرة جعلت الشاعر يتجاوز الماضي التاريخي للانسان، الذي عاشه أيام شبابه، إلى ماضي أبعد منه، (ماضي الماضي إن صح هذا التعبير) ليؤكد حضوره العشقي في عالم الروحنيات

1- نيقولاي بردياف العزلة والمجتمع ص : 172/171

2- جميل بثينة ديوانه ص : 34

الأزلي قبل نشأة الجسد الفاني .

إن الشاعر العذري يعيش بكيانه الداخلي خارج الزمان الدنيوي المفكك المحكوم بالزوال والإنتهاء . وبهذه النظرة لمفهوم الماضي يكون الشاعر قد أعطى بعدا جديداللزمان الماضي ولموقف الإنسان منه . وأن ماضي الإنسان ليس محصورا في ماضيه الدنيوي المعدود بلحظات الزمن الدنيوي ، بل هو يمتد إلى ماضٍ أبعد لايمكن للزمن الدنيوي أن يحيط به أويدخله في تعداده ، ماضٍ كانت الروح فيه متحررة من قبضة الجسد الفاني وربقة التحكم الزمني الدنيوي . وبهذا المفهوم الجديد للزمان الماضي يتميز الخطاب الشعري العذري عن غيره ، وأنه هو الوحيد الذي استلهم من الإسلام رؤيته للزمان والمكان فكان طرحه أصيلا .

ولذا كان ((إنقضاء الزمن يصيب قلب الانسان باليأس ويفعم نظراته بالحزن))(1) . فإن الشاعر العذري لايطرح فكرة المضي والانتهاء بل عنده العلاقة في تواصل دائم منذ أن تكونت الأرواح الإنسانية في العالم الأزلي وقبل أن تسكن الأجساد إلى يوم البعث في العالم الآخر .

---

1 - نيقولاي برديائف العزلة والمجتمع ص : 168

3-الزمن الإستشـــــرافـــي:

عندما يتأكد الشاعر العذرى من أن ماضيه قد انتهى ولن يعود أبدا حتـــى ولوبقى متعلقا به . وأن حاضره قد أصبح عاجزا عن تحقيق أمانيه العلشقية يهـــزه الشوق إلى المستقبل ولن كان يعلم في نفسه من أن المستقبل غائب ومجهول، وأن الانسان يخاف دائما من المجهول . والتعلق بالمستقبل هو في الحقيقة رفض لفعل الزمـــن ، ورفض للفناء والإندثار ومحاولة للتشبث بالبقاء، وتعبير عن التواصل الزمانـــي الذى لاينقطع . فطبيعة الزمان لاتتوقف على الجريان نحو المستقبل إننا ((لانستطيع أن نعكس إتجاهه ونعيد الماضي ، فهو يحملنا معه بلا هوادة، دون أن يمنحنـــا فرصة للراحة))(1). ومن ثم فالشاعر العذرى المحروم من محبوبته يرى بأن تحـــرره من وطأة الزمن الحاضر لايكون إلا في إشراقات الفرح الآتي .

وهكذا فالزمان الاستشرافي هو الزمان الذى يتطلع إليه الشاعر وهو يأمل بأن تشرق عليه الحياة فيه فيكون التواصل والاطمئنان والاستقرار وعند ذاك يكون الشاعـــر العذرى قد حقق ماكان يحلم به .

ولكن الخطاب الشعرى العذرى يطرح هذا النوع من الزمان على نوعين:

أ- زمن إستشرافي دنيوى معيشي أي المستقبل الذى يتطلع إليه الشاعر في الحياة الدنيوية .

ب- زمن إستشرافي أخـــروى غيبي أي زمن مابعد الموت في عالم الخلود والبقاء .

أ- الزمن الإستشرافي الدنيـــوى:

وهو الزمن المستقبلي الذى يتطلع اليه الشاعر العذرى لكي يحقق فيه أمنيته التي عجز عن تحقيقها في زمنه الحاضر والمتمثلة في العيش إلى جوار المحبوبـــة في هناء واستقرار بعيدا عن الوشاة والرقباء. وبما أن الشاعر العذرى يعيش فـــي بيئة صحراوية قاسية قليلة الخصب مما يستوجب الحركة الدائمة بحثا ((عن الأوديـة الخصبة ولك لمناطق الجديدة الصالحة للحياة والإستقرار))(2). ففي بيئة كهذه كـــان على الشاعر أن يكثر من طلب الاستسقاء لأنه هو الأمل الذى يبعث الحياة من جديد ، لما للماء من أثر بليغ في تجديد الحياة وبعث زمن الفرح والهناء المرتبط بالمستقبل

---

1 - هانز ريشنباخ نشأة الفلسفة العلمية تر/ فؤاد زكريا المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر ط 79/2 بيروت ص : 132

2 - د. رشيد الناضورى المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضارى دار النهضة للطباعة والنشر 77 بيروت ص 278

يقول مجنون ليلـــى:

سقى اللّهُ حيًّا بَيْنَ ضَارَةَ والحِمَـــى ... حِمَى الرَّشْفِ صَوْبَ المُدْجِناتِ المَوَاطِـــرِ

آمِينَ وأدَى اللّهُ مَنْ كَانَ مِنْهُـــمُ ... إلَيْهِمْ وَوَقَاهُمْ صُـرُوفَ المَقَادِيـــرِ (1)

إضفاء أسباب الحياة والبقاء والاستقرار على المكان من طرف الشاعر العذرى هو من أجل أن يظفر بديمومة البقاء مع الذات المحبوبة. فطلب الغيث في البيتيـــن السابقتين له دلاله زمنية هي بعث الحياة من جديد مستقبلا .

لأن الماء المتولد عن المطرهو حمولة زمنية توحي بدلالة الإستشراف للحيـــاة المستقبلية التي تنجم عن سقوط المطر ، ومن ذلك فزمان السعادة والهنـــاء والإستقرار في نظر الشاعر العذرى هو زمان مرتبط بنزول المطر. وماقوله (سقى الله حيا...) و(ووقاهم صروف المقادير...) إلاّ تعبير عن مايتطلع إليه الشاعر في مستقبله والحالة التي سيكون عليها ذلك المستقبل :

يقول كثيـــر عزة (2).

أشاقـك برقٌ آخـرَ اللّيْـلِ واصِـبُ ... تصمّنـهُ لـرْش الجبا فالمَسَارِبُ (3)

يجُرُّ ويَسْتَأنِي نَشاصًـا كأنّـــهُ ... بغَيْقَةَ حادٍ جَلْجَـلَ الصَّوْتَ جَالِـبُ (4)

تألّفَ واحْمَوْمَى وخيَّمَ بالرُّبَـــى ... أحمُّ الذُّرَى ذو هيدبٍ متراكـــبُ (5)

إذا حركتْه الرّيـــحُ أرْزَم جانـــبٌ ... بلا هَزَقٍ منه وأوْمضَ جانـــبُ (6)

كما أوْمضَتْ بالعين ثم تبسمـــت ... خَرِيعٌ بدا منها جبينٌ وحاجـــبُ

يُمُجُّ النّدَى لايذكـرُ السَّيْرَ أهلُـــهُ ... ولاَ يرْجَـعُ الماشي به وهوَ جَـادِبُ

وَهبْتُ لسُعْـدى ماءَهُ ونباتَـــهُ ... كما كلُّ ذِي وُدٍّ لمن وَدَّوَاهِـــبُ

لتروي به سُعْدى ويَرْوَى محلُّهـــا ... وتُغْدِقُ أعدادٌ به ومشـــارِبُ

فهذه الوصف الدقيق لتحرك المطر وماأحدثه من سيول بأماكن عديدة يبين مدى تعلق الشاعر بالحياة وحبه للبقاء والاستقرار، ونفوره من الفناء والزوال .

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص : 116

2 ـ كثيـــر عزة ديوانه: ص : 152/151

3 ـ الصواب : الدائم الدائب ـ الجبا : شعبة من وادي الحي عند الرويثة بين مكة والمدينة

4 ـ النشاص: السحاب المرتفع بعضه فوق بعض ـ غيقة :اسم مكان

5 ـ إحمومي : أصبح اسود 6 ـ أرزم: صوت ـ الهزق:شدة الصوت .

فطلب المطر الكثير هو طلب لمستقبل مشرق تستقر فيه الحياة ويعيش الشاعر بجوار محبوبته في آمان. فالشاعر يدرك بأن((الخصب يعني إقامة الحبيبة وتنعمه بقربها ووصالها))(1). وأن نزول المطر يبعث الحياة من جديد في المكان فيتجدد الزمان ويرحل زمان الغبن والحزن والكآبة ويحل زمان الفرح والسعادة الاستقرار. حيث إن الانسان((هو الكائن الاوحد - بين سائر الكائنات الحية في الطبيعة - الذى يملك القدرة على التطلع الى ((المستقبل)) والنزوع نحو ((حالة مقبلة)) تصبح فيها ذاته أفضل مما هي عليه الآن في الحاضر))(2). إن الشاعر العذرى أكثر من غيره تطلعا إلى المستقبل ، لأن المستقبل هو الزمان الذى ستتحقق فيه أحلامه ويتخلص فيه من معاناته، على الرغم من أن الإنسان يخاف المصير والمستقبل يمثل بالنسبة اليه - المجهول - ولايدرى مايحمله له.:

يقول النابغة الذبياني:

لاَ مَرْحَبًا بِغَدٍ ولاَ أهْلاً بِهِ إنْ كانَ تَفْرِيقُ الأحِبَّةِ في غَدِ(3) .

فالغد هو الزمان المجهول الذى يخيف الشاعر ويثير قلقه.((والخوف من المستقبل هو فوق كل شئ خوف من الموت))(4). فالمستقبل يخفي بين طياته مصير الإنسان فلا يدرى بمايطلع عليه. إلاّ أن الشاعر العذري المتشبع بالقيم الإسلامية أصبح لايرى في مستقبله ذلك الزمان المخيف .

---

1 - احمد الربيعي كثير عزة حياته وشعره ص : 199

2- زكريا ابراهيم المشكلة الخلقية ص: 25/26

3- النابغة الذبياني ديوانه: ص: 38

4- نيقولاى ترديائف العزلة والمجتمع ص: 175

ب ـ الزمن الإستشرافـــي الغيبـــي:

عندما يحس الشاعر بأن الزمان الدنيوي لايمكنه أن يلبي له رغباته لأنـــه زمان موسوم بالقهر والظلم. يتطلع إلى العالم الآخر إلى ذلك العالم الغيبـــي، لكي يفوز بالزمان السرمدي الخالد ويتحرر من كل أدران الحياة الدنيوية. إذْ أنَّهُ قد عاني في الحياة وأدرك بالتجربة أن النعمة إمّا أن تتحول عنه بالاحداث الطبيعية من زمان وناس، أو يتحول هو عنها بالرحيل إلى العالم الآخر حيث ((يذهب إلـــى حياة لايفارق هو فيها النعمة ولاتفارغه النعمة))(1). وحيث تتماسك أنات الزمـــان في صورة واحدة دائمة التجدد. وهذا العالم جعل الشاعر يتطلع إلى ذلك المستقبل بشوق ويستعجل الرحيل إليه. ولوأنَّ في ((أعماق النفس منذ سن باكرة حدس خفـــي بأن الموت مصير الذات))(2). وبذلك يتجاوز الشاعر العذري مستقبله الدنيوي إلى التطلع إلى مستقبل آخر أبعد وأسعد، حيث ينعم بحياة الخلود والبقاء. وهـــذه النظرة للمستقبل الغيبي جعلت الشاعر ينظر إلى ذلك العالم نظرة خاصـــة يقول مجنون ليلـــي:

لَوْسُئِيـــلَ أهلُ الهَوَى من بعدِ مَوْتِهِـــم ... هل فرجت عنْكُـــمُ مُذْ مِتُّمُ الكُـــرَبُ

لقال صادِقُهُم أنْ قد بَلِيَ جَسَـــدِي ... لكنَّ نَار الهوَى في القلبِ تَلْتَهِبُ (3).

فمساءلة الشاعر للزمن الغيبي هو لتأكيد الدلالة التزامنية لفعل التعلـــق بالمحبوبة لأن وجود الشاعر العذري مرتبط بوجود محبوبته، فإن ظفر بها كانـــت السعادة والهناء، وإن فقدها كانت المعاناة والشقاء. ولذلك كان تطلُّع الشاعـــر للعالم الآخر لأنه سيتحرر فيه من كل القيود الدنيوية فلا موت ولاحزن ولاظلـــم ولا هجر، حياة أبدية خالية من سيطرة الزمن الدنيوي.

يقول جميل بثينـــة:

أعوذ بك اللّهُمَّ أنْ تَشْحَـــطَ النَّوَى ... بِبُثْنَـــةَ في أَدْنَـــى حَياتي ولاحَشْـــرِي

وجاوِر إذَا مِتُّ بيني وبينهـــا ... فيا جَبَّذَا موتـــي إذا جاورت قَبْرِي(4).

1ـ محمد متولي الشعراوي كيف نفهم الإسلام دار العودة بيروت: 1982 ص : 243

2ـ عبد المنعم عبد العزيز المليجي تطور الشعور الديني عند الغزل والمراهق دار المعارف بمصـــر: 1955 ص : 195

3ـ مجنون ليلـــى : ديوانه: ص : 42/41

4ـ جميل بثينـــة : ديوانه: ص : 44

الشاعر العذري يؤكد دائما على التواصل العشقي سواء في الماضي الأزلي أو في المستقبل الأبدي فحبه لمحبوبته حب دائم لاينتهي ((إنه حب خالد، روحي لايقف عند حدود المادة والجسد بل ينفذ إلى أعماق القبر واللحد))(1). فأمنية الشاعر بمجاورة قبره لقبر محبوبته بعد موتها يكشف عن ايمان الشاعر باللقاء في العالم الآخر، كما يكشف عن رغبة الشاعر في التطلع إلى ذلك العالم الخالد، ولذلك أصبح الموت عنده جسرا ((يعبر عليه من القلق إلى الطمأنينة؟ لأنه يفضي به إلى الإتحاد، بعد القضاء على كل الأحوال المتعارضة))(2). وهروب الشاعر إلى العالم الآخر هو هروب إلى الطمأنينة، إلى الزمان المشرق الذي يخرجه من الزمان الدنيوي المملوء بالآلام والأحزان.

يقول مجنون ليلى:

ألا ياليتَ لحدكِ كان لَحْدِي إذا ضَمَّتْ جَنائِزنا اللحودَ(3).

إن هروب الشاعر من الزمان الدنيوي الفاني الذي تنمو فيه الأشياء وتموت يعبر عن تلك الرغبة الكامنة في ذات الإنسان والمتعطشة دائما للبقاء والخلود.

فالشاعر يتطلع إلى الرحيل عن العالم الدنيوي لأنه في شوق إلى العالم الآخر ((على أمل أن يجمع الله بينه وبين صاحبته بعد الموت عسى أن يتحقق له في العالم الخالد مالم يتحقق في العالم الفاني))(4).

فإن الشاعر العذري دائم التعلق بذلك الزمان السرمدي المملوء بالحياة والإخضرار، والذي سينعم فيه باللقاء الأبدي الذي لايعكر صفوه لارحيل ولاوشاة ولا رقباء، زمان تشرق فيه الحياة السعيدة من جديد على صورة زمان الطفولة الأول.

وهكذا نجد القبر في الخطاب الشعري العذري يتحول من مكان للفناء والإندثار وزوال الحياة إلى مكان لبعث العلاقة بين العاشقين في عالم خالد لايلحقه الفناء. وبذلك أصبح القبر مكانا يؤطر بعث العلاقة ويرمز للزمان المطلق في العلاقة حيزا تتحرر فيه الذات العاشقة من ظلم الغير وتنعم بزمان اللقاء السرمدي.

---

1 ـ عناد غزوان: اسماعيل المرثاة الغزلية في الشعر العربي مطبعة الزهراء بغداد: 1974 ص: 35

2 ـ د. خرستونجم جميل بثينة والحب العذري دار الرائد العربي ط 79/1 بيروت ص: 218

3 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص: 83

4 ـ د. يوسف خليف تاريخ الشعر العربي في العصر الأموي دار الثقافة والنشر والتوزيع القاهرة: 1990 ص: 149

يقول مجنون ليلـــى:

فَياحُبّها زِدْني جَـوًى كُلَّ لَيْلَـــةٍ ويا سَلْوَةَ الأيّامِ مَوْعِـدُكِ الحَشْـرُ (1)

فالشاعر العذري وبعدما يُرَوِّح به الحب وأوصله الى درجة لم يعد معها قادرا علـى مفارقة المحبوبة والابتعاد عنها حتي ولوكانت في القبر أصبح يطلب المجـــاورة (وجاور اذا مت بيني وبينها ...) بل يطلب أكثر من ذلك(ألا ليت لحدا كان لدي...) فهو يطلب الضم بدل المجاورة . وأنه لم يجد سبيلا للتخلص من معاناته الا بالتطلع إلى ذلك المستقبل البعيد في العالم الآخر ، (ويا سلوة الأيام موعدك الحشـر) وبذلك يتجاوز الشاعر المستقبل الدنيوى المحكوم بالموت والفناء، إلى المستقبـل الأخروى في العالم الغيبي حيث سرمدية الزمان وخلود الاجساد. وأن((الموت بـاب يفتح على الأبدية والنعيم المقيم))(2). عالم تستمر فيه العلاقة على شاكله أيـــام الطفولة والتحرر من سلطة الغير.

1ـ مجنون ليلـــى: ديوانه: ص : 102

2 ـ د. عبدالرحمن بدوى الزمان الوجودى دار الثقافة بيروت ط3 / 73 ص : 176

2 زمـــن الفقـــد :

هـو الزمـان النقيـض للـذات في العـلاقـة تـحس اثنـاءه بالغبـن والمعاناة لان فقد الذات المحبـوبة في نظـر العـذري هـو فقـد للارتبـاط بالحيـاة .

يقـول جميـل بثينـة :

و أنـتِ التي ان شئـتِ أشقيـتِ عيشـتي وإنْ شئـتِ بعـد اللّه أنعمتِ باليـا (1)

فهـذا التعلق القـوي بالمحبوبـة جعـل الشاعـر العـذري يـرى ان هـناءه وشقـاءه بيـد محـبوبتـه . و من ذلك فالهـم العشقي عـند الشاعر العذري هـو هـمّ وجـودي يلازم وجـوده في حياتـه . و أن الخـلاص منـه لا يكـون الا بالظفر بالمحبوبة . فالمحبوبـة هـي مصدر الـداء و هـي محـل الشفـاء.

يقـول مجنـون ليلـى:

حبيـبٌ نـأى عَنّي الـزّمـانُ بـقُـربـهِ فصيَّـرني فَـرْدًا بغـيْـرِ حبيـبِ

فَلِـي قَـلْـبٌ مَحْـزونٍ وعَـقْـلٌ مُـدلّـهٍ وَوَحْـشَـةٌ مهْـجُـورٍ وذُلٌّ غَـريـبِ (2)

يكشـف الشـاعـر هنـا عـن حـزنـه و معاناتـه و ما لحقـه بسبب ظلـم الزمان له ، فهـو الذي فرق بينـه و بيـن محبوبتـه و تركـه وحيـدا يعـاني الهمـوم . و هـذا الاحساس خلق واقعـا خـاصـا بيـن الشـاعـر و الزمـان، و أصبح يـدرك بأن الزمان الذي أسرّه أيـام شبابه هـاهـو يعـذبـه الآن . فاذا كـان زمـان الماضي للاتصـال و الفـرح، فزمان الحاضـر أصبح للانفـصـال و الحـزن و هـذا التضـاد بيـن حضور زمـان الهـم ، وغيـاب زمـان الفـرح ، جـعـل الشاعـر يعيـش معضلـة الزمـن و يعـاني مـن تسلطـه عـليـه .

يقـول كثيـر عـزة :

و إن زمـانـًا فَـرّق الدّهـرَ بَـيْـنَـنـا و بينكُـمُ في صرفـهِ لمشـومُ (3)

إن الزمـان لا يـدوم على حـال، و لايترك الحيـاة تستقـر على وضـع واحـد، وهـو بتغيـراتـه الدائمـة يحـرم الشـاعـر مـن محـبوبتـه ، و بذلك يحرمـه من زمـن المتعـة ((ان آفـة الانقضاء هي التي أفسدت الحياة ، فكـل شيٍّ فيهـا منقض زائـل.)) (4). فزمـان الفقد هـو زمـــان

---

1 ـ جميـل بثينـة ديـوانـه ص : 120

2 ـ مجنـون ليـلى ديـوانـه ص : 65

3 ـ كثيـر عـزة ديـوانـه ص : 129

4 ـ صـلاح عبد الصبور قراءة جـديدة لشعرنا القديم دار العودة ط3/1982بيروت ص: 39

الشؤم الذى يعذب الذات العاشقة ويزيد من قلقها وهمومها ، لأن فقد المحبوبة معناه فقد السعادة والهناء .

وهذا التعلق القوى بالمحبوبة جعل الشاعر العذرى دائم العطش إليها لأنها هي ماء حياته ((ومن الطبيعي أن يكون ظمأ الحبيب على قدر تأجج حبه أوغلته، ولكن المحبوبة تبقى سيدة المورد الذى يروى عطشه))(1).

يقول جميل بثينة :(2)

هل الحائمُ العطشانُ مُسْقَى بشُرْبَةٍ ... مِن المُزْنِ تُرْوِي ما بِهِ فَتُرِيحُ ؟

فقالت فَنَخْشى إن سَقَيْنَاكَ شَرْبَةً ... تُخَبِّرُ أعدائي بها فتبُوحُ

إذَنْ فأباحَتْنِي المنايا وقادني ... إلى أَجَلِي عَضْبُ السلاح سَفِيحُ (3)

إنها كآبة نفس عاشقة متلهفة ترى الفارق بينها وبين ما تروم بعيدا جدا- وما احساسها بالظمأ إلا احساس بالمعاناة وظلم الزمان لها ولذلك نجد الشاعر يتساءل (هل الحائم العطشان مسقى بشربة ..) إنه تعبير عن مدى تسلط زمان الفقد عليه وحرمانه من كل سبل اللقاء.

يقول مجنون ليلى:

أَظَلُّ أُمَنِّي النَّفْسَ إيَّاكِ خَالِيًا ... كما يَتَمَنَّى بارِدَ المَاءِ صَائِمُ (4)

إن الشاعر العذرى في غياب محبوبته يعيش مأساة حقيقية مع الزمان . وأي عذاب أشد من فقد الماء في حر الرمضاء، وأي شئ اشهى للصائم من الماء البارد. إنها مأساة ذات عاشقة لاترى وجودها إلا من خلال وجود المحبوبة ولاتطمئن للزمان إلا إذا كان زمان لقاء .إما زمان الفقد فهو زمان العذاب والهم، لأنه يتسم بالثقل والطول مما يرهق الذات ويزيد في عذابها وقلقها .

وتبدأ مكابده الشاعر لزمان الفقد المشؤوم مع بداية رحيل المحبوبة وهجرها للشاعر . لأن الشعر العذرى هو معاناة منغلقة لاتنفتح على الخارج، بقدر ما تحمل تصورا مفردا وتوجها واحدا في تناول فكرة العلاقة بين الذاتين لاتتوسطهما عوامل

1- ج -ك- قادية الغزل عند العرب ج: تر/ د. ابراهيم الكيلاني وزارة الثقافة سوريا 79 ص : 92

2- جميل بثينة ديوانه ص : 25/24

3- عضب السلاح : قاطعه وهو السيف

4- مجنون ليلى ديوانه: ص : 185

أخرى تمثل عرضيه العلاقـــة .

1 زمـــن الرحيـــل:

في عالم قائم على الحركة الدائمة والمتمثلة في الرحيل ثم الاستقرار ثم الرحيل .لابد وأن تصبح فيه العلاقـة بين الشاعر ومحبوبته خاضعة لفعل الزمـان وحكمه. ومن ثم كان زمان الرحيل بالنسبة للشاعر العذرى ، زمان سلبي لايرغـب في حلوله لأنه زمان للحزن والقلق وعذاب الذات وفقد الصلة بالحياة ومتعها .

ومأساة الشاعر العذري تبدأ مع اللحظة الأولى ، التي يبدأ فيها الاستعـداد للرحيل ، ففي تلك اللحظة تتأجج عواطف الشاعر وتبلغ إنفعالاته قمتها.

يقول مجنون ليلـــى:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُفْـــدَى ... بِلَيْلَـــى العامِرِيـــةِ أوْ يُـــبَـــرا حُ

قَطاةٌ عَزَّها شَـــرَكٌ فباتَـــتْ ... تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجنَـــــاحُ(1)

هكذا تبدأ مأساة الشاعر العذرى مع بداية الإعلان عن الرحيل . ففي تلك اللحظـة يبدأ زمان الفقد يزحف بثقله على الشاعر ويبدأ الشاعر يحس بوطأته .

يقول مجنون ليلي ايضا :

كأني غـداة البين رَهْـنُ مَنِيَّـــة ... أخُو ظمـإٍ سُـدَّتْ عليه المَشـا رعُ

تخلس من يهواهُ ماءَ حياتـــه ... فلا الشُّرْبُ مبذولٌ ولا هو نَاقِـــعُ(2)

ويقول كثير عزة :

خليلي إنْ أُمُّ الحكيـــمِ تَحمَّلـــتْ ... وأخلتْ الخَيمـاتِ العُذَيْـبِ ظِلا لَهَـــا

فلا تسْقِياني مِنْ تِهامةَ بعْدمـــا ... بِلا لاً وإنْ صَوْبُ الرَّبيعِ أسالَهـــا (3).

تبين هذه الأبيات مدى مايعانيه الشاعر لحظة رحيل محبوبته ، ومايثيره ذلـك المشهد في نفسه من حزن وألم . فزمان السعادة والمتعة قد انتهى وحل محله زمـان الشقاء والعذاب ومكابده الهموم والأحزان ، وكأن كل سبل الحياة قد سدت أمامـه ولايدرى مايفعل ومارفض الحياة في غياب المحبوبة إلا دليل على ما أصبح يحس به الشاعر من قلق لحظة غياب المحبوبة . فالزمان المماهـي للـذات قد أوبدأ الزمان النقيـض لها .

---

1 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص : 73

2 ـ المصدر نفسة ص : 142

3 ـ كثيـر عـزة ديوانه: ص : 45

يقول جميل بثينـــة :

وَكُنّا جميعا قبلَ ان يظهرَ النّـــوى بانعَمِ حالَـيْ غِبْطَـةٍ وَسُـــرورِ

فما بَرِحَ الواشونَ حتّى بدت لَنـــا بُطونُ الهوى مقلوبَةً بِظهُـــورِ(1)

فبتغير الزمن تتغير حياة الشاعر ، وتنقلب من حياة للفرح يسودها زمن الهنـاء والغبطة والسرور، إلى حياة للحزن يسودها زمن الهمّ والقلق والمعاناة . وهـذا التحول يزيد من التوتر الداخلي للذات لأن الحب ((هو في أبرز خصائصه، ذلـك العذاب الأزلي للخروج من الذات واصابة الآخر، والتحقق في الآخر))(2). فمع رحيـل المحبوبة يبدأ صراع الشاعر العذري مع الزمان، لأن الزمان هو عدوه القوي الـذي لايمكنه النيل منـه :

يقول كثيـــر عزة :

وماظعنتْ طوْعـًا ولكن أزالَهـــا زمانٌ نَبا بالصّالحينَ مشـــومُ

فواحزَنا لما تفرّقَ واســـطٌ وأهلُ التي أهـذي بها وأَحُـــومُ(3)

فالزمان بتحوله وتبدله كان سببا في حرمان الشاعر من محبوبته ، فما كانت لترحل عنه لولا تغيّر الزمن وتبدله . وذلك مازاد من توتر الذات ودفعها إلى تتبع تلـك المشاهد الحركية وما نتج عنها من مشهد متحرك فوق المكان .فالظعينة وماتثيـره من مشاهد حركية ، هي تشكل زمني ناتج عن حركة الرحلة .

يقول مجنون ليلـي:

نظرتُ خِلالَ الرّكْبِ في رَوْنَقِ الضُّحَـي بِعَيْنَـيْ قُطامِيٍّ نَما فَوْقَ عُرْقُـــبِ

إلى ظُعْنٍ تَخْـذِي كَأنّ زُهاءَ هَـــا نواعِمَ أَثْـلٍ أوْ سَعِيّـاتِ أثْلَـبِ(4).

ويقول كثير عزة (5).

فإنك عمْرى هل أُريكَ ظعائِنَـــا بِصَحن الشّبا كَالدوْم من بطنِ تِرْيَمَـا (6)

نظرتُ إليها وهي تنضو وتكْتسـي مِنَ القَفْرِ آلاً كلّما زال أُقْتِمَـــا (7)

1ـ جميل بثينة ديوانه: ص : 51

2ـ دمخالدة سعيد حركة الابداع دار العودة ط 1/ 1979 بيروت ص : 63

3ـكثيـــر عزة ديوانه: ص : 127

4ـ مجنون ليلي ديوانه: ص : 64

5ـ المصدر نفسة ص : 135 و 136

6ـ الشبا : وادبالاثيل ـ تريم: وَادِيين المضايق ووادي ينبع.

7ـ اقتم: اشتـد سواده .

وقد جعلتْ أعجانَ بِرْكٍ يمينَهـــــا وذات الشّمالِ من مُريخةَ أشْأَمَـا (1)

مولّيةً أيْسارَها قَطَنَ الحِمـــــى تواعدْنَ شربًا من حمامةَ مُعلَمَـا

نظرتُ إليها وهيَ تُحدى عشيّـــــةً فأتبعْتُهم طرْفيَّ حتى تتمّمَـــا

تروحُ بأكنافِ الأفاهيدِ عيـرُهـــا نعامًا وحُقبًا بالفَدافِدِ صُيَّمَـــا (2)

طعائن يشفينَ السّقيمَ من الجـــوى به ويُخبّلنَ الصّحيحَ المُسلّمَـــا

فحركة الرحيل وماتثيره من مشاهد متحركة تحرك مشاعر الشاعر وتدفعه إلى تتبع الرحلة من بدايتها إلى نهايتها .(نظرت خلال الركب في رونق الضحى...)و (نظرت إليها وهي تحدى عشية ...) فذلك المنظر المتحرك هو صورة لتحرك الزمان وتحوله من حال إلى حال .

نظرت إليها وهي تثنو وتكتسي من القفر آلاً كلما زالَ أقتما

فوصف الشاعر لتلك المشاهد المتتالية التي أحدثها مشهد الرحيل يعبر عما أحدثه ذلك المشهد من أثر في نفسه ، وما أثاره من إنفعال داخلي تولدت عنه تلك المشاهد المتتابعة التي جعلت الشاعر يقف أمام حقيقة زمانية مكانية يعيشها الإنسان في حياته، وهي حقيقة الحضور والغياب ، الارتباط بالحياة والانفصال عنها أي حقيقة الإقامة والرحيل .

فالشاعر قد عايش أثناء متابعته لذلك المشهد زمانين في آن واحد : زمان حركي مرتبط بالحركة التي تثيرها الرحلة، وزمن ثابت ساكن مرتبط بالمكان بعد خلوه من المحبوبة والحركة التي كانت به . ومن خلال هذا المشهد يعاين الشاعر زمن البقاء والحياة، وزمن الفناء والموت، واللذين تولد عنهما ذلك المشهد الحركي الزمكاني الذي أحدثته رحلة المحبوبة .وهذا الواقع يبين بأنه ((كلما إزداد إتصال الكون بالكائن البشري ، زاد إندماج هذا الكائن في الكون بطريقة معقدة))(3) فهذا الإندماج المعقد هو الذي يحكم علاقة الإنسان بالزمان في هذا الكون .

1- الأشجان: مسايل الماء - مريخة: قرن أوسد قرب ينبع .

2- الأفاهيد: قنينات بلق بقفار خرجان - حقب : حمار الوحش - الفدافد: الفلاة

3- د. محمد عزيز الحبابي من الكائن إلى الشخص دار المعارف بمصر ط 2 / 68 ص: 32

فغياب ظعائن المحبوبة من أمام عيني الشاعر أوحى له بالنهاية وأفول الحياة من المكان مما زاد من إحساسه بالقلق والتلاشي ، فغياب الحركة هو رمز لغياب الحياة من المكان وإشعار بحلول زمان السكون والموت .

إن ذلك يثير إنفعالات الشاعر ويحرك سواكنه الداخلية ((فليس الإنفعال فترة سخيفة من حياتنا اليومية ؟ بل هو حدس للمطلق))(1). فمشهد الرحلة المنحدر نحو الغياب والأفول جعل الشاعر يقف أمام حقيقة صراعه مع الزمان فهو مايكاد يهنأ بلحظة الاستقرار حتى تداهمه لحظة الرحيل . فمشهد الرحلة ومايحتوى عليه من حركة زمكانية، استحوذ على مشاعر الشاعر ((وهذا يعني أن المواقف الشعورية داخل الإنسان لحظة الإبداع هي التي تعطي الكلمات الشعرية معانيها الحقيقية . وبناء على ذلك، تبتعد الكلمة عن معناها الحرفي لتتخذ بعدا آخر يجعل منها موقفا أوموضوعا أو حدثا))(2). وذلك ماظهر في الأبيات السابقة ، بحيث تجاوزت نظرة الشاعر مشهد الرحلة الذى يعايش حركته، الى رؤية كونية تكشف عن مايحدث في الوجود من تحول وتغير . فزمان الرحيل هو الزمان الذى تحس فيه الذات الشاعرة بالاحباط والغربة وعدم التلاؤم مع الواقع الحياتي، فتقل رغبتها في الحياة وتقوى نزعتها نحو الموت .

يقول جميل بثينة :

ياليتني ألقى المنيَّةَ بغتةً إنْ كانَ يومُ لقائِكم لَمْ يُقْدَرِ(3)

فالرغبة في الحياة مرتبطة بالعيش السعيد الى جوار المحبوبة فإن فقدت فلا رغبة في الحياة .ومن ذلك فزمان الشاعر العذرى هو زمان اللقاء والمجاورة ، أما ماعدا ذلك فهو زمان العذاب والحرمان والقهر الذى تحس الذات العاشقة أثناءه بالضنى ومحاصرة الهموم لها . إن زمان الشاعر العذرى هوزمان العشق المملوء بحيوية الحب .

---

1 - جان بول سارتر نظرية الانفعال تر/ هاشم الحسيني دار مكتبة الحياة بيروت ص: 73

2 - عبدالقادر الرباعي تشكيل المعنى الشعرى مجلة فصول المجلد 4 العدد 2 / 84 ص: 60

3 - جميل بثينة : ديوانه: ص: 46

2 زمـــن المكابـــدة :

زمن المكابدة هو الزمان الذى يعيشة العذرى لحظة فقد المحبوبة هو زمـــان الوحشة والغربة والفراغ الموحوم بالقلق والحزن وخلا له يشعر الشاعر بالإنطفـــاء (إنعدام الصلة بالغير) لأنه قد فقد أسباب التوقد بجذوة الغير (إذ الذات العذرية لاتتحرك إلا بغيرها) أي أنها لاتنفتح على الحياة إلا إذا توطدت علاقتها بالـــذات المحبوبة :

يقول مجنون ليلـــي:

خليلـــيّ هـذى زفرةُ اليوم قد مَضَـــتْ فمن لغدٍ من زفـــرة أطَلَّـــــتِ (1)

فهذا الإحساس القومي بمرارة اللحظة الزمنية الحاضرة، والخوف مما يحمله الغـــد من ألم وحزن، جاء نتيجة الحرمان من المحبوبة . فزمان الفقد هو زمان ميت لاحياة فيه. زمان مكابدة الذات العذرية للأحزان والآلام .

يقول جميل بثينـــة :

ويكونُ يومٌ لا أرى لكِ مُـرْسَـــلاً أونلتقـي فيه علـيَّ كأشْهُـــــرِ

يَالَيتَني ألقي المنيّةَ بغتَـــــةً إنْ كانَ يومُ لقائكم لم يُقْـــدَرِ (2)

ويقول مجنون ليلـــى:

أهيم بكم في كل يوم وليلـــــة جنونا وجسمـــي بالسّقام مُوَكَّـــلُ (3)

ان الزمان لايكون مماهيا للذات العذرية إلا إذا كان زمان لقاء ومن ثم فموقـــف الشاعر من الزمان يكون حسب مايوفره له هذا الزمان من فرص للقاء. ولاتتحســـن العلاقة بين الشاعر والزمان إلا لحظة اللقاء. أما زمان المكابدة فهو الزمان الـذى تحس فيه الذات باليأس والإحباط والعجز لأنه يحرمها من متعة اللقاء ويحدّ من حريتها فتعيش غربة زمكانية .

يقول مجنون ليلـــى:

فؤادي بين أضْلاعـي غَريـــبٌ يُنادي من يحِـــبُّ فـلا يُجيبُ

أحاط به البَـلاءُ فكلَّ يـــوم تُقارِعُهُ الصّبابَةُ والنّحيـــبُ (4)

1- مجنون ليلـــى ديوانه: ص : 71

2- جميل بثينـــة ديوانه: ص : 46

3- المصدر نفسة ص : 171

4- المصدر نفسة ص : 52

إن احساس الشاعر هنا بمرارة الغربة الزمانية ، جاء نتيجة معاناته من الديمومة الزمانية لفعل الأسر المؤلم بعد فقد المحبوبة، وتوحد الذات العاشقة في الفيافي. تكابد الأحزان (ينادي من يحب فلا يجيب).

إن هذه المعاناة تتضاعف أكثر بحلول الليل، لأن علاقة الذات تتحول من الخارج إلى الداخل ((وهو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس وتطلب حظها من السكون، والنهار محل لانتشار الحركة))(1). فالليل هو سكون وظلام، والنهار حركة ونور .

يقول مجنون ليلى:

نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بَدَا ... لِيَ الليلُ هَزَّتْني إليكِ المضاجعُ

أُقضّي نهاري بالحديثِ وبالمُنَى ... ويجمعني والهَمُّ بالليل جامعُ(2)

فالنهار هو زمان الحركة الخارجية ، وبذلك فهو الأفق الذي يتسع للفعل الأنساني وهو يطلب حظه في الوجود. ومن هنا كان النهار بالنسبة للشاعر العذري زمانا للإدراك والتعويض .(أقضي نهاري بالحديث وبالمنى .....) أما الليل فهو الزمان المتميز الذي تتلاحم فيه بواعث التفريغ الداخلي تجاه المحبوبة .(ويجمعني والهم بالليل جامع ...) مما يثير هموم وقلق الشاعر ((فالقلق (.....) حالة خاصة من الكدر معجونة بعمليات تفريغ (.....) واستعادة لخبرة ما))(3).

فالنهار يربط الذات بالحركة الخارجية والليل يدفعها الى الاحتراق الداخلي أي أنها تتوزع بالنهار لأنه زمان السعي والحركة، وتتجمع بالليل لأنه زمان السكون. ولذلك فالنهار والليل يطرحان جدلية النور والظلام، فالنهار حركة ونور، والليل سكون وظلام، ففي الليل ينفصل الشاعر عن الواقع الخارجي ليعيش عالمه الداخلي (عالم اللاشعور) والسكون الليلي يلائم ذلك ((لكون الليل تهدأ فيه الأصوات، وتسكن الحركات فيكون الفكر مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة لخلو الخواطر ومفاء القريحة لاسيما وسط الليل))(4).

---

1 ـ ابن قيم الجوزية روضة المحبين دار الكتب العلمية بيروت 1977 ص : 218

2 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص : 145

3 ـ سيجموند فرويد الكف والعرض والقلق تر/ محمد عثمان نجاتي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص : 107

4 ـ النواجي (محمد بن حسين) مقدمة في صناعة النظم والنثر تح/ محمد بن عبد الكريم دار مكتب الحياة بيروت ص : 39

إن الليل كظرف زماني يتحول عند الشعراء إلى ليل غير الليل الذي نعرفه في دورة الزمان الفلكية ، إنه ليل آخر لاحدود له، وذلك راجع للحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر . فليل العاشق المهموم يختلف عن ليل الأسير ويختلف عن ليل الصوفي ، ويختلف عن ليل المملوك، لكل منه ليله الذي ينشده .

والشاعر هو الذي يخلق ليله الخاص به ، ويعطيه الصورة التي يريدها له، وبذلك يخرج هذا الليل الشعري من دائرة الليل الفلكي المتعارف عليه إلى ليل آخر، لأن الشاعر ينظر إلى ليله من خلال عالمه الداخلي، ولذلك تعددت مواقف الشعراء من الليل فالليل عند الشاعر الجاهلي كان يمثل الهموم والمصائب والأحزان التي لاتنتهي :

يقول أمرؤ القيس:

وليلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرخَى سُدُولَه ... عليَّ بأَنْواعِ الهمُومِ لِيَبْتَلِي

فقلتُ له لمّا تمطّى بِصُلْبِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلَا أَيُّها الليلُ الطويلُ أَلَا أَنْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْباحُ مِنْكَ بأَمْثَلِ

فيالكَ من ليلٍ كَأَنَّ نُجُومَه ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ (1).

فليل أمرؤ القيس هو ليل قد خرج عن إطار الليل المتعارف عليه إلى ليل آخر لانهاية له،ليل مثقل بالهموم والأحزان جعل الشاعر ييأس من صُبْحِهِ حيث أن ((الليل والنهار قد استويا عنده))(2). وليل أمرؤ القيس هذا ليس ببعيد عن ليل النابغة الذبياني حيث يقول:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ ... وليلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ

تطاوَلَ حتّى قُلْتُ ليسَ بِمُنْقَضٍ ... وَليسَ الذي يَرْعَى النُّجُومَ بِآئِبِ

وَصَدْرٍ أَراحَ اللَّيْلُ عازِبَ هَمِّهِ ... تَضاعَفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانِبِ (3)

فليل النابغة هو ليل طويل مثقل بالهموم والمصائب فالحالة التي كان يعيشها الشاعر هي التي حددت الأبعاد الزمانية لليل ، فالشعور النفسي هو الذي أطال الليل إلى درجة أن جعل الليل المتعارف عليه في الواقع يتلاشى تماما وكأنه

1- أمرؤ القيس ديوانه: ص : 48/49

2- أبوزيد القرشي جمهرة أشعار العرب تح/ علي محمدالبجاوي ص : 152 دار نهضة مصر القاهرة ط 1

3- النابغة الذبياني ديوانه: دار بيروت 1970 ص : 09

غير موجوده، ويحل محله ليل آخر أوجده الشاعر . وإذا كان ليل كل من امرؤ القيس والنابغة الذبياني هو ليل للهموم والأحزان. فإن ليل الشاعر الصعلوك يختلف عن ذلك ، لانه ليل للاغارة والغزو .

يقول الشنفرى:

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَطْلِي الْقَوْسَ رَبُّهَا ... وَأَقْطَعُهُ اللاَّئِي بِهَا يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ على بَغْشٍ وَغَطْشٍ وَصُحْبَتِي ... سُعارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

فَأَيَّمْتُ نِسْوانًا وَأَيْتَمْتُ إِلْدَةً ... وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ(1)

فهذا هو ليل الصعلوك لانّ زمانه هو زمان التحدي ، فهو يخلق الزمان الذي يتلاءم مع حياته . أما الشاعر الصوفي فليله هو ليل الأنوار والاشراق والتجلي الإلهي ومن ثم فليلهُ أعمق في دلالته الكونية ، فهو ليل للفرح الذي تسامى على الوجود الدنيوي

يقول اليافعي:

فيا ليلة فيها السعادات والمنى ... لقد صغرت في جنبها ليلة القدرِ (2).

فليل الصوفي هو ليل الانعتاق من الزمان الفيزيائي ، والالتحام بالزمان الابدي. لأن زمانه هو زمان الأحوال الذي ((يرتفع به مما هو حسي أرضي الى ما فوق التراب))(3) ولكن الشيء الذي يتسقف حوله هؤلاء الشعراء هو احساسهم بطول الليل وخروجه عن صورة الليل المألوف في الواقع الحياتي المعيش . إن الإنسان بطبعه يخاف الليل لأنه يخاف الظلام الذي يمثل لديه الهلاك والعدم، أمّا النور فهو يمثل الخلاص والحياة . ولذلك ففي الليل يزداد قلقه وخوفه من المصير المجهول الغائب في ظلام الليل .

يقول مجنون ليلى:

سَلِي اللَّيْلَ عَنِّي هل أَذُوقُ رُقَادَهُ ... وهل لِضلوعي مُسْتَقَرٌّ على فَرْشِي(4).

ويقول كثير عزة:

أَبِيتُ نَجِيًّا لِلْهُمُومِ مُسَهَّدًا ... إِذَا أَوْقَدَتْ نَحْوِي بِلَيْلٍ وُقُودُهَا (5).

1- ينظر د. محمود حسن ابو ناجي الشنفرة ص : 118

2- زكي مبارك التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج1 المكتبة العصرية صيدا لبنان ص: 201

3- عبد الرحمن بدوى الموت والعبقرية ص: 190

4- مجنون ليلى ديوانه ص : 135

5- كثير عزة ديوانه ص : 201

فليل الشاعر العذري هو ليل الهموم والأحزان، حيث ترد فيه الذات الى داخلها لكي تتحسس ما يعتريها من فراغ زماني مظلم أصبحت تعيشه بعد فقدها للمحبوبة. إن انطفاء البصر بالليل - الحد من الرؤية البصرية - يكون دافعا لتوقد قلب الشاعر العذري وشحن ذاته من الداخل لمواجهة غياب المحبوبة. فالليل هو اللحظة الزمانية التي تضم فيها الذات العاشقة شتاتها لتجتمع بالسكون الزماني الذي أحاط بها . فتعيش لحظة التأزم والمعاناة وهي تواجه ليلا طويلا لاينتهي.

يقول جميل بثينة:

إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ... ومن حُرقٍ تعتادُني وزفيرِ

ومن كُرَبٍ للحُبِّ في باطنِ الحشا ... وليلٍ طويلِ الحزنِ غيرِ قصيرِ (1)

ويقول مجنون ليلي:

أيا ليلَ ما للصبحِ منكَ بعيدُ ... وإنّي لمحزون الفؤادِ عَميدُ

أُراعي نجومَ الليلِ سهرانَ باكيًا ... قريحَ الحشا مني الفؤاد فريدُ

بِحبّكِ يا ليلى ابتُليتُ وإنّني ... حَليفُ الأسَى باكي الجفون فَقِيدُ

لقَدْ طالَ ليلي واستهلّتْ مدامعي ... وفاضتْ جفوني والغَرام يَزيدُ

أكابد أحْزاني وناري وحرقتي ... ووصلك يا ليلى - أراه - بَعيدُ (2)

إن الهموم التي حلت بالشاعر بعد فقد المحبوبة جعلته يحس أن ليله يختلف عن الليل العادي الذي يعرفه كل الناس، بل هو ليل آخر ، ليل طويل لانهاية له، (وليل طويل الحزن غير قصير....) .(طال ليلي واستهلت مدامعي ...).(أكابد أحزاني وناري وحرقتي ....) . إن كل هذه التعابير توحي بإحساس الشاعر بثقل زمنه الليلي حتى يئس من حلول نهاره ((فالهم هو العدو الاكبر الذي يتهدد حياتنا النفسية))(3). يفقدها الإحساس بالراحة والهناء ويحول الحياة إلى جحيم لايطاق .

---

1 - جميل بثينة ديوانه: ص : 51

2- مجنون ليلى ديوانه: ص : 82/81

3- د. زكريا ابراهيم . الصفاء النفسي مجلة العربي عدد 72/169 الكويت ص : 132

إن مراعاة الشاعر لنجوم الليل(أراعي نجوم الليل سهران باكيا) يعبر عن معاناته واحساسه ببطء حركة الزمان الليلي ((وللنجوم فضلا عن قيمتها الجمالية ، قيمة أخرى تتمثل في تلك العلاقة بين وجدان الشاعر والنجوم، حيث تنصهر المشاعر ، وتتوحد وشائج القربى والمشاركة بين الذات والموضوع))(1). فتعلق الشاعر بنجوم الليل ، هو في حقيقة الأمر تعلق بالمحبوبة الغائبة .

يقول مجنون ليلى:

رُعاةَ اللَّيلِ ما فعلَ الصَّباحُ ... وما فَعَلَتْ أَوَائِلُهُ المِلاحُ

وما بالُ الَّذينَ سَبَوْ فُؤادي ... أَقامُوا أم أجَدَّ بهِمْ رَواحُ

وما بالُ النُّجومِ مُعَلَّقاتٍ ... بِقَلْبِ الصَّبِّ ليس لها بَرَاحُ

كأنَّ القلْبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى ... بِلَيْلى العَامِرِيةِ أَوْ يُراحُ

فطاةُ عُزَّها شَرَكٌ فباتَتْ ... تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجَناحُ

لها فَرخَانِ قد تُرِكا بِقَفْرٍ ... وعُشُّهُما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ

إذا سَمِعا هُبوبَ الرِّيحِ هَبَّا ... وقالا أُمَّنا تَأْتي الرَّواحُ

فَلا باللَّيْلِ نالتْ ما تُرَجِّي ... وَلا في الصُّبْحِ كان لها بَراحُ

رُعاةَ اللَّيْلِ كُونُوا كَيْفَ شِئْتُمْ ... فقد أَوْدَى بِيَ الحُبُّ المُتَاحُ(2)

فالشاعر يسائل رعاة الليل - لأنهم رقباء على مايفعله الزمن - عن زمن الخلاص المتمثل في الصبح - زمن التكهن واستشراق المجهول والرغبة في التحوّل - لأنه يعاني هموم ليل طويل لانهاية له . وكأن نجومه قد علقت في السماء، وذلك مايدل على الثبات الزمني وعدم التحول.

وما بالُ النجوم مُعَلَّقَاتٍ ... بِقَلْبِ الصَّبِّ ليس لها بَراحُ

أما دلالة التشبيه القصصي في تصوير غياب المحبوبة ، وتخيل واقع فضاءات الانتظار الزمنية، فيعبر عن احساس الشاعر بعقم الزمن المفرغ من اسباب التحول . فليل الشاعر قد تحول في نفسه الى ليل سرمدي الزمن لا آخر له . وبذلك كان أعمق من

---

1 - د. يحي عبد الامير شامي النجوم في الشعر العربي القديم منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ط 1982/1 ص : 164

2- مجنون ليلى : ديوانه: ص : 74/73

الليل الرومنسي الذي يعذب المحبين . حيث اخرجه الشاعر من دائرة الليل العادي الذي يحس به كل الناس الى ليل كوني له اثره العميق في النفس، فهو ليل دائم لانهاية له وهكذا يصبح الليل مكلا من اشكال الكدر النفسي يعذب الشاعر ويشعره بالفراغ والغربة .

ولكن وعلى الرغم من ذلك الاحساس القوي بوطأة الزمن الليلي، الا ان الشاعر العذري يحاول ان يواجه سكونيته الخارجية ، بحيوية داخلية تقوم فيها الذاكرة بدور كبير ، وهو استحضار ماكان مفقودا عن طريق الطيف .((فالطيف محاولة لاسترداد الفردوس المفقود ، وبالتالي فهو شكل خفي من أشكال مقاومة الانصياع، أوالنقل هو مظهر لاشعوري من مظاهر ادانه الزمن المسروق . إنه إحتجاج مقنع ضد البرهة المفرغة ، ومحاولة تعويضيه لخلق برهة الفرح المنهو به))(1). فالطيف هو سلاح الشاعر لمواجهة هموم زمن الليل من جهة، ومواجهة الفقد والحرمان من جهة أخرى .

يقول مجنون ليلى:

وإنّي لأستغشي ومابي نعسةٌ ... لعلّ لِقاها في المَنامِ يَكُونُ

تُخَبّرني الأحلامُ إنّي أراكُمُ ... فيالَيْتَ أحلامَ المَنامِ يَقينُ(2).

فهروب الشاعر العذري الى الحلم هو نتيجة إحساسه بالحرمان بسبب البعد المكاني والعاطفي اللذان يزيدان من شوقه للمحبوبة فالحلم يخلص الذات من أسر الحاضر ويتركها تعيش بحرية في تلقائيه حركة الزمان ((وخلق عالم من اللذّة واللهو لايستطيع الواقع ان يؤ منه))(3). فعن طريق الطيف يتخلص الشاعر من شرطي الزمان والمكان ومن الغبن الخارجي ليعيش في عالم الهناء.

والليل هو زمان توارد الاطياف وحلول الهواجس والتهويم الداخلي، وهو البرهة الزمانية التي تتحرك فيها الذات المحبوبة داخل كيان الشاعر ، ففي الليل تكون ((الحواس والعقل في حالة سكون كما هو الحال أثناء النوم ، فتصبح المخيلة حينئذ متحررة فترجع الى الأثار الحسية فتحللها وتركبها))(4).

1- يوسف اليوسف الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ص : 39

2- مجنون ليلى ديوانه: ص : 206

3- جان برنيس المخيلة تر/ خليل الجر المنشورات العربية ط 1/ 1984 ص : 93

4- الفرابي (ابونصر) أراء أهل المدينة الفاضلة تح/ البير نصري نادر المطبعة الكاثوليكية بيروت ط 1 / 1959 ص : 16

إن غياب الذات المحبوبة عن المكان ، هو غياب للمدركات الحسية وكل ما يحتوي عليه المكان، وبذلك تفقد الذات الشاعرة الاستمتاع بالمحيط الخارجي ، وينتج عن ذلك إحساس قوي بالحاجة الى الذات المفقودة . لأنه عندما يلتقي المكان المقفر والليل المظلم على الشاعر العاشق لايجد مايواجه به تلك المعاناة الداخلية الاطيف أوخيال المحبوبة ، وبواسطة ذلك يمكنه أن يتغلب على وحشة المكان وثقل الزمان ، ويتجاوز صورة السكون المضروبة حوله في ظلام الليل .

إن المحبوبة الطارقة في سكون الليل هي النور الذي يشرق على الشاعر ليبدد الظلام المضروب حوله ويعيد إليه الطمأنينة النفسية .

يقول جميل بثينة :

ألمَّ خَيالٌ من بُثينةَ طارقُ ... على النَّأْيِ مشتاقٌ إليَّ وَشائِقُ

سرتْ من تِلاعِ الحِجْر حتي تخلَّصتْ ... إليَّ ودوني الأَشعَرُونَ وغافِقُ (1).

ويقول كثير عزة (2)

ألا طرقَتْ بعد العِشاءِ جَنوبُ ... وذلك منها إنْ عَجِبْتَ عَجيبُ

تسَدَّتْ وَمَرُّ دُونَنا وأراكُهُ ... ودُونانُ أُمْسى دونَها ونَقيبُ (3)

ونحن ببطحاءِ الحَجونِ كأَنَّنا ... مِراضٌ لهم وَسْطَ الرِّحالِ نَحيبُ

فحيَّيْتُ نيامًا لم يَرُدُّوا تحيَّةً ... إليها وفي بعضِ اللِّمامِ شُغُوبُ(4)

لَقَدْ طَرَقَتْنا في التنائِي وإنَّها ... على القُرْبِ علمي للسّرى لهيُوبُ

فالطيف هو الوسيلة التي تخرج الشاعر من زمان المكابدة العقيم، إلى زمان الفرح الهارب منه ، فمن خلال الطيف تتنفس الذات أدران زمان الفقد وتعانق لحظات زمان اللقاء عن طريق الخيال .

وهكذا فالطيف يساعد الشاعر على إختزال اللحظات الزمانية ، وتجاوز المسافات المكانية التي تفصل بينه وبين المحبوبة. إن شدّة شوق الشاعر إلى محبوبته يتركه يتعامل مع الطيف وكأنه حقيقة واقعية (فحييت نياما لم يردوا تحية...) فهو

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه : ص : 72/73

2 ـ كثير عزة ديوانه : ص : 164

3 ـ تسدت: علت يعني أن طيفها علاه

4 ـ اللمام : الزيارة .

في تلك اللحظة يكون تحت سيطرة الخلجات النفسية الداخلية المتوقدة بمساعدة السكون الليلي وتعطل المد البصري الذى يربط الذات بما يحيط بها .

فصورة شبح المحبوبة له سحره الذى لايستطيع الشاعر مقاومته وهو يواجه زمان الفقد. ولكن الذى يحزن الشاعر ويؤلمه هو أن محبوبته تضن عليه باللقاء في اليقظة ولذلك يجد نفسه يطارد سرابا لايمكنه ادراكه .

يقول جميل بثينة :

تجودُ به في النَّوم غيرَ مُعَرَّدٍ ... ويُخْزَنُ ايقاظاً عليها عَطاؤُها (1)

إن ورود طيف المحبوبة على الشاعر لايحقق له أمانيه ،وإنما يزيد من لهفته وشوقه للمحبوبة ، لان سعادته لاتتم إلا باللقاء الحقيقي .

ولكن الزمان الليلي قد يتحول في الخطاب الشعري العذرى إلى زمان للقاء والفرح ، ويصبح الظلام مساعدا للشاعر في التخفي عن عيون الوشاة والرقباء. وهنا يتحول الليل من زمان نقيض للذات في العلاقة إلى زمان مماهيا لها .

يقول مجنون ليلى:

وقد أَرْسَلَتْ لَيْلى إِلَيَّ رَسُولَها ... بِأَنْ آتِنَا سِرًّا إِذَا لَّيْلِ أَظْلَمَا

فَجِئْتُ عَلَى خَوْفٍ وكُنْتُ مُسَوِّذًا ... أُحاذِرُ ايْقَاظاً عُدَاةً ونُوَّمَا

فَبِتُّ وَباتَتْ لم نَهُمَّ بِرِيبَةٍ ... ولم نجْرَحْ ياصاح واللّهِ مَحْرَمَا (2)

و يقول جميل بثينة :

وكان التفرّقُ عندَ الصَّباحِ ... عَلَيَّ مِثْلِ رائِحَةِ العَنْبَرِ

خَليلانِ لم يَقْرُبا رِيبَةً ... ولم يُسْتَحَقّا إِلى مُنْكَرِ (3)

وهكذا فالزمان الليلي في الخطاب الشعرى العذري هو في الغالب زمان مكابدة وحزن وألم إلا في بعض الأوقات النادرة ينقلب إلى زمان للفرح و السرور، عندما يكون زمان لقاء .

---

1 ـ جميل بثينة ديوانه: ص : 12

2 ـ مجنون ليلى ديوانه: ص : 201

3 ـ المصدر نفسة ص : 55

3 زمـــن التطهـيـــر :

إن الشاعر العذري المأخوذ بسحر محبوبته ، لايعرف السعادة والهناء إلا لحظة لقائه بها ، فان فقدها يتضاعف عذابه . فالمرأة عند الشعراء العذريين لم تكن ((حاجة تطالب أو شيئا يطمع فيه ، وإنما كانت شطرا من النفس لا تطيب للنفـــس حياة الا به))(1). فلحظة فقد المحبوبة ، هي لحظة فقد زمان الامتلاء بالحيـــاة ، وسيادة زمان الفقد العقيم ، وفي هذه اللحظة الكئيبة ينكشف للشاعر عجزه البشـــري أمام فعل الزمان. ولكن على الرغم من ذلك الاحساس بالعجز. فإن الشاعر لايفقـــد الامل في اللقاء ولذلك يصير زمان الانتظار والترقب ((فالانتظار حين يصهر الزمان ويحفره إنما يجعل الحب اعمق. انه يضع الحب الاشد رسوخا داخل جدلية اللحظـــات والاوقات فتعيد للحب الوفي فتنة التجدد))(2).

يقول جميل بثينـــة :

أَلم تَعلمـــي ياعَـذْبَـةَ الرِّيقِ أنَّنِـــي أَظَلُّ إذا لَمْ أَلقَ وَجْهَكِ صادِيا ؟ (3)

ان فقد المحبوبة هو عذاب دائم للشاعر العذري ، لايمكنه التخلص منه إلا اذا ظفـــر بلحظة اللقاء ((ذلك أن جوهر الحب حزن ووحدة . فالمرء لايدخل إلا منفردا مـــدن الأحزان. ولايكتشف إلا منفردا ، أن الدمع هو الإنسان فلكي يستجمع المرء ذاتـــه ، بغية أن يتوجه بها كاملة مصافاة نحو المحبوب ، لابد من أن يعاني الكرب والوحشة والعذاب ، بل انه يعاني هذه الحالات بأشد مما يعانيها وهو وحيد مشتت ضائـــع النفس والجسم والإتجاه))(4).

يقول مجنون ليلـــى :

لقد حَمَلَتْ أيْدِي الزَّمـــانِ مَطِيَّتـــي علـــى مَرْكَبٍ مُسْتَعْطِلِ النَّابِ والظُّفْرِ (5)

مأساة الشاعر العذري متولدة عن صراعه مع الزمن ، فهو مايكاد يتخلص من هـــم حتي يداهمه هم آخر أعظم من السابق ((فالزمان إذن اصل الشقاء))(6) وصراع الشاعر مع الزمن هو الذي جعله يرسم تلك الصورة المعبرة عن الحالة التي أصبح يعيشهـــا

1ـ د. طه حسين حديث الاربعاء ج: 1 ص : 226

2ـ غاستون باشلار جدلية الزمن تر/ خليل احمد خليل ديوان المطبوعات الجامعية الجزائـــر ص : 63

3ـ جميل بثينـــة ديوانه: ص : 121

4ـ محي الدين صبحي الكون الشعري عند نزار قباني مجلة الموقف الادبي عدد 7 ، 8 سنة : 1975 ص : 43

5ـ مجنون ليلـــى ديوانه: ص : 118

6ـ د. عبد الرحمن بدوي الزمان

بعد فقده لمحبوبته. فالزمان هو أصل شقائه لإتصافه بالتحول والتبدل وعدم المكوث على حال واحد، ولذلك فهو مرادف للخوف والقلق.

يقول كثير عزة:

وإنّي وتهيامي بِعَزَّةَ بعْدَمَا ... تخلّيتِ مِمَّا بيْنَنَا وتخلَّتِ

لكالمُرتجي ظِلَّ الغمامةِ كُلَّمَا ... تَبَوأَ مِنْها للمقيل اضْمَحَلَّتِ

كأنّي وإيّاها سَحابةُ مُمحِلٍ ... رجاها فَلَمَّا جاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ (1)

هذه الأبيات تكشف تلك الحالة التي كان يعيشها الشاعر العذري في صراعه مع الزمان فهو دائم التطلع لتلك اللحظة الزمنية التي ستخلصه من أدران زمن المكابدة المؤلم، الذي أفسد عليه متعة الحياة ونغص عليه حياته. فهو يترقب زمن اللقاء، كما يترقب الظمآن ماء المطر. فاللقاء هو الذي يخصب زمان الشاعر كما يخصب ماء المطر الأرض.

إن ادراك الشاعر لواقعه المرّ جعله يتطلع إلى ذلك الزمان المتجدد والذي بطوله تتطهر الذات العاشقة من أدران زمان المكابدة، فزمان التطهير هو زمان الفرح الآتي الذي يخرج الشاعر من جحيم زمان الحرمان والفقد.

يقول مجنون ليلى:

سَأَسْتَعْطِفُ الأيّامَ فِيكِ لَعَلَّهَا ... بِيَوْمٍ سُرُورِي في هَوَاكِ تَئُوبُ (2).

فإستعطاف الأيام يكشف عن ذلك الحرمان الذي أصبح يكابده الشاعر في حاضره المفرغ من كل ما يتصل بالمتعة والهناء وراحة النفس. وكأن السيلان الزمني قد توقف، وبدأت الحياة تتلاشى في العدم. لذلك راح يستعطف الأيام لعلها تجود عليه بتلك اللحظة السعيدة التي ستطهره من هموم الحاضر.

يقول جميل بثينة:

أَلا هَلْ إلى إلمامةٍ أن أَلِمَّهَا ... بُثَيْنَةُ يومًا في الحياةِ سَبِيلُ؟ (3)

فالشاعر العذري ومن لحظة فقد المحبوبة يدخل في صراع مع لحظات الزمان فيعيش حالة من الإنتظار والترقب لتلك اللحظة التي ستخرجه من محنته وتبعد عنه ذلك التوتر النفسي الذي أصبح يفسد عنه طعم الحياة، إنه يعيش على الأمل.

1- كثير عزة ديوانه: ص: 103

2- مجنون ليلى ديوانه: ص: 43

3- جميل بثينة ديوانه: ص: 83

أمل أن يعيش الى جوار محبوبته في ظل زمان السعادة . ولكن حتي يتحقق له ذلك الأمل يبقى يعيش في عالم الأوهام لأن ((عالم الوهم اكثر مرونة وأسلس قيادا من عالم الواقع الصارم . واذا تعذر تحقيق الرغبات بطريقة فعلية واقعية، فما اسهل تحقيقها في عالم الخيال))(1). وحتي يحقق الشاعر أمنيته - الظفر بلقاء المحبوبة - يبقى الحلم يراوده ويربطه بعالم الأوهام السحرى .

يقول جميل بثينة :

فياليتَ شعرى هلْ أبيتنَّ لَيْلَةً ... كَلَيْلَتِنا حتَّى تَرى ساطِعَ الفَجْرِ؟
تجودُ علَيْنا بالحديثِ وتَارَةً ... تجودُ علينا بالرُّضابِ من الثَّغْرِ
فياليتَ رَبّي قد قضى ذاكَ مَرَّةً ... فيعلمَ رَبّي عند ذَلِكَ ماشُكْرِي(2)

فلغة التمني في الأبيات السابقة تعرب عن تلهف الشاعر وتطلعه إلى زمان التطهير الذى سيخرجه من حالة القلق والحزن التي أصبح يعيشها في حاضره . فهو في حاضره يعاني من ثقلوبطء زمن الإنتظار، ويحس وكأن لحظات الزمن قد توقفت مما زاد في قلقه. فالقلق ((يجعلنا نشعر بالزمان يتباطأ قليلا حتي لانكاد نشعر به يمر، واذا زاد القلق وبلغ أوجه شعرنا بأن الزمان قد وقف نهائيا))(3). وقلق الشاعر العذرى هو قلق مضاعف، قلق من تباطؤ زمنه ، وقلق من محاصرة الوشاة والرقباء له :

يقول جميل بثينة :

يالَيْتَنا والمُنى ليستْ مُقرَّبَةً ... أَنَّا لِقِيناكِ والأَحْراسُ قد رَقَدُوا
فَيَسْتَفِيقَ مُحِبٌّ قد أَضَرَّ بِهِ ... شَوقٌ إليكِ ويُشْفَى قَلْبُهُ الكَمِدُ (4)

فأمنية الشاعر هي أن يظفر بلحظة لقاء بمحبوبته في غفلة الزمان والرقباء (ياليتنا والمنى ليست مقربة) فالزمان هو عدو الشاعر يعمل دائما عكس رغباته وطموحاته، وبذلك أفسد عنه حياته وحولها الى جحيم لايطاق ومكابدة يومية. أما الرقباء المتمثلين في الحراس (والأحراس قد رقدوا ...) فهم مثل الزمان

---

1 - د. يوسف مراد مبادئ علم النفس العالم دار المعارف ط : 7 مصر ص : 180
2 - جميل بثينة ديوانه: ص : 45
3 - د. عبد الرحمن بدوى الزمان الوجودى دار الثقافة بيروت ط 3/ 73 ص : 174
4 - المصدر نفسة ص : 41

الفقد والحرمان . يبقى دائما يتطلع إلى تلك اللحظة الزمانية التي ستخرجه من حالة الضيق والتوتر إلى حالة الفرح والسرور .

الخاتمة

* الخـــاتمـــــــة *

بعـد استيفـاء نـواحي هـذا البحـث الـذي اشتمـل مـدخـلا و خمسـة فصـول كـان ولابـد أن نتـوقـف عنـد نقطـة مـا لنشيـر للنتـائـج التي تـمكنـا مـن الوصـول اليهـا .

1- ان مـا يتميـز بـه الشعـر العذري هـو أصالـة الطرح نظـرا لـكونـه انفـرد بمفـاهيـم ميـزتـه عـن الشعـر العـربي مـن حيـث المضامـيـن الـتي يتنـاولهـا ، حتى و ان اختلفـت في ظـاهـرهـا فهـي تنـزع الى معـانـاة داخلية واحـدة .

2- ان المكـان هـو المـؤسس للعلاقـة و المشكـل للاصـرة ، نـظـرا لـمـا يمليـه مـن فضـاءات روحيـة تتجـاوز ذلـك التـواصـل الحسي لاعيـان الذوات المتجـاورة مـن حيـث المعـطى الفـزيـقـي .

3 - أن دلالات الاممكنـة فـي الشعـر العـذري لا تتشعـب أو تتـوزع في شكـل فـضـاءات مستـقلـة بـل عـلـى العكـس فهـي تتـداعى مـؤديـة نسـقـا يتسـم بالتفـريـع حيـث تعـود الى المكـان الاصـل.

4 - ان المكـان الاصـل هـو أس التـكـويـن الشعـوري للابـداع حيث منـه يتـأسـس النـص الشعـري . و ان انـقـطـاع الشـاعـر العـذري عـن المكـان الاصـل لا يعـني مـوت العـلاقـة بـل بعثـهـا و تأصيلـهـا .

5 - ان زمـان العـذرى هـو زمـان الحـب الـذي تـؤسسـه العـلاقـة ومـن ثـم فهـو زمـان مفتـوح عـلـى المـاضي الازلـي و المستقبـل السـرمـدي.

6 - ان الشعر العذري هو معاناة داخلية مغلقة لا تنفتح على الخارج، لذلك كان زمانه زمانا نفسيا ، يكون قصيرا سريعا ان كان زمان لقاء و يكون طويلا ثقيلا ان كان زمان فقد.

7 - ان فكرة المضي في الشعر العذري لا تتسم بالانقطاع النهائي بل هي مفتوحة لكونها مؤسسة على تصور اعتقادي يعود الى ما اصلته الروح الدينية الاسلامية.

و في الاخير يظل هذا البحث نسبيا في أحكامه، و أتمنى أن تكون محاولتي هذه حافزا لدراسات أخرى تتناول الجوانب التي غفل عنها البحث أو التي لم يهتد اليها.

و الله نسأل أن يكون هذا البحث المتواضع قد حقق جزءا مما أردت الوصول اليه، فان أصبت فبتوفيق من الله و ان لم أحقق الهدف فمن نفسي.

و الله ولي التوفيق


المصادر والمراجع

أولا : المصـــادر:

ـ القـــرآن الكريـــم:

ـ أ ـ

1 ـ الآمدي : الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري تح/ محمد محي الدين عبدالحميد دار المسيرة بيـــــروت

2 ـ الأزرقي (محمد بن عبد الله بن احمد) اخبار مكة تح/ رشدي الصالح محســـن دار الاندلس بيـــــروت

3 ـ ابن حزم الاندلسي طوق الحمامة تح/ فاروق سعد منشورات دار مكتبة الحيـــاة بيروت : 1972

4 ـ ابن عبد ربه العقد الفريد ج: 3 شرح وضبط احمد أمين مطبعة لجنة التأليـــف والترجمة القاهـــرة ط 2/ 1952

5 ـ ابن عربي الفتوحات المكية دار صادر بيـــــروت

6 ـ ابن قتيبة الشعر والشعراء دار احياء العلوم بيروت ط 2/ 1986

7 ـ // // عيون الأخبار مج : 2 دار الكتاب العربي بيـــروت

8 ـ ابن قيم الجوزية روضة المحبين دار الكتب العلمية بيروت : 1977

9 ـ // // // مداج السالكين دار الكتب العلمية بيروت ط 1/ 1983

10 ـ ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت: 1968

11 ـ ابوحامد الغزالي إحياء علوم الدين دار المعرفة بيروت

12 ـ ابوزيد القريشي جمهرة أشعار العرب تح / على محمد البجاوى دار نهضة مصـــر القاهـــرة ط 1

13 ـ ابو عبد الرحمن السلمي طبقات الصوفية تح/ نور الدين شريبة مكتبة الخانجي القاهرة ط 3 / 86

14 ـ ابو عثمان الجاحظ كتاب الحيوان تح/ عبدالسلام هارون دار الكتاب العربي بيروت ط 3 / 69

15 - ابو عثمان الجاحظ الحنين إلى الأوطان دار الرائد العربي بيروت ط2/1982

16 - أبو العلا المعري رسالة الغفران دار بيروت للطباعة والنشر بيروت: 1980

17 - // // // لزوم مالايلزم دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق ط2 / 1988

18 - أبو الفرج الاصفهاني كتاب الأغاني دار الثقافة بيروت ط 4 / 1978

19 - أبو القاسم الشابي الخيال عند العرب الشركة التونسية للنشر والتوزيع تونس : 1961

20 - ابو هلال العسكري الفروق في اللغة دار الأفاق الجديده بيروت ط3/ 1979

21 - الأعشى ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت

22 - أفلاطون المأدبة تح/ سامي النشار وآخرون دار الكتب الجامعية بيروت: 1970

23 - أمرؤالقيس ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت: 1978

— ج —

24 - جرير ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت : 1978

25 - جميل بثينة ديوانه جمع وشرح ابراهيم جزيني المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت :

— ح —

26 - حسان بن ثابت ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت : 1978

27 - حميد بن ثور الهلالي ديوانه تح / عبد العزيز الميمني دار القومية القاهرة : 1951

— ر —

28 - الرازي (فخر الدين ابو عبدالله) التفسير الكبير دار احياء التراث العربي بيروت ط: 3

29 - الراغب الاصبهاني محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء دار مكتبة الحياة بيروت : 1961

— ز —

30 - الزمخشري الكشاف دار المعرفة بيروت

— ط —

31 - طرفة بن العبد ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت : 1982

— ع —

32 - عنترة بن شداد ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت : 1976

— ف —

33 - الفرابي (ابو نصر) كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة تح / البير نصري نادر المطبعة الكاثوليكية بيروت ط 1 / 1959

— ق —

34 - القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات مكتبة اليابلي الطبي بيروت ط3 / 1956

35 - القشيري الرسالة القشيرية دار الكتاب العربي بيروت

— ك —

36 - كثير عزة ديوانه جمع وشرح د. احسان عباس دار الثقافة بيروت : 1971

— م —

37 - مجنون ليلى ديوانه تح / عبد الستار احمد فراج دار مصر للطباعة القاهرة

— ن —

38 - النابغة الذبياني ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر بيروت : 1970

ثانيـــا : المـــراجـــع :

ـ أ ـ

1 ـ ابراهيم عبدالرحمن محمد النظرية والتطبيق في الأدب المقارن دار العـــودة بيـــروت ط: 1 /82

2 ـ أبومدين الشافعي الصراع النفسي دار الفكر العربي مط/ لجنة البيـــان القاهـــرة :1950

3 ـ احسان سركيس الظاهرة الأدبية في صدر الاسلام والدولة الأموية دار الطليعـــة بيـــروت ط/ 1 / 81

4 ـ احسان عباس من الذي سرق النار خطرات في النقد والأدب جم/ وداد القاضي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط: 1 /1980

5 ـ أحمد الحوفي الغزل في العصر الجاهلي دار نهضة مصر للطبع والنشـــر ط 3 : القاهـــرة

6 ـ احمد الربيعي كثير عزة حياته وشعره دار المعارف بمصـــر

7 ـ احمد الشرباصي موسوعة أخلاق القرآن الكريم دار الرائد العربي بيـــروت ط 1 / 1971

8 ـ احمد طاهر حسنين وآخرون جماليات المكان دار قرطبة للطباعة والنشر الـــدار البيضاء المغـــرب ط 2 /1988

9 ـ احمد كمال زكي دراسات في النقد الأدبي دار الأندلس بيروت : ط 02/ 1980

10 ـ احمد يوسف تجليات القلق في شعر صلاح عبد الصبور (مخطوط رسالة ماجيستير نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي جامعة وهران 86/1989

11 ـ أدونيس (على احمد سعيد) الثابت والمتحول ج:1 دار العـــودة ط 3 /1980

12 ـ / / / / / / مقدمة للشعر العربي دار العودة بيروت

13 ـ / / / / / / الشعرية العربية دار الأندلس بيـــروت ط1 / 1985

14 - ادريت كيرزيل عصر البنيوية من ليفي ستراوس إلى فوكو تر / جابر عصفور دار قرطبة الدار البضاء المغرب ط: 2 / 82

15 - اسطنبول ناصر تداعي الوعي في الشعر الجاهلي (مخطوط رسالة ماجيستير نوقشت بمعهد اللغة والأدب العربي جامعة وهران 85/ 1986

16 - ارنست كاسير الدولة والأسطورة تر/ احمد حمدي محمود المؤسسة المصرية العامة للكتاب القاهرة : 75

17 - اريك فروم فن الحب تر/ مجاهد عبد المنعم مجاهد دار العودة بيروت ط1 / 1972

18 - اعتدال عثمان إضاءة النص دار الحداثة بيروت ط1 / 1988

19 - الكسيس كاريل الإنسان ذلك المجهول تر / شفيق اسعد فريد مكتبة المعارف بيروت ط : 4 / 85

20 - البرت شفيتيزر فلسفة الحضارة تر/ عبد الرحمن بدوى دار الاندلس بيروت ط 2/ 80

21 - ألن تين دراسات في النقد تر/ د. عبدالرحمن باغي مكتبة المعارف بيروت ط: 2 / 1980

22 - اندرية ايمار وآخرون تاريخ الحضارات العام مج: 2 تر/ فريد م. داغر وفؤاد ايوبكان منشورات عويدات بيروت ط 2 / 1981

23 - انطوان معلوف المدخل إلى المأساة والفلسفة المأساوية المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط : 1 / 1982

24 - ايليا حاوي امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة دار الثقافة بيروت ط2/ 1981

25 - // // النابغة دار الثقافة بيروت ط: 2 / 1981

— ب —

26 - بر تراند رسل تاريخ الفلسفة الغربية ج : 3 تر/ محمد فتحي الشنيطي الهيئة المصرية العامة للكتاب : 1977

27 - بوبطانة مرسلي المسرحية التاريخية في الشعر العربي المعاصر (مخطوط رسالة ماجيستير نوقشت بمعهد اللغة والأدب وهران 85/ 86

— ت —

28 - تامر سلوم نظرية اللغة والجمال في النقد العربي دار الحوار للنشر والتوزيع بيروت ط 1/83

29 - توفيق محمد السبع قيم حضارية في القرآن الكريم الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة.

— ج —

30 - جاك شورون الموت في الفكر الغربي تر/ كامل يوسف حسين عالم المعرفة الكويت: 1984

31 - جان برنيس المخيلة تر/ خليل الجر المنشورات العربية ط1/1984 .

32 - جان بول سارتر نظرية الإنفعال تر/ هاشم الحسيني دار مكتبة الحياة بيروت

33 - جلال الخياط الشعروالزمن وزارة الإعلام العراق.

34 - جميل صليبا المعجم الفلسفي دار الكتاب اللبناني بيروت: 1979 .

35 - جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام دار العلم للملايين بيروت ط3 / 1980

36 - جورج غريب الغزل تاريخة واعلامه دار الثقافة بيروت ط3/1975 .

37 - ج - ك - قادية الغزل عند العرب تر / ابراهيم الكيلاني وزارة الثقافة والارشاد القومي سوريا : 79

— ح —

38 - حسام الألوسي الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1/80 .

39 - حسام الخطيب محاضرات في تطور الأدب الأوربي مطبعة طبرين: 1975. سوريا

40 - حسين الحاج حسن حضارة العرب في العصر الجاهلي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط 1 / 1984 .

— خ —

41 - خالدة سعيد حركية الإبداع دار العودة بيروت ط1/1979 .

42 - خريستونجم جميل بثينة والحب العذرى دار الرائد العربي بيروت1982.

43 - خيرى الضامن التكوين الشعرى منشورات عويدات بيروت ط 1 / 1958 .

— ر —

44 - رجيس بلاشير تاريخ الادب العربي تر/ ابراهيم الكيلاني الدار التونسية للنشر تونس : 1986

45 - رشيد الناضورى المدخل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضار دار النهضة للطباعة والنشر بيروت : 1977

46 - ريتشارد شاخت الاغتراب تر/ كامل يوسف حسين المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1 / 80

47 - رينية حبشي بدايات الخليقة تز/ خليل رامز سركيس المنشورات العربية بيروت

— ز —

48 - زكريا ابراهيم المشكلة الخلقية دار مصر للطباعة القاهرة ط3 / 1980

49 - زكي مبارك التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق المكتبة العصرية صيدا

50 - // // العشاق الثلاثة المكتبة العصرية صيدا

— س —

51 - سعد زغلول عبد الحميد في تاريخ العرب قبل الإسلام دار النهضة العربية بيروت : 1976

52 - سعد عبد العزيز الزمن التراجيدى في الرواية المعاصرة مكتبة الانجلو المصرية القاهرة: 1970

53 - سعير الحاج شاهين لحظة الأبدية (دراسة الزمان في أدب القرن العشرين) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط 1 / 80

54- سيجموند فرويد الكف والعرض والقلق تر/ محمد عثمان نجاتي ديوان المطبوعات الجامعية للجزائر

55- // // // ثلاث مباحث في نظرية الجنس تر/ جورج طرابشي دار الطليعة بيروت ط1 / 8ي

56- سيد قطب في ظلال القرآن دار الشروق بيروت ط 10/ 1982

57- سيد نوفل شعر الطبيعة في الأدب العربي دار المعارف مصر ط:2

58- سي دي لويس الصورة الشعرية تر/ احمد نصيف الجنابي وآخرون وزارة الثقافة والاعلام العراق : 82

— ش —

59- شكري فيصل تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام دار العلم للملايين بيروت ط: 5

60- شوقي ضيف الشعر والغناء في المدينة ومكة دار المعارف بمصر ط : 3

61- شوقي عبد الحكيم موسوعة الفلكلور والاساطير العربية دار العودة بيروت ط1 / 1982

— ض —

62- صلاح عبد الحافظ الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره ج:1 دار المعارف بمصر

63- صلاح عبد الصبور قراءة جديدة لشعرنا القديم دار العودة بيروت ط3 / 1982

— ط —

64- طاهر لبيب سوسيولوجية الغزل العربي تر/ حافظ الجمالي وزارة الثقافة والارشاد القومي سوريا :1981

65- طه حسين حديث الأربعاء ج : 1 دار المعارف بمصر ط :11

— ع —

66- عاطف جودة نصر شعر عمر بن الفارض دار الأندلس بيروت ط1 / 1982

67- // // // الرّمز الشعري عند الصوفية دار الأندلس بيروت ط 1 / 1978

68- عبد الاله الصائغ الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام وزارة الثقافة والاعلام العراق: 1982

69- عبد الباسط بدر مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي دار المنارة جدة السعودية ط1/ 1985

70- عبد الحميد جيدة الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر مؤسسة نوفل بيروت ط1 / 1980

71- عبد الرحمن بدوى الزمان الوجودى دار الثقافة بيروت ط 3 / 1973

72- // // // دراسات في الفلسفة الوجودية دار الثقافة بيروت ط3 / 1973

73- // // // موسوعة ج1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1/ 1984

74- // // // الموت والعبقرية وكالة المطبوعات الكويت

75- // // // شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية وكالة المطبوعات الكويت ط 4 / 1978

76- عبد القادر القط في الشعر الاسلامي والأموى دار النهضة العربية بيروت: 1979

77- عبد العزيز سالم تاريخ الدولة العربية مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية

78- عبد العزيز عتيق في النقد الأدبي دار النهضة العربية بيروت ط 2 / 1972

79- عبد الملك مرتاض بنية الخطاب الشعرى دار الحداثة بيروت

80- عبد المنعم عبد العزيز المليجي تطور الصور الديني عند الطفل والمراهق دار المعارف بمصر: 1955

81- عز الدين اسماعيل التفسير النفسي للأدب دار العودة بيروت ط4/ 1981

82 - عز الدين اسماعيل روح العصـــر دار الرائد العربي بيروت : 1978

83 - // // // الشعر في اطار العصر الثورى دار القلم بيروت ط 1/ 1974

84 - // // // قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر دار الفكر العربي

85 - عزيز السيد جاسم الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي دار الأندلس بيـــروت ط 1/ 1986

86 - عصام كمال السيوفي الإنفعالية والإبلاغية في البيان العربي دار الحداثـــة بيروت ط 1 / 1986

87 - عفت الصرقاوي دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي دار النهضة العربية بيروت : 1979

88 - علي البطل الصورة في الشعر العربي دار الأندلس بيـــروت ط3 /1982

89 - علي زيعود العقلية الصوفية ونفسانية التصوف دار الثقافة بيروت ط1/1979

90 - علي عبد المعطي مقدمات في الفلسفة دار النهضة العربية بيروت : 1985

91 - عناد غزوان اسماعيل المرثاة الغزلية في الشعر العربي مطبعة الزهراء بغداد : 1974

- غ -

92 - غاستون باشلار جدلية الزمن تر/ خليل احمد خليل ديوان المطبوعات الجامعية الجزائـــــــــر

93 - // // // جماليات المكان تر/ غالب هلسا وزارة الثقافة والاعلام بغداد

94 - // // // النار في التحليل النفسي تر/ نهاد خياطة دار الأندلس بيروت ط 1 / 1984

95 - غوستاف فون غرينباوم دراسات في الأدب العربي تر/ احسان عباس وآخرون دار مكتبة الحياة بيروت : 1959

ـ ف ـ

96 ـ فاطمة محبوب قضية الزمن في الشعر العربي دار المعارف بمصر

97 ـ فاليري ليبين التحليل النفسي والفرويدية الجديدة تر/ نزار عيون سود دار الوثبة

98 ـ فؤاد زكريا نيتشيه دار المعارف بمصر ط : 2

99 ـ فيصل عباس الشخصية في ضوء التحليل النفسي دار المسيرة بيروت ط 1/ 1982

ـ ك ـ

100 ـ كريشتو فوكودويل الوهم والواقع تر/ توفيق الأسدى دار الفرابي بيروت ط 1 /1988

ـ ل ـ

101 ـ لطفي عبد البديع التركيب اللغوى للادب مكتبة النهضة المصرية: 1970

ـ م ـ

102 ـ ماجد فخرى أبعاد التجربة الفلسفة دار النهار للنشر بيروت:

103 ـ محمد ابوزهرة تاريخ المذاهب الإسلامية دار الفكر العربي

104 ـ محمد الصادق عفيفي الحب ومذاهبة النفسية والجمالية مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء المغرب ط1 / 72

105 ـ محمد الطيب النجار الدولة الأموية في الشرق دار الاعتصام ط 3/ 1977

106 ـ محمد عبد الرحمن مرحبا الفكر العربي في مخاضه الكبير دار الجيل بيروت

107 ـ محمد عبد المعيد خان الأساطير والخرافات عند العرب دار الحداثة بيروت ط 4 / 82

108 ـ محمد عبد المنعم خفاجي الحياة الأدبية عصر بني أمية دار الكتاب اللبناني بيروت ط 2/ 1970

109 ـ محمد عزيز الحبابي من الكائن إلى الشخص دار المعارف بمصر ط 2 / 1968

110 - محمد غنيمي هلال ليلى والمجنون في الأدبين العربي والفارسي دار العودة :
بيـــروت: 1980

111 - // // // في النقد التطبيقي والمقارن دار النهضة مصر القاهـــرة

112 - محمد قطب الإنسان بين المادية والاسلام دار الشروق بيروت ط 2/ 1983

113 - محمد كامل حسين وحدة المعرفة مكتبة النهضة المصريـــة ط : 2

114 - محمد متولي الشعراوي كيف نفهم الاسلام دار العودة بيروت : 1982

115 - مصطفى الرافعي حضارة العرب دار الكتاب اللبناني بيروت ط 3/ 1981

116 - مصطفى الشكعة رحلة الشعر عالم الكتـــب بيـــروت : 1979

117 - مصطفى عبد اللطيف جياووك الحياة والموت في الشعر الجاهلي وزارة الثقافـة
والاعلام بغداد : 1977

118 - مصطفى ناصف دراسة الأدب العربي دار الأندلـــس بيـــروت ط 2/ 1981

119 - // // // قراءة ثانية لشعرنا القديم دار الأندلس بيـــروت

120 - // // // الصورة الأدبية دار الأندلـــــس بيـــروت ط 3 / 1983

121 - موهوب مصطفاوي المثالية في الشعر الجاهلي ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر
: 1982

— ن —

122 - نجيب محمد البهبيتي تاريخ الشعر العربي دار الفكر بيـــروت ط : 4

123 - نصرت عبد الرحمن الصورة الفنية في الشعر الجاهلي مكتبة الأقصى عمان : 1976

124 - نقولا سعادة قضايا أدبية دار مارون عبود بيروت ط 1 / 1984

125 - نوري حمودي القيسي الطبيعة في الشعر الجاهلي دار الإرشاد بيروت ط1 / 1970

126 - نيقولاي برديائف العزلة والمجتمع تر/ فؤاد كامل عبد العزيز مكتبة النهضة
المصرية القاهـــرة: 1960

— هـ —

127 - هانري برغسون الطاقة الروحية تر/ سامي الدروبي دار الفكر العربي القاهرة ط : 63/2

128 - هانز ر يشنباخ نشأة الفلسفة العلمية تر/ فؤاد زكريا المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط 3/ 1979

129 - هانز ميرهوف الزمن في الأدب تر/ أسعد رزوق مؤسسة سجل العرب القاهرة: 1972

— ى —

130 - يحي عبد الأمير شامي النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموى دار الآفاق الجديدة بيروت ط1 / 1982

131 - يوسف خليف تاريخ الشعر العربي في العصر الأموي دار الثقافة للنشر القاهرة 1990:

132 - // // ذو الرمة شاعر الحب والصحراء دار المعارف بمصر

133 - يوسف مراد مبادئ علم النفس العام دار المعارف بمصر ط : 7

134 - يوسف اليوسف الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر : 1981

135 - // // // مقالات في الشعر الجاهلي وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق :1978

الـــدوريـــات :

1 ـ احمد طاهر حسنين البعد الزمني في اللغة والأدب مجلة ألف(مجلة البلاغـــة المقارنة)عـدد : 89/9

2 ـ بديعة أمين فكرة الصراع في الادب السومرى مجلة أفاق عربية عدد 8سنـــة 1978 / 3

3 ـ جبرا ابراهيم جبرا تأملات في إلهة قديمة مجلة أفاق عربية عدد:2 سنـــة 1981 / 7

4 ـ حسين البناعز الدين جماليات الزمن في الشعر مجلة ألف(مجلة البلاغة المقارنة) عـدد 9 / 89

5 ـ زكريا ابراهيم الزمان بين الإتصال والإنفصال مجلة العربي عدد 212 / 1976

6 ـ // // // الصفاء النفسي مجلة العربي عـــدد 169/1972

7 ـ سيد قطب غـــزل العقـــاد مجلة الرسالة عـــدد 265/ 1938

8 ـ طاهر احمد مكي الشعراء ورحلة العمر القصير الجميل مجلة الدوحة عـــدد 73 / 1984

9 ـ طاهر باقر مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين مجلة أفاق عربية عـــدد 10 / 1977

10ـ عبدالقادر الرباعي تشكيل المعنى الشعرى مجلة فصول مج 4 العدد2 / 1984

11ـ محمد المنسي قنديل لحظات من الزمن العربي مجلة العربي عـدد301/ 1983

12ـ محي الدين صبحي الكون الشعرى عند نزار قباني مجلة الموقف الأدبي عدد7و8 / 1975

13ـ يوسف حبـــي الإنسان والأرض في أدب وادي الرافدين مجلة أفاق عربية عـــدد 9 / 1979